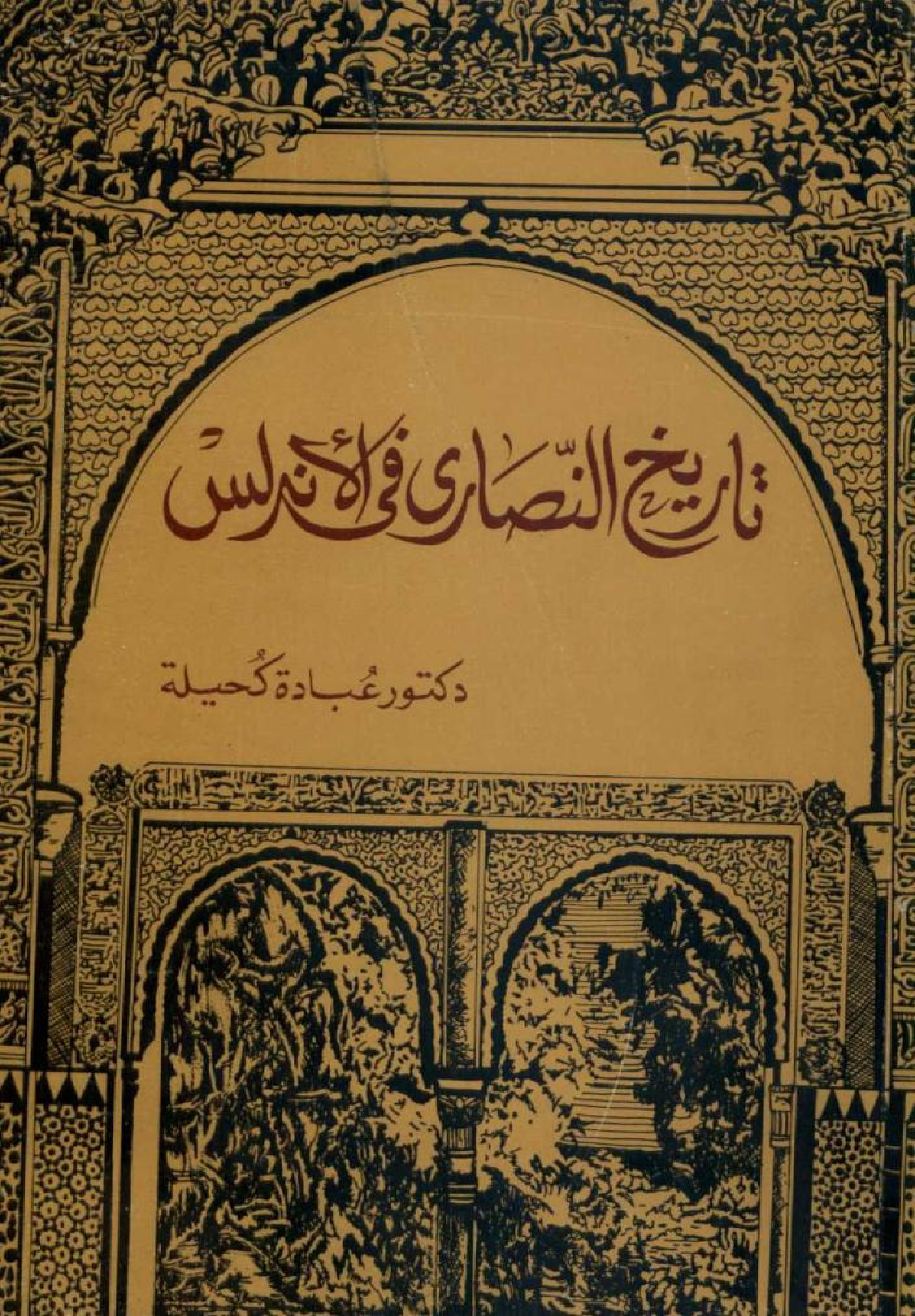


تاريخ النصارى في الأندلس

دكتور عُبادة كُحيلة

تاريخ النصارى في الأندلس

دكتور عبادة كحيلة
أستاذ مساعد
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

الطبعة الأولى
١٩٩٣

الغلاف هدية من الفنانة شريفة عامر

إهـــداء

إلــى ولَــدَىّ .. أدْهَـم وأرْوَى..

فـى رحلة الزمـن الــردئ ..

فهرســت

الصفحة

مقـدمة ٧

البـــاب الأول

عناصر المجتمع فى إسبانيا بعد الفتح الإسلامى

تمهيـــد : عناصر المجتمع فى إسبانيا قبل الفتح الإسلامى ١١

الفصـــل الأول : عناصر المجتمع فى الأندلس ١٧

الفصـل الثانى : عناصر المجتمع فى إسبانيا النصرانية ٥٧

الباب الثانى

الحياة الخاصة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل الثالـث : النصارى وتنظيماتهم الإدارية والدينية ٧٧

الفصل الرابـع : النصارى وحياتهم الاجتماعية ١٠١

الفصل الخامس : النصارى وحياتهم الثقافية ١١٥

الباب الثالث

الحياة العامة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل السادس : صلات النصارى بالدولة والمجتمع الإسلامى بالأندلس ١٤١

الفصل السابع : التأثيرات الإجتماعيـة والثقافيـة والدينيـة بيـن النصارى والمسلمين ١٧١

الباب الرابع

نصارى الأندلس ودورهم فى الحركات المناهضة للدولة

تمهيـــد :	١٩٧
الفصـل الثامن : حركة شهداء قرطبة النصارى	١٩٩
الفصل التاسع : النصارى والفتنة الكبرى	٢١٣
الفصل العاشر : نصــارى الأندلس والصــراع بين المسلمين وبين ممالك إسبانيا النصرانية	٢٣٩
خاتمــة	٢٤٩
جداول وخرائط	٢٥٣
المصادر والمراجع	٢٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الأندلس ...

لا أدرى متى أحببت الأندلس، ومتى صار لهذا الإسم وقع خاص فى نفسى ما أدريه إن هذا الحب يعود إلى سنوات بعيدة فى عهد الصبا، حين كانت الدنيا خضراء، تعبق بأيام خضراء.

تمضى سنوات وسنوات، ويتنامى هذا الحب، ليتمثل فى كتاب دعوته "صقر قريش" ويتمثل أيضاً فى كتاب دعوته "أندلسيات".

وأزعم أن الأندلس، مثلما كانت حبى فى أيام الشباب، فهى أيضاً حبى وقد ذهب الشباب.

بعد سنوات عديدة من النسيان، أو تعمد النسيان، نهضت الدراسات الأندلسية فى أوربا، وتصدى لهذه النهضة فى مطالع القرن الماضى أجيال من المستشرقين - إسباناً وغير إسبان.

ومع ما كان يكتنف هذه النهضة من غرض، إلا أنها أعانت على كشف بعض ما كان مخبوءاً من تراث الأندلس، كما هيأت حافزاً لأجيال من العرب كى يلجوا إلى ميدان غاب عنهم أو غابوا عنه منذ بعيد.

توفر على الدراسات الأندلسية من جيل الرواد عدة من علمائنا الأجلاء، يذكرون فيشكرون، على أن غالب من أتى بعدهم، تطرقوا إلى موضوعات تقليدية بمناهج تقليدية، وغادروا كما غادر الشعراء من مُتَرَدَّم.

وموضوع النصارى المعاهدين ـ أو المستعربين ـ موضوع حقيق بالدراسة، من حيث أنه موضوع خلافى، ونحن أحوج إلى أن نرتاد مواقع

الخلاف في تاريخنا، وأن نشك في بعض ما نعتقد أنه من الثوابت.. هذا إذا شئنا نهضة حقيقية في زمان التردّي الذي نعيشه.

وقد سبقنا إلى دراسة هذا الموضوع مؤرخون إسبان، أشهرهم سيمونيت F.J. Simonet ، ولما كان هؤلاء يصدرون فيما يكتبون عن منازع وأهواء عرقية ودينية وتصورات قبلية، صار ملحاً أن نعبر عن وجهة نظر تفارق وجهتهم، ولاتفارق حقاً رأيناه فاتبعناه.

وها نحن نحاول أن نتقصى ما كانت عليه الحال في جنة ضائعة (أو جنة أضعناها)، فنستهل هذا الكتاب بتحديد الصورة العامة للمجتمع الأندلسي (والإسباني) وعناصره الأصيلة والوافدة، ونثني بالحديث عن الجماعة النصرانية من داخلها، ثم الجماعة النصرانية من خارجها، وننتهي بالحديث عن دور هذه الجماعة (أو بعض هذه الجماعة) في مناهضة الدولة والمجتمع الإسلامي بالأندلس.

وفي نهاية البداية يصير الشكر لأستاذين جليلين وفاءً بحق وفضل وسبق وعلم وخلق.

الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور، أسبغ عليه تعالى من فيض رحماته، وأسكنه فسيح جناته، والأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم، أمد تعالى في عمره، وأعلى من منازله وقدره.

ومن قبل ومن بعد يصير الشكر لله فريضة لازمة، ودَيْناً واجب الأداء، وهو الموفق والمستعان.

أبو أدهم

الهرم. الجيزة في غرة المحرم ١٤١٣   **عُبادة بن عبد الرحمن رضا كُحيلة**

٢١ من يونيو (حزيران) ١٩٩٣.

الباب الأول

عناصر المجتمع فى إسبانيا بعد الفتح الإسلامى

تمهيـــــــد : عناصر المجتمع فى إسبانيا قبل الفتح الإسلامى.

الفصل الأول : عناصر المجتمع فى الأندلس.

الفصل الثانى : عناصر المجتمع فى إسبانيا النصرانية.

الباب الأول

عناصر المجتمع فى إسبانيا بعد الفتح الإسلامى

تمهيد :

كانت إسبانيا عند مقدم المسلمين في سنة ٩٢هـ/٧١١م فى حال سيئة، وكانت هناك خمس طبقات إجتماعية، هى النبلاء، رجال الدين، الأحرار، الأقنان والعبيد، اليهود.

كان النبلاء[١] فى معظمهم من القوط، وكانوا يشكّلون مع رجال الدين الطبقات العليا Clasas Elevadas[٢] وقد حازوا ضياعاً واسعة Latifundia, Villae، وآلت إليهم ثلثا الحيازات الرومانية Fundi بينما احتفظ الرومان بالثلث[٣]، وتمتّعوا إلى جانب ذلك بامتيازات قضائية، وشاركوا فى عضوية مجمع طُلَيْطُلَة Toledo الدينى والمجلس الملكى Aula Regia[٤].

ومع أنه كان من حق الذين يرجعون إلى أسر غير عريقة، أن يرفعوا إلى درجة النبالة، إذا أظهروا مواهب معينة، فإن الارستقراطية بدت فى أواخر القرن السابع وراثية[٥].

---

(١) Seniores، ويدعون أيضاً Proceres, Primates, Maiores.

(2) Montgomery Watt, W:A history of Islamic Spain. Edinburgh Univ press, 1967. p. 10.

(3) Livermore, H.V: The origins of Spain and Portugal. London, Allen & Unwin, 1971. p.140.

(4) O' Callaghan, J.f.: A history of medieval Spain. Cornell univ press. 1975. pp. 60-63.

(5) Ibid. p 73.

كان ملوك القوط ينتخبون من بين النبلاء، ويعد هذا النظـام مـن أسباب الفوضى العامة في البلاد، وحاولت الكنيسة حل هذه المشـكلة فأعلنت أن ذات الملك مصونة لاتمس، كما سعى بعض الملوك إلى الأخذ بمبدأ الوراثـة، على أن ذلك لم يجد شيئاً[١]، وإذا كان فامبا Wamba قد تقلّد السلطة في سنة ٦٧٢ على غير ارادته، فإنه في سنة ٦٨٠ أرغم على النزول عن العرش لصـالح إرفيـج Erwigius[٢]. أمّـا رجـال الديـن، فقـد أعفيـت أراضيهـم مـن أداء الضرائب، وتوجه ثلث إيرادهـا للصـرف علـى الكنـائس وثلث آخر لحاجات الأسقف، والثلث الأخير لمن هم دونه، كمـا كـان للكنيسـة دخلهـا مـن العشور والهبات، وأشـارت قرارات المجـامع إلى أن الثلث الخـاص بـالصرف على الكنائس كان غالباً ما ينفق في مصـارف أخرى[٣].

ولما اعتنـق ريكـاريدو Recaredo المذهب الكـاثوليكي فـي سـنة ٥٨٧م ازدادت سطوة الكنيسة، وتدخلت على نحو سيء في الصـراعات على العرش، وشارك يليان Julian مطران طليطلة في عزل فامبـا سـنة ٦٨٠، الأمـر الـذى حمل عدداً من المؤرخين المحدثين إلى اتهامه بالخيانة والغـدر، وإلـى وصـف الدولة بأنها دولة يمتطيها القساوسة[٤].

لم تكن أوضاع الكنيسة الداخلية خالية في الوقـت نفسـه مـن التصـرفات المعيبة، فالقوانين المتتابعة التى صدر بخصوص عزوبـة رجـال الديـن، تعلـى أنها كانت مشكلة دائمة[٥]، كما أن القـرارات المتتابعـة لمجـامع طليطلـة تـدل على أنه مازالت توجد معاقل للوثنية فى معظم أنحاء إسبانيا[٦].

(1) Ibid. pp. 48-49.

(2) Murphy: F.X : Julian of Toledo and the fall of the Visigothic Kingdom in Spain. Specu lum. Vol. XXVII, n.I, January, 1952. pp 1-2.

(3) O' Callaghan: Op cit p.79.

(4) Murphy: Op cit pp. 2 - 9.

(5) O' Callaghan: Loc cit .

(6) King, P.D: Law and Society in the Visigothic Kingdon,Cambridge univ press 1972 p. 147.

وكان الأحرار Ingenui[١] تفصلهم عن النبلاء هوة واسعة، وكان الحرفيون والتجار منهم - وتجمعهم نقابات مهنية Collegia - يعانون من الضرائب المجحفة، مما حمل عدداً كبيراً منهم على الهرب إلى الريف[٢].

وكان في الريف في الحقبة الرومانية حيازات صغيرة كثيرة، لم تلبث أن أدمجت في الضياع الكبيرة، لدى مقدم القوط، حيث أن ملاّكها شعروا بحاجتهم إلى الحماية ازاء تيار الفوضى العام الذي اجتاح البلاد، فنزل بعضهم عن ملكياتهم وألجأوها اليهم، وأضحوا مجرد مستأجرين لها، وعرفوا باسم المحميين Buccellarii[٣]، وكان لهؤلاء الحرية في أن يتركوا خدمة السيد إلى سيد آخر، ولكن كان عليهم أولاً أن يعيدوا إليه الأرض التي منحها لهم[٤].

على أن عامة سكان الريف كانوا من الأقنان Coloni والعبيد Servi، ولم يكن للقن حرية الحركة، وعليه أن يدفع ضريبة الرأس Capitatio[٥]، وليس له أن يتزوج دون موافقة سيده، فإذا فعل فصلت عنه زوجه، وعندما كان يتزوج بسيدة من ضيعة غير ضيعته تقسّم الذرية بين الضيعتين[٦].

جرى العرف على انخراط الأقنان في الجيش، حتى فاق عددهم في أواخر القرن السابع عدد الأحرار، وأضحى واجب الدفاع عن الوطن يعهد به إلى جنود يؤثرون التواطؤ مع العدو في الحرب، لا أن يدافعوا عن ظالميهم[٧].

---

(١) ويدعون أيضاً Inferiores, Minores

(2) O' Callaghan: Op cit pp.73-74..

(3) Ibid. pp : 30-31..

(4) king: op cit p. 187.

(5) Ibid. p : 161..

(6) Dozy: Spanish Islam,Trans by F.G. Stokes. London, Frank Cass, 1972. p. 226.

(7) Ibid. pp. 228-229.

أما العبيد فقد ازداد عددهم زيادةً كبيرةً فى القرن السابع، بعد أن دخل فيهم عدد من الأقنان(١)، وأكبر دليل على سوء أحوالهم، ما صدر من قوانين كثيرة ضد الأقنان والعبيد الأبقين(٢)، ولم تسع الكنيسة إلى حل مشكلة العبيد، بل كانت تحثّهم على طاعة أسيادهم(٣)، وكان موقفها فى عهد الهرطقة الأريوسية(٤) أفضل من موقفها فيما بعد، عندما أعلنت الكاثوليكية عقيدةً رسميةً، وآلت إلى الكنيسة ضياع كثيرة يعمل بها عدد كبير من العبيد.

وكان العبد لدى تحريره يصير معتقاً Libertus، لكن حاله لم تكن تختلف كثيراً عن حاله السابقة، وليس له حق الشهادة ضد حر، وإذا تزوج رقيقاً صار أولاده رقيقاً، وغالباً ما كان يخضع لحماية سيده السابق. وتوضح قرارات المجامع أن معتقى الكنيسة مازالوا مرتبطين بالأرض التى نشأوا بها عبيداً(٥).

ولما كان القوط عند قدومهم يدينون بالأريوسية وسط شعب من الكاثوليك، فإنهم سمحوا لليهود بحرية العقيدة، ولم يتدخلوا فى حياتهم الخاصة، وتركوهم ينظّمون أمورهم وفق تقاليدهم وقوانينهم(٦).

وعندما أعلن ريكاريدو الكاثوليكية مذهباً رسمياً للبلاد فى سنة ٥٨٧ تعرّض اليهود لحملة متّصلة من الاضطهاد ، وصلت إلى ذروتها فى أواخر

---

(1) king: op cit pp. 160-161.
(2) Dozy: op cit. p. 226.

(٣) رسالة بطرس الأولى اصحاح ٢ آية ١٨، رسالة بولس الأولى إلى أهل أفسس اصحاح ٦ آية ٥-٧.

(٤) نسبة إلى أريوس وهو كاهن من الاسكندرية، عاش فى القرن الرابع وذهب إلى ترجيح الناسوت فى المسيح على اللاهوت.

(5) Livermore: op cit. p. 227.
(6) Grayzel, S. A history of the Jews. Jewish publication society of America, 1968. p. 267.

القرن السابع، ففى المجمع الثانى عشر سنة ٦٨١ تقرر مصادرة كل من لايتنصر من اليهود وتعذيبه ونفيه، وتطبيق هذه الجزاءات على الذين يعمدون، ولايتركون الطقوس اليهودية(١).

وفى المجمع السادس عشر سنة ٦٩٣ أمر إخيكا Egica بأن يبيع اليهود بأسعار يحددها لهم الملك عبيدهم وعقارهم وأراضيهم وكرومهم، وضوعفت عليهم الضرائب. ولما راجت شائعات بأن اليهود يتآمرون مع من هم وراء البحر Los Transmarinos (العرب ؟) سارع إخيكا فعقد المجمع السابع عشر فى العام التالى، واتهمهم بالخيانة وأعلنهم عبيداً، وصادر أملاكهم، وأمر بأن يؤخذ منهم أطفالهم لينشأوا مع النصارى ويتزاوجوا معهم. وإزاء ذلك اضطر عدد من اليهود إلى الهرب من البلاد، وتم استرقاق الباقين(٢).

كانت تلك صورةً عامةً للمجتمع الاسبانى بطبقاته كافة فى عهده القوطى، ومنها يتضح أن هذه الطبقات كانت طبقات مغلقةً Estate(٣) فلم يوجد حراك اجتماعى Social Mobility(٤) بمعنى أن كل طبقة من هذه الطبقات كان لها عالمها الخاص بها، وليس لها أن تتجاوزه، ثم إن القوط أنفسهم عاشوا بمعزل عن أهل البلاد، وتؤكد الكشوف الأثرية الحديثة أن معظم التركز القوطى كان فى شمال القسم الأوسط من الميسيتا Meseta

---

(1) Encyclopaedia Judaica. Jerusalem, Keter Puplishing house,1974. Vol. XV. p. 220.

(2) Poliakov, L: The history of Anti-Semitism. London, R.K.P.Vol. II p. 17.

(٣) راجع بخصوص تعريف الطبقة المغلقة. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩ ، ص١٦٢.

(٤) إبراهيم بيومى مدكور : معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص١٢١، قاموس علم الاجتماع ص٤٢٧-٤٢٨ .

الإسبانية، أى ما يعرف اليوم بقشتالة القديمة Castilla la Vieja ولم ينتشروا فى سائر شبه الجزيرة(١).

يتصل بهذا كله ما ورثه القوط عن الرومان من أوضاع اقتصادية سيئة، زادوها هم سوءاً، فكانوا يختصون أبناء الشعب الإسبانى بمعظم الضرائب، فضلاً عن السخرة Munera ، ولم يكن القوط يميزون بين الملكية الخاصة بالملك وبين الملكية العامة(٢).

إذا أضفنا إلى ذلك ما كان يسود البلاد من قلاقل وفتن فى الداخل، وحروب متصلة فى الخارج، أدركنا إلى أى مدى كانت تعانى إسبانيا.

بذلت محاولات من جانب الملوك القوط نحو الاصلاح، وكانت ترمى نحو توحيد العقيدة والقانون والتزاوج مع الرومان، على أن هذه المحاولات جاءت متأخرةً، وكانت تحتاج لعدة سنين حتى يتحقق أثرها.

ويذهب البعض إلى أن القوط لم يكونوا إسباناً فى يوم من الأيام(٣)، بل كانوا مصدراً للنكبات، التى حلت بإسبانيا على مر العصور(٤)، وإذا كان النفور بين الإسبان وبين القوط سبباً فى هزيمة الأواخر فى فوييه Vouillé أمام الفرنجة سنة ٥٠٧م، فإنه كان أيضاً سبباً فى هزيمتهم أمام العرب فى سنة ٧١١م، وبدا الأمر لدى مقدم هؤلاء كأنه ثورة شعبية ضد حكام أجانب(٥).

---

(1) King: op cit. P. 205.
(2) O' Callaghan: Op cit pp.68-69..
(3) Castro, A: The structure of Spanish history. trans by L, King. Princton, 1954 p. 62.
(4) O' Callaghan: Op cit pp.17-18..
(٥) حسين مؤنس: فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩، ص١٦ .

الفصل الأول

عناصر المجتمع فى الأندلس

انقسم المجتمع فى الأندلس إلى سبعة عناصر، هى العرب، البربر، الموالى، المولدون، النصارى المعاهدون، اليهود، العبيد.

١ – العـرب :

دخلوا فى هيئة طوالع ، قاد أولاها موسى بن نصير، فى سنة ٩٣هـ/٧١٢م ، وتشكل القسم الثانى من جنود الفتح، وتحدد معظم المصادر عددها بعشرة آلاف(١)، ويحددها البعض بثمانية عشر ألفاً(٢).

ولما ولى الحر بن عبد الرحمن الثقفى فى سنة ٩٧هـ/ ٧١٦م صحب طالعة ثانيةً، يبلغ عددها أربعمائة من وجوه أهل افريقية(٣).

على أن أهم طوالع الأندلس هى طالعة بلْج بن بشر القُشيْرى فى سنة ١٢٣هـ/٧٤١م، فقد التجأ بعض العرب ، بعد أن هزمهم البربر فى ثورتهم

---

(١) الواقدى فى الطبرى: تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م. جـ١ ص٤٨١، الرازى فى المقرى: نفح الطيب. القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٣٠٢هـ جـ١ ص١٣٠.

(٢) أخبار مجموعة فى فتح الأندلس. نشر لافوينتى ألكنترا. مجريط ١٨٦٧م. ص١٥، المقّرى: نفح الطيب جـ١ ص١٢٦.

(٣) الرازى فى المقّرى: نفح الطيب جـ٢ ص٥٦، ابن عذارى: البيان المغرب. تحقيق ليفى بروفنسال. بيروت، دار الثقافة د.ت. جـ٢ ص٢٥ .

الكبرى[١] إلى سبتة، حيث أرسلوا إلى عبد الملك بن قطن الفهرى وإلى الأندلس، يستنجدون به، فأوجس منهم خيفةً. ولما اقتدى بربر الأندلس ببربر العدوة، وانقلبوا على العرب سمح لهم بالعبور، وشرط عليهم الرحيل بعد سنة، وقد نجح العرب فى التصدّى للبربر، وهزيمتهم بوادى سَلِيْط Guazalete قرب طليطلة، على أن ما كان يخشاه ابن قطن حدث، فنازعه بلج وأصحابه، وانتزعوا منه الولاية وقتلوه[٢].

كانت الطالعة التى قادها بلج تضم نحو عشرة آلاف، بينهم ألفان من الموالى[٣] كما تضم قيسيةً ويمنيةً، على أن الطابع القيسى كان يغلب على جندى دمشق وقنسرين[٤].

وآخر الطوالع العربية بالأندلس هى الطالعة التى قادها أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى، الذى قدم سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، ومعه فريق من الشاميين، عدتهم ثلاثون رجلاً[٥].

لم تنقطع هجرات العرب إلى الأندلس، وتستدل على ذلك من قوائم الغرباء فى كتب الطبقات، ومما يجدر ملاحظته أن الأسرة الأموية، كانت

---

(١) بخصوص هذه الثورة راجع: حسين مؤنس: فجر الأندلس ص١٦١ وما بعدها وكذا عبادة كحيلة: صقر قريش. القاهرة، دار الكاتب العربى، ١٩٦٨م. الفصل الثانى.

(٢) أخبار مجموعة ص٤٠-٤٢، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٣٠-٣١.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق إبراهيم الابيارى، القاهرة، دار الكتب الاسلامية ١٩٨٢م ص٤٠.

(٤) راجع فى هذا الشأن: أخبار مجموعة ص٤٤، ٥٦، ٦٥، ٨٣، ١٠١، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٤٦، ابن حيان: المقتبس س٣.نشر أنتونيا. باريس،١٩٣٧م ص٩، اليعقوبى: كتاب البلدان. ليدن، بريل ١٨٩١م. ص٣٥٤-٣٥٥.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس.ص٤٣.

تشجع هذه الهجرة، وبخاصة من ينتمون إلى قريش. وإذا كانت هذه السياسة قد تغيرت فيما بعد، بسبب الفتن التى أثارها العرب، فإنها لم تلبث أن عاودتها فى عهد عبد الرحمن الناصر ٣٠٠هـ/٩١٢م ـ ٣٥٠هـ/٩٦١م وولده الحكم المستنصر ٣٥٠هـ/٩٦١م ـ ٣٦٦هـ/٩٧٦م(١)، عندما استقرت الأحوال، ولم يعد العرب بمنأىً عن سلطة الدولة.

لم يلتزم العرب منطقةً واحدةً يقيمون فيها ـ كما كان شأن القوط ـ وإنما انتشروا فى أنحاء البلاد جميعها، وأعانهم على ذلك التشابه الواقع بينها وبين جزيرتهم العربية(٢). على أن الوجود العربى تكثف فى مناطق معينة، وبخاصة فى المدن الواقعة على الوديان قرب الأراضى الخصبة مثل الوادى الكبير(٣)، Guadalquivír.

انقسم العرب كعهدهم أينما حلوا إلى قيسية ويمنية، وهما القبيلان العربيان الكبيران، وكان لقريش مكانة خاصة بين قبائل العرب، ولها نقيب من بنى أمية، عاصر ابن حزم أحدهم فى أواسط القرن الخامس الهجرى(٤)، ودعى بنو أمية بالشرفاء(٥)، وأحياناً بالقرشيين(٦).

(١) راجع على سبيل المثال ابن حزم: جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م. ص٢٦، ٣٤، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨ .

(٢) جمال حمدان: بين أوربا وآسيا، دراسة فى النظائر الجغرافية. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٣م ص٨٠ .

(3) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane Leiden, Brill, 1950, Vol.I pp. 83-84.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص٩٣.

(٥) ابن سعيد: المُغْرِب. تحقيق شوقى ضيف. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م جـ١ ص١٨٧، تر ١١٩ .

(٦) ابن غالب فى المقرى: نفح الطيب جـ١ ص١٣٦ .

كان اليمانية أكثر العرب اتصالاً بأهل البلاد، ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم أعرق فى الحضارة التى عاشوها فى بلاد اليمن وتخوم الشام والعراق(١). كما أن انهزامهم فى معظم الفتن التى قاموا بها ضد القيسية أوضد الدولة، جعلهم ينصرفون إلى الريف، وأضحى دورهم كأجناد ثانوياً قياساً بالقيسية، وفيما بعد نجد أن معظم من انتسب من أهل الأندلس إلى العرب أو والاهم حمل أنساباً يمنية.

أما القيسية وأغلبهم أجناد شامية، فلم تكن صلاتهم بأهل البلاد وثيقة،كما غلب عليهم البداوة، وكان معظم عرب كورة إلبيرة الذين ثاروا إبان الفتنة الكبرى قيسية(٢).

كذلك انقسم العرب إلى بلدية وشامية، والبلدية تضم العناصر العربية التى قادها موسى بن نصير، أى العرب القدماء، وكثرتهم يمنية ومدنية (فهرية)، ويرد ذكرهم لأول مرة فى الحرب بين العرب وبين البربر بوادى سليط(٣). أما الشامية فهم العرب الذين قادهم بلج بن بشر، وكان القيسية أظهرهم، وإن لم يكونوا أكثرهم، وكانت بين الحيين عداوة، تعود إلى معركة الحرة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م، التى خربت فيها المدينة المنورة.

ولما قدم أبو الخطار الكلبى فى سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م وزع الشاميين فى الكور،فأنزل جند دمشق إلبيرة، وجند الأردن ريُّه rejio وجند حمص إشبيليَة

---

(١) ابن خلدون : المقدمة. تحقيق على عبد الواحد وافى. القاهرة، لجنة البيان العربى، ١٩٥٧، جـ٢ ص٤٢٦-٤٢٧ .

(٢) وهى الثورة التى شاركت فيها عناصر المجتمع الأندلسى جميعها، ودامت نحو ستين عاماً من أواسط عهد الأمير محمد إلى صدر دولة عبد الرحمن الناصر،ونتحدث عنها تفصيلاً فى الفصل التاسع.

(٣) أخبار مجموعة ص٤٠.

Sevilla، وجند فلسطين شذونة Medina Sidonia وجند قنسرين جيّان Jaén وجند مصر باجة Beja وتُدمير Tudmir وأطلق العرب الشاميون على المدن التي نزلوها أسماء مدنهم الأصلية(١).

أصبحت هذه الأجناد عصب الجيش الأندلسي، منذ قيام الإمارة الأموية سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م، حتى عصر المنصور بن أبي عامر ٣٦٨هـ/٩٧٨م - ٣٩٢/ ١٠٠٢م، لأن الشاميين هم الذين نهضوا بهذا الجيش، ولدى تفرقهم في الكور، صار لهم ثلث أموال من نزلوا بأرضهم من أهل الذمة، وصار عليهم أن يقدموا لواءين أحدهما غاز والآخر مقيم، وكان عطاء الجندي عشرة دنانير عن كل غزوة، أما الأمير فعطاؤه مائتا دينار، وكان الشاميون يعفون من العشر.

وقد أعدت للبلدية ألوية خاصة بهم، وكان رؤساؤهم - وحدهم - هم الذين يعطون، في حين كان يكتفي للمقاتلة بالغنائم وحدها، وكان البلديون يؤدون العشر عن أراضيهم(٢).

وإذا كانت الأقطار الإسلامية شهدت في عصورها الأولى صراعات بين القيسية واليمنية، فقد ساد هذا الوضع أيضا في الأندلس، لكن هذه الصراعات جاورتها صراعات أخرى بين الشامية والبلدية، فكان الشامي القيسي يقف أحياناً مع إخوانه القيسيين ضد سائر الشاميين، وأحياناً يقف مع الشاميين اليمانيين ضد سائر القيسية.

شهد عصر الولاة فتنة بين قبائل العرب استمرت سبع سنوات

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس،ص٤٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، الخانجي، ١٩٧٣م، جـ١ ص١٠٣-١٠٤ .

١٢٣هـ/٧٤١م – ١٣٠هـ/٧٤٧م. فبعد مصرع عبد الملك بن قطن الفهرى ، ولى بلْج بن بشر القُشيرى، غير أن أهل البلد ثاروا به، ومع أنه انتصر عليهم فى وقعة أقُوَة بُرطُورة Aqua Portera فى سنة ١٢٤ هـ/ ٧٤٢م، إلا أنه أصيب بجراحات أودت بحياته(١). وظلت الفوضى تسود البلاد، حتى مقدم أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى فى سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، بيد أنه اختلف مع الصُمَيْل بن حاتم الضبابى ـ وكان شامياً قيسياً ـ وفى شذونة سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م لحقت الهزيمة بأبى الخطار، لكن الصراع لم ينته وأقام أهل الأندلس بغير وال يجمعهم(٢).

ولما رأى الصميل أن هذه الحال قد تؤدى إلى خراب البلاد، أشار بأن يكون الوالى من قريش، واقترح اسم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سليل عقبة بن نافع، غير أن الفتنة عادت، وأضحت قيسية يمانية خالصة، وفى شقُنْدَة Segunda سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م،انجلت المعركةعن هزيمةاليمانية ومصرع أبى الخطار(٣)، وضعف أمر اليمانيةإلى أن أتى عبد الرحمن الداخل ١٣٨هـ/ ٧٥٦م ـ ١٧٢هـ/٧٨٨م فاستعان بهم ليحقّق أطماعه فى ولاية الأندلس.

وفى عهد الإمارة تجددت ثورات العرب، وكانت فى غالبها يمانيةً، تحنق على الدولة التى عاونوها، ثم لم ينالوا منها حظاهم، وفى بعض هذه الثورات، اتحد زعماؤها مع العباسيين(٤) ، وفى بعضها الآخر اتحدوا مع الفرنجة(٥) . كما ثارت العصبية بين قيس ويمن فى كورة تدمير فى عهد

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس،ص٤١، أخبار مجموعة ص٤٣.

(٢) أخبار مجموعة،ص٥٦-٥٧، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٣٥.

(٣) أخبار مجموعة ص٥٩، المقرى: نفح الطيب: جـ٢ ص٦١-٦٢.

(٤) ابن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس ص٥٤-٥٥، أخبار مجموعة ص١٠١،١٠٣.

(٥) أخبار مجموعة ص١١٣-١١٤، ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٢٠٥، ٢٣، ٢٤.

عبد الرحمن الثانى ٢٠٦هـ/٨٢٢م - ٢٣٨هـ/٨٥٢ م، الأمر الذى حمل الأمير على أن يأمر عامله هناك بالرحيل عنها، ويتخذ مُرْسِيَة Murcia منزلاً له(١).

على أن العصبية العربية تجددت بصورة واضحة فى عهد الفتنة الكبرى واتخذت لها مركزين أساسيين، أحدهما فى كورة إلبيرة وقوامه شامية قيسية، والآخر فى إشبيلية وقوامه بلدية يمنية(٢)، وتوجه معظم جهدها نحو المولدين والعجم المعاهدين، ورغماً عن اتحاد العرب على تفاوت أصولهم فى هذا الصراع ونبذهم الخلافات، إلا أنه بين حين وآخر، كانت تتجدد المنازعات بين أحيائهم(٣).

وإذا كانت الدولة قد اعتمدت فى جيوشها على العرب والشاميين منهم على نحو خاص، فإنها اتجهت منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى الاستعانة بغيرهم(٤)، بل إن المنصور بن أبى عامر ٣٦٨هـ/٩٧٨م — ٣٩٢هـ/١٠٠٢ كان يجعل فى الجند الواحد قوماً ينتمون إلى عدة قبائل(٥). ويضيف الأمير عبد الله الزيرى فى مذكراته(٦)، أن أهل الأندلس – ويقصد بهم الأجناد - انصرفوا إلى عمارة أرضهم، وصاروا يؤدون عنها ما ينفق على الأجناد الجدد.

---

(١) العذرى : نصوص عن الأندلس: تحقيق عبد العزيز الأهوانى. مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥. ص٥-٦.

(٢) راجع فى هذا الشأن العذرى وابن حيان وابن عذارى فى مواضع متفرقة.

(٣) ابن حيان : المقتبس ص٣ ص٦٨.

(٤) ابن حيان فى المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص٦٧.

(٥) المصدر السابق جـ١ ص١٣٧.

(٦) كتاب التبيان: تحقيق ليفى بروفنسال.القاهرة دار المعارف ١٩٥٥ ص١٦-١٨.

هكذا تضاءل شأن العصبية العربية، ولم يتجاوز الأمر غالباً حد المفاخرات الشعرية، وبدأ ظهور الشخصية الأندلسية، فبعد وفود أعداد كبيرة من برابر العدوة، نفر منهم أهل الأندلس، ونظروا إليهم على أنهم قوم غرباء غير متحضرين، ومما أكّد هذه النظرة اقتحام البربر قرطبة Córdoba، عام ٤٠٣هـ/١٠١٣م وتدميرهم لها، وقد عبر عنها ابن حزم(١) فى عبارات رائعة تنم عن الحزن.

٢ – البـــربـــر :

يعود الفضل الأول إليهم فى فتح الأندلـس، فقـد خـاضوا المعركـة الأساسية مع القوط بوادى لكّه Guadalete سنة ٩٢هـ/٧١١م، ولاينْفى من هذه الحقيقة مجهود العرب بعد نحو عام مع موسى بن نصير وبلغ عدد البربر الذين صحبوا طارق بن زياد نحو اثنى عشر ألفاً(٢)، كما وفدت أعداد أخرى، بعد أن وصلت أخبار الفتوح إلى العدوة(٣).

ولما قامت ثورة البربر الكبرى فى سنة ١٢٣هـ/٧٤١م، وحلّت بهم الهزيمة على أيدى العرب، وتعرّضت الأندلس للقحط، عاد عدد كبير منهم إلى بلادهم الأصلية(٤)، ثم نشطت هجرتهم، حين استعان بهم بعض الأمراء الأمويين كمرتزقة، ولم يرد بالمصادر هجرة جماعية للبربر إلا فى عصر الخليفة الناصر، ثم فى عصر الحاجب المنصور(٥).

---

(١) طوق الحمامة تحقيق الطاهر مكى، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) أخبار مجموعة ص٧، الرقيق القيروانى: تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجى الكعبى، تونس ص٧٤.

(٣) الرازى فى المقرى: نفح الطيب جـ١ ص١٢١.

(٤) أخبار مجموعة ص٦٢.

(5) Lévi-Provençal: op. cit. Vol. I. p. 86.

انقسم البربر فى الأندلس ـ كما كانت حالهم فى المغرب ـ إلى بُتْر وبَرانس، وينسب البعض البتر إلى قَيْس عَيْلان، والبرانس إلى حِمْيَر(١)، وليس هناك ما يدل على وجود عصبية واضحة بين الحيين.

وكما انقسم العرب إلى شامية وبلدية، انقسم البربر على نحو مشابه ولما كثر توافد البربر العدويين فى عصر الخلافة، ظهر التمايز واضحاً بينهم وبين من سبقهم من البربر، وصار يشار إلى أهل الأندلس القدامى من العرب والبربر باسم الأندلسيين أو البلديين أو أهل البلد، بينما يشار إلى البربر الوافدين باسم الطائفة البربرية أو الطائفة المغربية أو البرابر أو البرابرة، وزاد من حدة هذا التناقض، ما جرى من فوضى إبان عهد سقوط الخلافة، وما ارتكبه هؤلاء من شناعات فى اقتحامهم قرطبة سنة ٤٠٣هـ.

وإذا كان من اليسير تحديد منازل العرب فى الأندلس، فإن الأمر يختلف بالنسبة للبربر، على أنه فى المنطقة التى تبدأ من جبال البرت Pirineos وتنحدر إلى مدينة سالم Medinaceli نواجه كتلةً بربريةً ضخمة، تصل إلى أحواز طليطلة، وتمتد هذه الكتلة غرباً، فتشمل المنطقة الواقعة بين التاجُه Tagus والدُويرُه Duero حتى الساحل عند قُلُمْرِيَّة Coimbra، وينتهى الاستقرار البربرى فى أطراف غاله وجِلِّيقيَّة Galicia(٢).

ويرى بعض الكتّاب(٣) أن العرب اختصوا أنفسهم دون البربر بأحسن الأرضين ، مما كان سبباً فى ثورة هؤلاء، على أن ذلك لايمنع أن كثيراً من

---

(١) مجهول : نبذ تاريخية جامعة. تصحيح ليفى بروفنسال، الرباط: ١٩٣٤م ص٦٥، ابن خلدون: العبر بولاق ١٢٨٤هـ جـ٦ ص١٣٩ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٣٨١-٣٨٥.

(3) Dozy: Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne. leyde, Brill, 1881 Vol. pp. 218-219.

البربر اختار السكنى فى المناطق الجبليـة، للتشابه الواقـع بينهـا وبيـن بلادهـم الأصلية(١).

لم يمنع إعلان الامارة الأموية من توالى ثورات البربر، وكان أخطرهـا وأقواها جميعاً ثورة شقنا بن عبد الواحد بشَنْتَبَرِيَّة Santa María فقد بنى لنفسه حصناً يمتنع به، ولم يتمكّن عبد الرحمن الداخل من التغلّب عليـه إلاّ بعد ثماني سنوات(٢). واستمرت الثورة التى قام بها أهل تاكُرُنّا Takrouna فى سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م سبع سنوات مما جعلها قفراً(٣)، ثم عادوا إلى الثورة سـنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م(٤). أمـا مـاردة Mérida فثـارت فـى عهـد الحكـم الربضـى (١٨٠هـ ـ ٧٩٦م ـ ٢٠٦هـ ـ ٨٢٢م) سـنة ١٩٠هــ/٨٠٦م(٥)، وتجـددت الثورة بها فـى سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، والتجأ زعيمهـا وهـو محمـود بن عبد الجبار بن راحلة إلى ملك جليقية، وأقامَ عنده فترة، ثم اختلف معه وقتل(٦).

وفـى عهد الفتنـة الكبرى تعددت مراكز ثـورة البـربر، ويذكـر ابـن حيان(٧) من ثوراهم خمسـة، أخطرهم بنـوذى النـون فـى كـورة شنت بريـة، وكان البربر فى الفتنة يتّحدون أحياناً مع أهـل البلد مـن العـرب، وفـى أحيـان أخرى يتّحدون مع المولدين(٨).

---

(1) Lévi- Provençal: op. cit. Vol. I. pp87-88.

(٢) أخبار مجموعة ص١٠٧ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل بولاق، ١٢٦٠هـ جـ٥ ص٢٤٤، جـ٦ ص٣ وما بعدها.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٦٤، ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٥٢.

(٤) المصدر السابق جـ٧ ص١٨.

(٥) أخبار مجموعة ص١٣٨-١٣٩، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٧٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص١٥١.

(٧) ابن حيان: المقتبس س٣ ص١٧-١٨.

(٨) المصدر السابق ص٣ ص٢٥.

ولما زالت الدولة العامرية فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م بدأ عهد من الفوضى، امتدّ حتى سقوط الخلافة فى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م. وساند البربر سليمان المستعين ضد محمد المهدى، واستولوا على دولته(١)، ولما استعاد الأمويون نفوذهم فى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م، لم ينقطع البربر عن التدخل فى شئون الدولة(٢)، بل بدأ ظهور الدول البربرية فى نواح متعددة من الأندلس، مثل بنى الأفطس فى بَطَلْيَوْس Badajoz وبنى ذى النون فى طليطلة، وبنى زيرى بن مَنَاد فى غَرْناطة Granada إلى جانب بنى حمود فى مالَقَة Málaga والجزيرة Algeciras.

اختصّ الأمويون بالأندلس البربر بعنايتهم منذ البداية، خاصةً بعد أن أظهروا استياءهم من العرب، واتخذوا منهم بعض قوادهم ووزرائهم وكبار رجال دولتهم، وكان بين البربر من يحمل إلى جانب الأصل البربرى الولاء الأموى، مثل بنى الليث من زناتة، وبنى الخَرُوبى موالى الوليد بن عبد الملك، وبنى وانسوس من مِكْناسة موالى عبد العزيز بن مروان، وبنى الزَجَّالى من وَرْفَجُومَة.

وكان أول من تولّى قضاء الجماعة من البربر أحمد بن بقى بن مَخْلَد فى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م(٣)، ومن أشهر قضاة البربر محمد بن يبْقى بن زرب وقد ولى القضاء فى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م، وكان شديدا على أهل البدع(٤).

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص٦٦ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق جـ٣ ص١٣٥، المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص٢٢٨.

(٣) الخشنى : قضاة قرطبة. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م ص١١١-١١٢.

(٤) النُباهى : المرقبة العليا. تحقيق ليفى بروفنسال. القاهرة، دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨م ص٧٨-٧٩.

وكان دور البربر فى الثقافة الأندلسية وافراً، ونستدل على ذلك مما ورد فى رسالة ابن حزم فى تفضيل الأندلس(١)، كما نجد فى كتب الطبقات مادةً غزيرةً عنهم. وكان يحى بن يحى الليثى (ت ٢٣٢ أو ٢٣٤هـ) ممن اتهم فى ثورة الربض، فهرب إلى طليطلة ثم استأمن، فكتب له الحكم أماناً، وانصرف إلى قرطبة، ثم عظم مكانه لدى عبد الرحمن الأوسط، ويرجع إليه وإلى عيسى بن دينار الفضل فى نشر مذهب الإمام مالك فى الأندلس(٢).

أما بقى بن مخلد (ت ٢٧٦هـ) فسمع من يحى بن يحى، وله تفسير القرآن، ويؤكد ابن حزم(٣) أنه لم يؤلف مثله، ولايجاريه الطبرى ولا غيره.

وكان عباس بن فرناس التاكرنى (ت ٢٧٤هـ) مولى بنى أمية شاعراً إلى جانب كونه كيميائياً، كما كان فلكياً صنع آلة لمعرفة الوقت، على أن شهرته تنبع أساساً من محاولته الطيران وفيه يقول الشاعر مؤمن بن سعيد(٤):

يَطِمُّ على العَنْقاء فى طيرانها   إذا ما كسا جثمانه ريشَ قَشْعَمِ

ومن شعراء البربر المبرزين أحمد بن محمد بن دَرّاج القسطلّى (ت ٤٢١هـ) وكان على قول صاحب اليتيمة(٥) بصقع الأندلس كالمتنبى

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ٢ ص١٣١ وما بعدها.

(٢) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م جـ٢ ص١٧٩-١٨٠ تر ١٥٥٦، ابن فرحون: الديباج المذهب-تحقيق محمد الأحمدى أبو النور. القاهرة، دار التراث ١٩٧٢ جـ٢ ص٣٥٢.

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص١٣١.

(٤) ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٣٣٣ تر ٢٣٩، المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص١٣١-٢٣٢.

(٥) الثعالبى: تحقيق محمد اسماعيل الصاوى. القاهرة، المكتبة الحسينية، ١٣٥٢هـ جـ٢ ص٩٠.

بصقع الشام" واتصل بالعامريين ورجال دولتهم، ومدائحه فيهم لاتقل عن الستين قصيدة، وفيه يقول ابن حزم(١) "لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دُرَّاج، لما تأخر عن شأو حبيب(٢) والمتنبي".

كذلك كان للبربر دور هام في نشر الإسلام بالأندلس، وقد هيأت لهم كثرتهم العددية القيام بالجهد الأكبر في الفتوح وراء الثغور، ولولا ماحدث بينهم وبين العرب من نزاعات، لكان للإسلام في هذه الأصقاع شأن آخر.

٣ – الموالي :

لم يشكّل الموالي عنصراً أو طبقةً بالمعنى المفهوم، والفئة الوحيدة المترابطة، هي التي كانت على صلة بدوائر الحكم، ونعني بها الموالي الشامية بقرطبة، ويليهم الموالي الصقالبة، ومنهم الموالي العامريون.

كان الموالي من أصول شتى، وكان بعضهم – كما أوضحنا – من البربر، كما كان بعضهم من الفرس مثل بني جَهْوَر، وجدهم يوسف بن بُخْتَت وكان في جند قِنَّسْرِيْن، وأيّد عبد الرحمن الداخل. وكان البعض الآخر من الروم، مثل بني بسيل، وجدهم عبد السلام بن بسيل، مولى هشام بن عبد الملك، قدم إلى الأندلس في عهد الداخل(٣).

كان بعض الموالي من أصل عربي، وأشهرهم بنو شُهَيْد من أشْجَع وجدهم الوضاح بن رزاح، كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج

---

(١) الحُمَيْدي : جذوة المقتبس القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ ص ١١٣ تر ١٨٦.

(٢) وهو الشاعر الكبير أبو تمام حبيب بن أوْس الطائي.

(٣) ابن الأبَّار : الحلة السّيَراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣ جـ٢ ص٣٧١ تر ٢٠١.

راهط ٦٥هـ - ٦٨٥م، وأسره مروان بن الحكم ثم أطلق سراحه[١]، وكذا كانت حال بني أبي عبدة حسان بن مالك، وينتمون لكَلْب بن وَبَرة، وجدهم الأعلى كان مع مروان يوم المرج[٢].

كما كان عدد من الموالي من أهل البلاد الأصليين، مثل بني قَسِّي أصحاب الثغر الأعلى موالي الوليد بن عبد الملك، وبني موسى الوزير مولى بني عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي.

على أن غالبية الموالي بالأندلس كانت أمويةً، ومما يجدر ذكره أن جرت العادة عند بعض الكتاب الأندلسيين، أنهم يكتفون في أحيان كثيرة بالنسبة الأموية، بل وصل الأمر عند صاحب الأخبار المجموعة[٣] أنه أطلق على موالي بني أمية تعبير بني أمية فحسب.

يختلف الولاء في الأندلس عن نظيره في المشرق، حيث كان يقصد به في معظم الأحوال المسلمون من غير العرب[٤]، الذين لم يحصلوا على حقوق المواطنة الكاملة في خلافة دمشق، الأمر الذي دعاهم في أحيان كثيرة إلى مناهضة الدولة والثورة ضدها، وأحياناً كانوا يؤدون الجزية مع دخولهم في الإسلام[٥].

أما في الأندلس، فقد اختلف الوضع، ولابن خلدون[٦] نظرية طريفة في

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ص٣٣٣ تر ٧٣٢.

(٢) المصدر السابق ص٦٦ تر ٩٤٠.

(٣) ص ٦٦ وما بعدها.

(٤) فيليب حتي:تاريخ العرب-مطول- بيروت، دار الكشاف،١٩٥٣م جـ٢ ص٢٩٩.

(٥) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية. ترجمة محمد أبو ريدة. القاهرة، لجنة التأليف، ١٩٦٨م. ص٢٣٥.

(٦) المقدمة. جـ٢ ص٤٣٣-٤٣٥، ٤٦٢، ٤٦٤.

هذا الشأن، فهو يقرر أن الملك يحصل بالعصبية، ولكن بعد أن تستقر الأمور، قد تستغني الدولة عن العصبية بالموالي، والصلة التي تحصل بالولاء، تصير أقوى من الصلة الحاصلة بالنسب.

وإذا كان الولاء ثلاثة أنواع: عتاقة (أو انعام)[١] واصطناع وحلف، فالنصوص الخاصة بتحديد صفة الولاء في الأندلس قليلة، ومما لاشك فيه أن فريقاً من الموالي الذين ينتمون إلى أصول اسبانية قوطية كان ولاؤهم ولاء اصطناع، أي أنهم كانوا في الأصل أحراراً، ثم دخلوا في ولاء ملوك القوط، وانتقلوا بعد ذلك إلى ولاء الأسرة الأموية، وربما دفعهم إلى ذلك الرغبة في الاحتفاظ بامتيازاتهم.

انقسم الموالي إلى شامية وبلدية، كما كانت حال العرب، وقد تنازع الفريقان الصدارة، فانحاز الأمير محمد ٢٣٨هـ/٨٥٧م ـ ٢٧٣هـ/٨٨٦م إلى جانب الموالي الشاميين[٢] الذين كان يتزعمهم بنو أبي عَبْدَة، أما الموالي البلديون فتزعمهم بنو حُدَيْر[٣].

كان يدخل في طبقة الموالي من حين لآخر عناصر جديدة، ففي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م قدم على عبد الرحمن الأوسط بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من تيهرْت بالمغرب[٤]، وصاروا في عداد الموالي، وكان قد سبقهم في عهد الحكم الربضي بعض أقربائهم[٥]. وفعل الشيء نفسه

(١) يميز مؤنس بين ولاء العتاقة وبين ولاء الانعام. فجر الأندلس ص٤٠٥ في حين أن قواميس اللغة تجعل مولى النعمة هو نفسه مولى العتاقة. ابن منظور : لسان العرب. دار المعارف ١٩٨١م جـ٦ ص٥٤٩٢.

(٢) ابن حيان : المقتبس س٢.تحقيق محمود مكي. بيروت. ١٩٧٣ ص١٣٧.

(٣) المصدر السابق ص١٩٦.

(٤) ابن سعيد : جـ١ ص٤٨ تر ٢.

(٥) ابن الأبار : الحلة السيراء جـ٢ ص٣٧٢ تر ٢٠٢.

عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني، الذى قدم من مصر واتصل بعيسى بن شهيد الذى أوصله إلى عبد الرحمن الأوسط وولى الوزارة(١).

وكان يصدر أحياناً أمر بضم البعض إلى طائفة الموالى، كما حدث مع عبد الرحمن بن جُرَيْج الذى قرر الحكم المستنصر إلحاقه بالموالى القرطبيين(٢).

اشتهر من الموالى بعض البيوتات، منها بنو أبى عبدة، بنو مغيث، بنو شُهَيْد، بنو بَسيل، بنو فُطَيْس، بنو حدير، بنو الزَجَّالي، بنو وانسوس، بنو غانم، بنو عبد الرءوف، بنو خالد، وغيرهم.

قام الموالى بدور كبير في ادارة الدولة، وبخاصة فى مجالات الحرب والسياسة، وإن نافسهم العرب أحياناً، وبعض أفراد الأسرة الأموية كما تولّوا بعض المناصب الدينية مثل المَشُورَة، والفتيا، وفى أواخر القرن الثانى ولى بعضهم القضاء فى الكور(٣)، وكان أول من تولّى منهم قضاء الجماعة بقرطبة، عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة فى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م رغماً عن استياء العرب(٤)، وولى القضاء بعده كثير من الموالى.

كانت مساندة الموالى لمحمد ولد عبد الرحمن الأوسط من الأسباب التى أدت إلى توليته بدلاً من أخيه عبد الله(٥)، كما عاونوا المنصور بن أبى عامر

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٨٨-٨٩.

(٢) ابن حيان: المقتبس قطعة الحكم المستنصر. تحقيق عبد الرحمن الحجى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م. ص٩٢.

(٣) القاضى عياض: ترتيب المدارك تحقيق أحمد بكير محمود. بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٨م. جـ٢ ص٠٥١.

(٤) الخشنى : قضاة قرطبة ص٦٧.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٩١-٩٤.

فى صراعه مع المصحفى جعفر(١)، وكان انصراف محمد المهدى عنهم، من أسباب سقوطه سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، الأمر الذى دفع خصمه سليمان المستعين على التودد إليهم(٢).

كان دور الموالى فى الفتنة الكبرى محدوداً، ويذكر العُذْرى(٣) وابن حيان(٤) من ثوارهم خمسة، أربعة منهم كانوا على الطاعة، والأخير يرجع أنه من الموالى البلديين أى أنه كان مولداً، وكان المولّدون عصب هذه الفتنة.

لم يظهر الموالى نشاطاً واضحاً إبان سقوط الخلافة، إذ كانت القوتان الأساسيتان هما الصقالبة والبربر، غير أنهم شاركوا فى الأحداث بين حين وآخر، فلما ولى الناصر بن حمود فى سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م حبس أبا الحزم جَهْوَر - زعيم أهل قرطبة - وصادر أمواله. واختصّ عبد الرحمن المستظهر بعد مبايعته سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م ببعض موالى بنى أمية بينهم ابن حزم(٥). واشترك أبو الحزم جهور فى إعادة الأمر إلى بنى أمية فى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، ومبايعة هشام الثالث المعتد بالله كما تزعمهم فى خلعه سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، وقامت دولة بنى جهور(٦).

أما عن دور الموالى فى الحياة الثقافية ، فقد كان دوراً هاماً وعرف

---

(١) ابن خاقان: مطمح الأنفس. قسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ ص٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص٧٤.

(٣) نصوص عن الأندلس ص١٢، ١٣، ١١٢-١١٤.

(٤) المقتبس س٣ ص٢٢، ٢٤، ٣٢.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص١٢٣، ابن بسام: الذخيرة، تحقيق احسان عباس بيروت، دار الثقافة ١٩٧٩، ق١، م١، ص٥٠-٥١.

(٦) الحميدى: جذوة المقتبس.ص٢٧، عبد الواحد المَرّاكُشى: المعجب. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة، المكتبة التجارية ١٩٤٩م ص٥٧.

عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ) بعالم الأندلس، واشتهر بكتابه "الواضحة" كما كان مؤرخاً(١). ومن الموالي محمد بن أحمد بن عبد العزيز العُتْبي (ت ٢٥٥هـ) واشتهر بكتابه "المستخرجة" أو العتبية" وقد أتى فيه بالمسائل الغريبة(٢).، ومحمد بن وضاح بن بزيغ (ت ٢٨٧هـ) وأسهم مع بقي ابن مخلد فيجعل الأندلس دار حديث(٣)ومحمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ) وكان اماماً فى الفقه بصيراً بالفتيا(٤)، وقاسم بن أصبغ البياني (ت ٣٤٠هـ) وكان متعدد الجوانب، وإليه كانت الرحلة، وأثنى عليه ابن حزم(٥).

ومن الموالي الذين نبغوا في غير مجال العلوم الدينية مؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧هـ) وكان شاعراً، دعي بدعبل الأندلس(٦)، وأحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨) صاحب كتاب "العقد الفريد" وعرف بشاعر الأندلس، وابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) وشهرته عند أهل الأندلس تعود إلى كونه لغوياً، وأحمد ابن رشيق مولى بني شهيد (ت بعد ٤٤٠هـ) وبرع في الرسائل، وحظى عند مجاهد العامري ٤٠٨هـ/١٠١٧م ٤٣٦هـ/١٠٤٤م بدانية Denia(٧).

وفي مستهل القرن الخامس ظهر ثلاثة من كبار الأدباء الموالي، وهم أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد (ت ٤٢٦ هـ)،

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص٢٦٩-٢٧٢ تر ٨١٦.

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص٦-٧، تر ١١٠٤، الحميدي:جذوةالمقتبس ص٣٩ تر٥.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص١٥-١٧ تر ١١٣٦.

(٤) المصدر السابق : جـ٢ ص٣٤-٣٥ تر ١١٨٩.

(٥) المصدر السابق : جـ١ ص٣٦٤-٣٦٦ تر ١٠٧٠.

(٦) ابن سعيد : المغرب جـ١ ص١٣٢ - ١٣٣ تر ٤٦.

(٧) الحميدي : جذوة المقتبس ص١٢٣-١٢٤ تر ٢٠٨.

واشتهر برسالة "التوابع والزوابع"(١) التى سبق بها أبا العلاء المعرى فى "رسالة الغفران" . وأبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ويصعب علينا أن نجد صنفاً من صنوف المعرفة لم يكتب فيه. وأبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن خلف بن حيان (ت ٤٦٩ هـ) وهو أكبر مؤرخى المغرب الإسلامى.

ويعد الصقالبة(٢) من الموالى، ويأتى ذكرهم أحياناً على أنهم مرادفون للخصيان(٣)، وغالباً ما كان يطلق تعبير فحل على من لايتم خصاؤه(٤)، وعرفوا فى زمن الفتنة التى صاحبت سقوط الخلافة بالعبيد(٥).

---

(١) راجع أخبار ابن شهيد ورسائله وجملاً من شعره ونثره فى ابن بسام: الذخيرة ق ١ م١ ص١٩١-٣٣٦.

(٢) Esclaves وتعنى حرفياً العبيد، وعند الاستعمال تعنى أهل البلاد التى تلى بلاد الجرمان شرقاً، لكن الواقع كان يدخل فيهم أجناس أخرى غير السلاف، وهو ما يتضح من حديث ابن حوقل عنهم، فكانوا يأتون من جليقية وافرنجة وانكبردة (لمبارديا) وقلورية (كالابريا) وغيرها. صورة الأرض. تحقيق دوزى، ليدن، بريل ١٩٣٨م ص١١٠ ولدينا أمثلة على ذلك فعبد الرحمن بن مروان (الجليقى) الثائر فى المولدين من حشم الأمير محمد. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص١٠٧.كما كان طرسوس المجوسى (أى النورمانى) من فتيان عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبى عامر وقد تآمر عليه. ابن عذارى:البيان المغرب جـ٣ ص٥٥.وفى سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م دخل فى الحشم خمسة من البجناك (أى المجريون) ابن حيان: المقتبس س٥.تحقيق شالميتا. الرباط ١٩٧٩م ص٤٨٢-٤٨٣.

(٣) راجع الدراسة القيمة لديفيد أيالون D.Ayalon عن الخصيان فى الإسلام. Jerusalem Studies in Arabic and Islam. Vol.I. 1979 The Hebrew Univ. والمراجع المعطاة.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص١٦٦- ١٦٧.

(٥) المصدر السابق جـ٣ ص٨٢.

ولا نعلم بالتحديد متى بدأ أمراء بني أمية في الاستعانة بالصقالبة، ويذكر أن عبدالرحمن الأول استحجب منصوراً الخصي(١) وربما كان من الصقالبة، على أن الحكم الأول استكثر منهم، وبلغت عدتهم خمسة آلاف من بينهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل(٢)، وقد لعبوا دوراً بارزاً في أحداث الربض، ووصل الصقالبة إلى ذروة مجدهم في عصر عبد الرحمن الثالث، وكان الفتيان منهم يشغلون بعض المناصب الكبرى في القصر، ومنها رئاسة الحرس(٣)، كما استعان بهم المنصور بن أبي عامر، وأقبل على شرائهم، وعرفوا فيما بعد بالفتيان العامرية، ولدى وفاته ترك سبعةً من الفتيان الكبار(٤).

لعب الصقالبة دوراً هاماً في تولية الأمير محمد مكان أبيه عبد الرحمن الأوسط(٥) وحاول فائق وجؤذر أن يلعبا الدور نفسه بعد وفاة الحكم المستنصر، ويأتيا بالمغيرة أخيه، بدلاً من ولده الصغير هشام، غير أنهما فشلا في تحقيق مأربهما، بفضل دهاء المنصور وسعة حيلته(٦).

أدى ازدياد نفوذ الصقالبة إلى إثارة العرب على الدولة، وهو ما ظهر أثره في معركة الخندق Alhandega سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م، التي انتصر فيها الجلالقة على عبد الرحمن الناصر، وكاد يفقد حياته(٧).

---

(١) المقري : نفح الطيب جـ٢ ص٧٢.

(٢) المصدر السابق جـ١ ص١٦٠، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص١٣٩.

(3) Lévi Provençal: l' Espagne Musulmane au Xéme siécle Paris, 1932. p. 54.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام : تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف ١٩٥٦م ص١٢١.

(٥) ابن حيان: المقتبس س٢ ص١٠٨.

(٦) ابن حيان في ابن بسام: الذخيرة ق٤ م١ ص٥٨.

(٧) أخبار مجموعة. ص١٥٥-١٥٦.

وإذا كان دور الصقالبة في الفتنة الكبرى ضعيفاً، شارك فيها اثنان منهم(١)، فإنهم في فترة سقوط الخلافة، كانوا يشكّلون القوة الأساسية الموازية للبربر والمناهضة لهم في الوقت نفسه؛ ولم يكن لهم موقف ثابت حول محمد المهدي، لكنهم أيّدوا هشاماً المؤيد ضد سليمان المستعين وأتباعه من البربر، وتولى واضح حجابته. وتبع اقتحام البربر قرطبة في سنة ٤٠٣هـ هروب الموالي العامريين إلى شرق الأندلس، لكنهم عاودوا التدخل في الأحداث بالحضرة، فأحياناً يناصرون الحموديين وأحياناً يناصرون الأمويين إلى أن ولي هشام الثالث(٢) سنة ٤١٨هـ.

وفي أواخر عصر الخلافة تقاسمت الأندلس دويلات عربية وبربرية وصقلبية، وامتدت سيطرة الصقالبة من نهر ابْرُه حتى الجزائر الشرقية Islas Baleares فاستبد خيران بالمرية Almería وزهير بمُرْسِيَة، ومبارك ومظفر ببلنسية Valencia ولبيب بطرطوشة Tortosa، وأشهر هؤلاء جميعاً مجاهد الذي اختص بدانية، وفتح جزيرة سردانية وبث الرعب على سواحل إيطاليا، وأسس دولةً دامت حتى سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م.

أسهم الصقالبة في الحياة العقلية بالأندلس، وأشهرهم في عصر المنصور العامري فتى يدعى فاتن (ت ٤٠٢هـ) كان ملماً بكلام العرب وناظر صاعداً البغدادي (ت ٤١٧هـ) بمجلس المنصور وغلبه وأسكته وعثر في تركته بعد وفاته على دفاتر أدبية حسنة(٣). ولما قامت الدويلات الصقلبية

---

(١) ابن حيان: المقتبس س٣ ص٢٥، العذري: نصوص عن الأندلس ص١٠٤-١٠٥.

(٢) راجع هذه التفاصيل في ابن عذاري: البيان المغرب جـ٣ ص٥٠ وما بعدها.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ق٤ م١ ص٣٤، المقري: نفح الطيب جـ٢ ص٨٩-٩٠.

شجع أمراؤها الحركة العلمية، وأثنى ابن حيان(١) على مجاهد واشتغاله بالعلم، حتى صار نسيج وحده، وجمع كتباً جمة.

يرتبط الصقالبة أيضا بحركة الشعوبية، ويلاحظ جولد تسيهر أن هذه الحركة في الأندلس، كانت تختلف عنها في المشرق، فلم تضم ملاحدةً ولا زنادقة(٢). ومن رجالها حبيب الصقلبي الذي تعصب لقومه، في كتاب "الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة" ويعده جولد تسيهر البداية الأولى للشعوبية في إسبانيا الإسلامية، غير أنه من المرجح أنها بدأت قبله بمائة عام فتذكر المصادر محمد بن تليد المعافرى قاضى وَشْقَة Huesca (ت ٢٩٥هـ)(٣) وعبد الله بن الحسن المعروف بابن السندى قاضى وشقة أيضاً (ت ٣٣٥هـ)(٤) وهما من المولدين.

ومن الشعوبيين الذين ظهروا في أوائل القرن الخامس اللغوى الكبير أبو الحسن على بن إسماعيل المرسى الضرير المعروف بابن سيده(٥) (ت ٤٨٥هـ) وهو من المولدين ، على أن أشهرهم جميعا أبو عامر أحمد ابن غَرْسية، ونص رسالته هو النص الوحيد الباقى عن الشعوبية في اسبانيا، ولدينا منه نسختان، إحداهما في كتاب الذخيرة والأخرى في مكتبة

---

(١) في ابن بسام: الذخيرة ق٣ م١ ص٢٣.

(٢) عبد السلام هارون: نوادر المخطوطات، القاهرة، لجنة التأليف ١٩٥٣، م٣ ص٢٤١-٢٤٢.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص٢١، تر ١١٤٩.

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص ٢٢٧-٢٢٨ تر ٦٨٧.

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢٩٥، ح.م١١ ق٢ ص١٨٠.

الإسكوريال(١) وتصحب كل نسخة رد ود على ادعاءات ابن غرسية، كما وردت بعض الردود فى كتاب البَلَوى ألِفْباء(٢).

٤ – المُــولَّدون :

كان من الطبيعى عند فتح العرب أحد الأمصار، أن يسارع إلى الإسلام فريق من أهله، ثم يتزايد عددهم فيما بعد، وكذلك كانت الحال فى الأندلس. وقد أطلق العرب علــى من أسلم من أهلها لفظة مولدين(٣) وعلى أحدثهم اسلاماً مسالمة، كما كان يطلق عليهم أحيانا موال، وهو مايتضح من روايتى ابن حيان والعذرى عن ثورتهم بإشبيلية(٤).

أما عن النواحى التى تركز فيها المولــدون، فيذهب ليفى بروفنسال(٥) إلى أنهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من الســكان المسلمين فى الجنــوب

---

(١) نشرت ضمن مجموعة نوادر المخطوطات وضمن كتاب الصقالبة لأحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٣.

(٢) مصر، بولاق ١٢٨٧هـ جـ١ ص٣٥٠-٣٥٢.

(٣) جانب البعض الصواب، حين اعتبر المولدين، من كان آباؤهم عرباً وأمهاتهم اسبانيات. ولدى انتقال لفظة مولدين إلى إسبانيا العصور الوسطى صارت Muladiés ويشار إليهم أحياناً باسم Mauladines و Mulados و Muzlitas ويشير الأب سمسون إلى الجنس المولدى La Raza Muladí ويميز ألفرو القرطبى والفس ليوفيجيلدوين Mozlemitas و ال Ismaelitas وهم العرب الصرحاء.

راجع: Isidro de las Cagigas: Los Mozárabes, Madrid 1947 tomo.1. pp.55-56.

وفى معجم التاريخ الأسبانى أطلق تعبير Mulato على أبناء الإسبان من الزنجيات Madrid, 1952. tomo II p. 589.

(٤) المقتبس : س٣ ص٦٨، نصوص عن الأندلس ص١٠١.

(5) Histoire de l'Espagne Musulmane, Vol. 1 pp.74-75.

والشرق، وخاصة في كورة إلبيرة، التي شهدت معارك طاحنة بينهم وبين العرب في عهد الفتنة الكبرى، وكذا كانت الحال في إشبيلية، حيث كان لهم اثنا عشر رئيساً، وفي طليطلة وغيرها من مناطق الثغور(١).

وليس لدينا ما يدل على أن المولدين كان يختصون بأحياء معينة داخل المدن، بل إنهم في إشبيلية وطليطلة كانوا يسكنون المدينة في حين سكن العرب خارجها، على أنهم في قرطبة، كانوا يختصون بالضاحية الجنوبية، وهي شقندة التي عرفت بالربض Arrabal فبعد اعادة بناء القنطرة الرومانية في عهد هشام الأول ١٧٢هـ/٧٨٨م - ١٨٠هـ/٧٩٦م، امتد العمران إلى الضفة اليسرى من النهر، فعمرت شقندة القديمة بالعامة والحرفيين والتجار من المولدين والمعاهدين، وبسبب موقعها القريب من القصر والجامع، جاور المولدين عدد من الموظفين والفقهاء المالكية(٢)، الذين استعانوا بهم في صراعهم مع الأمير الحكم.

ويذهب ليفي بروفنسال(٣) إلى أن المولدين كانوا يعيشون على تربية الماشية والزراعة في الأرياف، وعلى صيد الأسماك والأعمال البحرية في المناطق الساحلية، أما في المدن فزاولوا حرفاً واشغالاً يدوية كما مارسوا العمل بالتجارة، واشتهروا في اشبيلية بثرائهم(٤).

لم يكن للمولدين نشاط في الحياة العامة إبان عصر الولاة، كما لم يشتركوا في فتوحات العرب وراء البرتات، لكنهم اشتركوا في حروب الدولة إبان عصر الامارة، فكانوا يدخلون في جملة القوات الإحتياطية ، ولا يمنحون

---

(١) ابن حيان : المقتبس س ٣ ص١٠١.

(2) Lévi-Provençal: op. cit Vol. 1 pp.161-162.
(3) Ibid p.76.
(4) Dozy: Spanish Islam. p. 337.

مرتبات، بل يأخذون نصيبهم من المغانم(١)، وكانت الدولة تعهد اليهم بمناصب الوزراء والقواد، عندما تجد فيهم من هم أهل للثقة(٢).

وفي عهد عبد الرحمن الثاني كان نصر الخصي، يتمتع بمنزلة رفيعة عنده، وقاد جيوش الدولة في حربها ضد المجوس (النورمان) سنتي ٢٢٩هـ-٢٣٠/٨٤٣ م(٣)، كما كان له دور هام في أحداث الشهداء بقرطبة وفي عهد الأمير محمد كان من رجاله النابهين محمد بن موسى الذي استوزره غداة بيعته(٤)، وكلاهما من المولدين.

تقلد بعض المولدين مناصب هامة خلاف الوزارة، فعبد الله بن عمر ابن الخطاب بن أنجلين (ت ٢٧٦هـ) ولي قضاء إشبيلية(٥)، ومحمد بن عمر ابن لبابة (ت ٣١٤هـ) شاور في الأحكام في عهد الأمير عبد الله وانفرد بالفتيا في عهد الناصر وولاه الصلاة(٦). على أن أول من ولي قضاء الجماعة من المولدين، هو عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية مولى بني قطيس في سنة ٤٠٧هـ، ولمدة اثنتي عشر عاما، وكان معروفا بشعوبيته(٧).

كان للمسلمين من عرب وبربر صلات مع المولدين، فقد جاوروهم وصاهروهم، وادعى عدد منهم أنساباً عربيةً (يمنية في المحل الأول) ، ومع

---

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٦٠٢.

(2) Lévi-Provençal: op cit. Vol 1. pp.131-132.

(٣) ابن حيان : المقتبس ج٢ ص١٤-١٥.

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٨٩-٩٠.

(٥) الحميدي : جذوة المقتبس ص٢٦٣ تر ٥٥٧.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص٣٤-٣٥ تر ١١٨٩.

(٧) ابن سعيد: المغرب جـ١ ص١٥٨ تر ١٠٠.

أن الدولة قطعت مرحلةً طويلة في استيعابهم، فإنها كانت تنظر إليهم أحياناً بعين الشك، ويتجلى ذلك في هيج الربض وفي حادثة الشهداء النصارى.

كان المسلمون الجدد يتعصبون أحياناً تعصباً ساذجاً وجاهلاً في الوقت نفسه، ويأخذون على الدولة التهاون في إقامة دينها، وهكذا أضحوا مطية للفقهاء المالكية(١) الذين كانوا ينقمون على الحكم الأول، أن حرمهم نفوذهم الذي حظوا به في عهد أبيه هشام. وفي ثورتهم سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م حاصروا القصر وكادوا يفتكون بالأمير، ولدى قمع الثوار، صلب من زعمائهم ثلاثمائة، وهدم الربض الذي صار مزرعةً، وتفرق القوم في أقطار الأندلس وخارجها، ولحق بالإسكندرية عدد كبير منهم، وأقاموا بها إلى أن أجلاهم عبد الله بن طاهر بن الحسين عنها في سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، فغادروها إلى جزيرة إقريطش - كريت - فملكوها إلى أن استعادها الروم في سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م(٢).

وفي القرن الثالث أيضا سعى عدد من المولدين في مناطق الثغور إلى الاستقلال عن الدولة، وأشهر هؤلاء موسى بن موسى القسوي الذي أطلق على نفسه لقب "ثالث ملوك اسبانيا"(٣).

---

(1) Cambridge Medieval history Vol III p. 414.

(٢) راجع بخصوص هذه الأحداث ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٦٨-٦٩، ابن الأبار: الحلة السيراء جـ١ ص٤٤-٤٥ تر ١٠، ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص١١٠-١١١، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٧٥-٧٦، ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٤٢ تر ١، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة. القاهرة، دار الكتب ١٩٢٩م جـ٢ ص١٥٨، فازيليف: العرب والروم. ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة. القاهرة، دار الفكر العربي، ص٥٦ ومابعدها.

(3) Dozy: Spanish Islam. p. 312.

وفى أواخر عصر الامارة تعرضت الأندلس لثورة دعيت بالفتنة الكبرى شاركت فيها عناصر المجتمع جميعها، وكان للمولدين الدور البارز فيها، كما حالفهم المعاهدون من النصارى، وارتد عدد منهم عن الإسلام، وعلى رأسهم زعيمهم الكبير عمر بن حفصون.

وفى أوائل القرن الرابع كانت الفتنة الكبرى تجتاز آخر مراحلها، وتوفى عمر بن حفصون فى سنة ٣٠٥هـ/٩١٨م، وكان موته بداية النهاية للمولدين كطبقة، فقد عاملتهم الدولة بعنف أطاح بالعناصر المتطرفة منهم، كما أنها أتاحت للبلاد قدراً من الاستقرار والازدهار، وأدى هذا كله فى النهاية إلى إدماج المولدين فىالمجتمع الأندلسى، بحيث أضحى من الصعب تمييزهم عن غيرهم(١).

مما يجدر ذكره أن الحركة الشعوبية المناهضة للعرب، كانت صقلبية فى معظمها، ولانسمع عن دويلات مولدية، نشأت بعد سقوط الخلافة، إنما كانت هذه الدويلات عربية وبربرية وصقلبية.

ويلاحظ عند التأريخ العقلية، أن بعض المولدين الذين أسهموا فيها، كانوا ينسبون إلى الموالى، ومنهم ابن أجلين الإشبيلى، وابن تليد المعافرى، وابن السندى، وقد حمل هذا الأخير الموطأ عن يحيى بن عمر بافريقية، وكان يقرأ عليه ويسمع منه. ومن المولدين الذين نبغوا فى علوم اللغة ابن سيده الضرير صاحب " المحكم " و " المخصص ".

وفى عهد الفتنة الكبرى سعت العصبيات إلى جعل الشعر أداة تدافع بها

---

(١) راجع رسالتنا لدرجة الماجستير (رسالة جامعية غير منشورة) الباب الرابع ص١٩٦-٢٦٢.

عن وجهة نظرها، بحيث أضحى صورة للنقائض المشرقية(١)، ومن أشهر شعراء المولدين في تلك الحقبة عبد الرحمن بن أحمد العبلى من كورة إلبيرة، وكان يعارض محمد بن سعيد بن مخارق الأسدى ـ أسد خزيمة ـ شاعر العرب بالكورة نفسها(٢).

على أن أكبر حركة فكرية تنسب إلى المولدين هي حركة محمد بن عبد الله بن مَسَرّة بن نُجيح (ت ٣١٩هـ) وكانت مزيجاً من التصوف والاعتزال. وبعد اشتهار أمره رحل إلى الحجاز، ثم عاد إلى قرطبة واعتزل بجبلها، وأخذ يقرأ دروسه، وعاش مع تلاميذه حياة مقفلة، لايعرف شيء عنها إلى أن مات(٣).

وضاعت كتب ابن مسرة جميعها، ويبدو أن أفكاره كانت تدور حول وحدة الوجود، وتعرضت لمطاردة الدولة، فأصدر الناصر فى سنة ٣٤٠هـ/٩٤٩م كتابا قرئ فى اقطار الأندلس أذان المسرية(٤).

---

(١) احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٥م ص٥٨.

(٢) ابن حيان: المقتبس س٣ ص٦٣ وما بعدها، ابن سعيد: المغرب جـ٢ ص١٢٥ تر ٤٤٠.

(٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص٢١٧-٢١٨ تر ٦٥٢، جـ٢ ص٣٩ تر ١٢٠٤ وانظر أيضا ترند: تراث الاسلام (قديم) القاهرة، لجنة التأليف، ١٩٣٥م جـ١ ص٢٨٦.

(٤) ابن حيان: المقتبس س٥ ص٢٦-٢٩.

٥ - اليهــــود :

كان فتح المسلمين للأندلس بداية عهد جديد فى تاريخ اليهود وتشير المصادر إلى التعاون الذى جرى بين الجانبين، ويروى لوقا التوذى أن اليهود فى طليطلة فتحوا أبواب المدينة للعرب، منتهزين فرصة شغل النصارى بأحد السعف(١).

ولم يقتصر التعاون بين المسلمين واليهود على الأندلس، فقد امتد الى فتوحهم وراء البرتات، وانحاز يهود لانجدوك Languedoc إلى المسلمين، وفتحوا لهم أبواب مدينة طولوشة Toulouse(٢)، غير أنهم تعرضوا لمصادرة أراضيهم، حين عاودوا معاونة المسلمين فى غزاة برشلونة Barcelona فى سنة ٨٥٠ م(٣).

كان اليهود يؤثرون الاقامة فى المدن، يزاولون بها أعمالهم التقليدية، مثل غرناطة التى دعيت بغرناطة اليهود(٤)، وفى الثغر الأعلى كانت روطة Rueda تدعى بروطة اليهود(٥). أما فى إشبيلية فكان عددهم وافراً، هيأ لهم مساعدة الدولة في عهد الفتنة الكبرى، ففتحوا لجنودها أبواب المدينة، مما يسر اخضاع العصاة من المولدين(٦).

---

(1) Saavedra: Estudio sobre la invasión de los Árabes en España.p. 79.

(٢) رينو: تاريخ غزوات العرب. ترجمة شكيب أرسلان. القاهرة، الحلبى، ١٣٥٢هـ، ص٢١٣.

(3) Baron; Salo: A Social and religious history of the Jews. Columbia, 1957 Vol. IV p. 34.

(٤) الحميرى: الروض المعطار. تحقيق ليفى بروفنسال. القاهرة، لجنة التأليف، ١٩٣٧م ص٢٣.

(٥) العذرى: نصوص عن الأندلس ص٤٢، ابن حيان: المقتبس س٢ ص٢٣٤.

(٦) العذرى : نصوص عن الأندلس ص١٠٢.

على أن أكبر مراكز الانتشار اليهودي فى الأندلس، كان فى مدينة اليسانة Lucena، قرب حصن قَبْرة فى الجنوب، فقد اختصت باليهود وحدهم، لايخالطهم المسلمون، ويصفها الشريف الإدريسي(١) بالحصانة ويصف أهلها بالثراء.

أقام اليهود فى المدن الأندلسية فى أحياء مستقلة، وكان باب المدينة المؤدى إلى حى اليهود، يعرف أحياناً بباب اليهود(٢). ويقع الحى اليهودى فى مدينة سَرَقُسْطَة Zaragoza إلى الجنوب الشرقى منها(٣)، ويذهب ابن الفَرَضى(٤) إلى غير هذا، فيذكر أن باب اليهود ـ ومن ثم حى اليهود ـ يقع غربى المدينة.

وكان الحى اليهودى فى قرطبة، يقع فى قلب المدينة، بجوار القصر والمسجد الجامع، ويحمل هذا الحى حتى الآن اسم Judería(٥)، على اننا نجد فى السور الشمالى باباً، يطلق عليه باب اليهود، وبجوار هذا الباب طريق يتجه شمالاً بشرق، يؤدى إلى مقبرة اليهود(٦).

وتذهب الموسوعة اليهودية(٧) إلى أن رئيس المجتمع فى الأندلس فى

---

(١) صفة المغرب: تحقيق دوزى ودى خويه. ليدن، بريل، ١٩٦٨م ص٢٠٥.

(٢) ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس،ترجمة السيد سالم وصلاح حلمى لنهضة مصر، ١٩٥٦م. ص٦٤-٦٥.

(3) Lévi-Provençal: op cit Vol III. p. 354.

(٤) تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص١٢٧ تر ٣٩١.

(5) Lévi-Provençal: op cit Vol III. pp. 228-229.

(٦) فون شاك: الفن العربى فى اسبانيا وصقلية. ترجمة الطاهر مكى. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م ، ص٢٣ وانظر أيضا: ديوان ابن شهيد الأندلسى تحقيق يعقوب زكى. القاهرة، دار الكاتب العربى، المقدمة ص٥٩ .

(7) p. 758.

القرن العاشر الميلادى كان يطلق عليه لقب ناجد، وكان يعين من بين الأشخاص ذوى المكانة بالبلاط الخلافي.

وترك المسلمون لليهود حريتهم في أن يسيروا أمورهم وفق أعرافهم ومنها إعدام الهراطقة[١]، وكانوا يتقاضون فيما بينهم، وعندما طلب أحد اليهود أن يحاكم أمام قاضٍ مسلم، أفتى ابن العطار (ت ٣٨٧هـ) بجواز ذلك، وكذا ذهب أصبغ بن سعيد (ت ٣٥٨هـ)[٢].

وكان كنيس اليهود يطلق عليه اسم شنوغة (أوشنوغة)[٣]، وله في أحوال كثيرة أحباس وأوقاف للنفقة عليه، وعندما سئل ابن عتاب (ت ٤٦٢هـ) عنها أجازها وأجاز أيضاً بيعها[٤].

كانت الصلات بين المسلمين واليهود طيبةً تسودها المودة، واتخذ اليهود اللباس العربي، وتحدثوا بالعربية[٥]. وتعطينا الوثائق المستعربية بطليطلة فكرةً طيبةً عن ذلك، ويتضح منها أن اليهود تمادوا في استخدام الأسماء العربية، حتى بعد زوال السيادة العربية بزمن طويل، بل منهم من حمل لقب

---

(1) Baron: op. cit. Vol. V pp. 45-46.

(٢) الونشريشي: المعيار المغرب. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٠ فقه مالك ٥٣٠ ورقة ١٨٨ب ٢٠٧ب، ٢٠٨أ.

(٣) وجمعها شنوغات (أوشنوغات) وهي مشتقة من اللاتينية Synagoga وصارت في القشتالية Sinoga والبرتغالية Senoga راجع :

Simonet, j: Glosario de voces Ibérias y Latinas Usadas entre los Mozárabes. Madrid, 1888. p. 603.

(٤) ابن سهل : وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف. القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠ ص٦٧. وانظر أيضا:

Lévi-Provençal: op cit Vol III. p. 230.

(5) Cambridge Medieval history. vol III p. 429.

ذى الوزارتين(١)، ومع أن ابن حزم وجه نقداً عنيفاً لليهودية، فإنه عندما كان يذهب إلى ألمرية Almería كان يحلو له الجلوس فى دكان صديقه اسماعيل ابن يونس الطبيب الاسرائيلى.

زاول اليهود مهناً مختلفة، وسمح لهم المسلمون بملكية الأرض(٢)، وامتهن عدد منهم صناعة الورق، على أن أكبر مجال عمل فيه اليهود هو التجارة. ويشير ابن خردانبة(٣) إلى مسلك اليهود الراذانية(٤) الذين يتقنون عدة لغات، ويتنقلون بين فرنجة والصين، وأهم تجارة اشتهروا بها هى تجارة الرقيق وبخاصة الصقالبة(٥).

شارك عدد من اليهود فى مناصب الدولة، وكان لحسداى بن شبروط مكانة عالية عند عبد الرحمن الثالث، فكان طبيبه، ومبعوثه إلى شانجه السمين Sancho (٩٥٦-٩٦٦) ملك ليون(٦).

ازدهرت الثقافة اليهودية فى اسبانيا الاسلامية بين القرنين التاسع والثانى عشر الميلاديين، وينظر اليهود إلى هذه الحقبة بزهو وفخار، فكان الراهب النصرانى يأتى من فرنسا، ليدرس فى الأندلس، على يدى أستاذ يهودى. وكانت الكتب التى ألفت باليونانية أو بأية لغة أخرى، تترجم إلى العربية، ثم يترجمها اليهود إلى العبرية، وفى بروفانس يعيدون ترجمتها إلى اللاتينية(٧).

---

(1) González Palencia:los Mozárabes. Madrid 1926 vol. 1 p.279. año 1197.
(2) Grayzel: A history of the Jews p. 291.
(٣) المسالك والممالك: بريل، ليدن. نشر دى خويه ١٨٨٩م ص١٥٣-١٥٤ .
(٤) نسبة إلى وادى الراذانة وهو نهر الرون.
(٥) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص٧١ وانظر أيضاً:
Dozy: Spanish Islam. p.430.
(٦) راجع فى أخباره ابن حيان: المقتبس ص٥ .
(7) Grayzel: op cit pp290-292.

ومن أعلام الثقافة اليهودية بالأندلس حسداى بن شبروط وصمويل بن النغريلة وسليمان بن جبيرول. فقد أسهم الأول (ت ٣٥٩هـ/٩٧٠م) فى ترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدس إلى العربية، ومن خطاباته المتبادلة مع ملك الخزر يتبين اسهامه الواسع فى علم الجغرافيا(١).

أما ابن النغريلة (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فله ثلاثة أعمال شعرية حاكى فيها أسفار الكتب المقدس، كما شرح بعضها، ونشر بالعبرية مقدمة للتلمود، واثنين وعشرين عملاً فى النحو، وكان يجيد سبع لغات(٢).

ويعد إبن جبيرول (ت ٤٦٢هـ/١٠٧٠م) أول فيلسوف يهودى، وكتابه "ميكور حاييم" أى ينبوع الحياة Fons Vitae ألفه بالعربية، وترجم إلى العبرية واللاتينية والاسبانية، وأثره واضح فى الفلسفة المدرسية فى العصور الوسطى، كما ألف عدة كتب بالعربية، ونظم فى النحو العبرى قصيدة على بحر الرجز العربى من أربعمائة بيت(٣).

كانت الظروف الحسنة التى عاشها اليهود فى الأندلس، دافعاً لأن يدخل عدد منهم فى دين الإسلام ، غير أن هذا العدد كان قليلاً. وأطلق على اليهودى إذا أسلم تعبير سلامى ، ومن يسلم عن كره إسلامى(٤)، وليس لدينا ثبت بأسماء من أسلم من اليهود ، وأقدمهم بالنسبة لنا الوزير الكاتب أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى وزير المقتدر بن هود ملك سرقسطة

---

(1) Waxman, A: A history of Jewish literature. N.y. Bloch Publishing Company, 1938 vol. 1. pp 435-450.

(2) Ibid. Vol 1. pp.217-218.

(3) Ibid. Vol 1. pp.187,218,327.

(4) Dozy: Supplément aux dictionnaires Árabes Leide, Brill, 1927. Vol. 1. pp. 678-679.

٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م - ٤٧٤هـ/١٠٨١م وكاتبه، وكان معاصراً لصاعد، ولدى إسلامه أضيف إلى اسمه لقب الإسلامي(١).

٦ - العبيد :

كان المصدر الرئيسي للعبيد هو أسرى الحرب، ولدينا معلومات وافرة عما كان يحوزه المسلمون في غزواتهم منذ افتتاح الأندلس، حتى أواخر عصر الخلافة. واشتهر المنصور بن أبي عامر بلقب "الجلاب" وفي أيامه تغالى الناس في تجهيز بناتهم، وذلك لرخص بنات الروم(٢)، وعندما لم يأت ولده المظفر ٣٩٢هـ/١٠٠٢م - ٣٩٩هـ/١٠٠٨م في غزاة سنة ٣٩٦هـ بما يرضي عامة قرطبة، جعل هؤلاء يتصايحون: مات الجلاب.. مات الجلاب !! يقصدون أباه الذي ملأ الأندلس سبياً، الأمر الذي دفع المظفر على سعة صدره إلى زجرهم(٣).

كانت سوق العبيد تعرف بالفقرش(٤)، وتخضع لإشراف المحتسب(٥)،

---

(١) راجع في أخباره صاعد: طبقات الأمم.نشر لويس شيخو: بيروت ١٩١٢م ص٩٠، ابن خاقان: قلائد العقيان. القاهرة ، بولاق، ١٢٨٣هـ ، ص١٠٨، ١٨٣-١٨٤، ابن بسام: الذخيرة: ق٣ م١ ص٤٥٧-٥١٤ .

(٢) ابن حيان في عبد الواحد المراكشي: المعجب ص٣٨.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ٣ ص١٣.

(٤) عبد العزيز الأهواني: ألفاظ مغربية في كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة. مجلة معهد المخطوطات العربية م٣ جـ٢، ١٩٥٧م ص٣١٦، انظر أيضاً: Dozy Supplément Vol. II. p. 114.

(٥) ليفي بروفنسال: سلسلة محاضرات عامة. ترجمة محمد شعيرة. القاهرة - كلية الآداب، ١٩٥١م ص٩٣.

ونجد في كتاب السَقَطي(١) عن الحسبة فصلا كاملا يتناول هذه التجارة، ويسهب في شرح ما كان يقوم به باعة الخدم والعبيد من ألاعيب فيبيعون نوعاً على نوع، وصنفاً على صنف، وقد يبيعون الحرة على أنها رقيق، وعندما يكتشف الشاري هذا يكون قد خسر ماله، ويشير إلى دور المحتسب في منع مثل هذه المخالفات.

كان العبيد تحت السيادة الإسلامية في وضع أفضل بكثير، مما كانوا عليه في إسبانيا القوطية، أو إسبانيا النصرانية، ومن الأمور التي أتى بها الإسلام إلى الأندلس عدم الفصل بين أفراد الأسرة الواحدة؛ فلم يعد من حق السيد أن يفصل بين الأمة وبين ابنها(٢). وكان أبو عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي (ت ٤٠١هـ) شيخ فقهاء الأندلس في عهد الحكم المستنصر وعهد المنصور العامري، ومن فتاويه أن شكت إليه امرأة أن ابنتها المملوكة باعها مولاها إلى رجل خارج قرطبة، فأفتى بمنعه من اخراجها وبيعها على مشتريها، وخالفه القاضي ابن زرب، لكن المنصور أخذ برأي أبي عمر(٣).

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فكان أهل الذمة، يمنعون أيضا من التفرقة بين عبيدهم الصبية وبين أمهاتهم كما يقضي حكم الإسلام(٤).

---

(١) كتاب في آداب الحسبة. تصحيح ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣١م ص٤٩ وما بعدها.

(٢) سحنون بن سعيد التنوخي: المدونة الكبرى. مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ جـ١٠ ص ١١٠-١١١.

(٣) القاضي عياض : ترتيب المدارك جـ٤ ص٦٣٩.

(٤) ابن فرحون : تبصرة الحكام.القاهرة، المطبعة البهية،١٣٠٢هـ. جـ٢ ص١٤٩.

وإذا كان الأحرار من النصارى يؤدون جزية رءوسهم إلى جماعة المسلمين، فإن هذه لم تكن ملزمة لمن أصابه رق أو فيه شائبة رق(١).

أما بخصوص الزواج، فيلخص ابن رشد (الحفيد)(٢) الموقف في أن الفقهاء اتفقوا على جواز نكاح الكتابية الحرة، وإحلال الكتابية الأمة بملك اليمين، واختلفوا في احلال الكتابية الأمة بالنكاح، أما الأمة المسلمة فهي حلال بالنكاح وملك اليمين. ويبدو أن الزواج بالاماء مسلمات كن أو كتابيات كان ظاهرةً عامةً بالأندلس.

وكانت الأمة عندما تنجب من سيدها يتغير وضعها، فتصير "أم ولد" ولايجوز له أن يبيعها، وإذا فعل نقض بيعه، وإذا مات عنها صارت حرة، ووصل الأمر إلى حد أنه لايجوز له أن يستخدمها، وليس له فيها إلا الوطء(٣)، وكان ابناؤه منها أحرارا، بخلاف ما كانت عليه الحال في عهد القوط.

الجدير بالذكر أن أمراء بني أمية وخلفاءهم بالأندلس، كانوا أبناء أمهات أولاد، وقد حظيت طروب بمكانة كبيرة عند عبد الرحمن الأوسط، وكادت تنجح في تولية ولدها عبد الله عهد أبيه دون أخيه محمد. وكذلك كانت حال أورورا Aurora البشكنسية حظية الحكم الثاني التي أسلمت وتزوجها ودعيت بصبح، وكانت وراء ازدياد نفوذ المنصور بن أبي عامر، واستبداده بالسلطة في الأندلس فيما بعد.

---

(١) ابن رشد (الجد) المقدمات الممهدات. القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ، جـ١ ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة، الحلبي، ١٣٣٩هـ جـ٢ ص٤١، ٤٢.

(٣) مالك : الموطأ. تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة، الحلبي، ١٩٥١، جـ٢ ص٧٧٦، الونشريشي: المعيار المعرب م٥ ورقة ٥٧ب.

لم يكن الرق منتشراً في الأندلس لعدة عوامل، منها ارتفاع أسعار العبيد، وبخاصة الجوارى المغنيات، ويروى ابن حيان(١) أن احدى القَيْنات بيعت في أيامه بثلاثة آلاف دينار، كما أن أهل الذمة ــ يهوداً ونصارى ــ لم يكن من حقهم أن يحوزا عبيداً من المسلمين، والعبد إذا أسلم يباع على سيده الذمى(٢)، وأولاد العبد الصغار، شأنهم شأن أبيهم، بل إن أم ولد الذمى إذا أسلمت وجب عتقها(٣).

وغنى عن البيان أن الإسلام كان يشجع على عتق العبيد، ويجعله أحد مصارف الزكاة. وكان في إمكان العبد أن يشترى حريته بمبلغ من المال يؤديه منجماً، وهى طريقة المكاتبة، أو يوصى السيد بعتقه حال وفاته، وهى طريقة التدبير(٤).

كانت تصدر بشأن العتق وثيقة، يوقع عليها شهود مثلما حدث عندما اعتل الحكم المستنصر في سنة ٣٦٤هـ، فأعتق مائة رقبة من عبيده، ووقع على الوثيقة ولده هشام والفقهاء وأهل الشورى والعدول(٥).

وكان يحدث أحياناً أن يدعى بعض الناس الحرية، ويدعى آخرون امتلاكهم لهم ، وكان فقهاء الأندلس يميلون إلى جانب الأولين، لأن الأصل في الإنسان هو الحرية، وعلى من يدعى امتلاكهم أن يأتى ببينة. وفي أواخر القرن الثالث ادعت امرأة الحرية ، فأجمع سبعة من الفقهاء ، بينهم عبيد الله

---

(١) في ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص١٨٣.

(٢) ابن رشد (الجد): المقدمات جـ١ ص٢٧٥.

(٣) سحنون : المدونة الكبرى جـ٨ ص٣٦.

(٤) مالك : الموطأ جـ٢ ص٨٠٠، ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد جـ٢ ص٣٥٢، ٣٦٤.

(٥) ابن حيان : المقتبس، قطعة الحكم المستنصر ص٢٠٦.

ابن يحى بن يحى على أن المدعى لرقهـا اثبـات دعـواه، فـى حيـن انفـرد ابـن لُبابه ـ وحده ـ بأن البينة على مدعية الحرية(١).

كان العبد عندما يتم عتقه يصير مولى لمن أعتقـه، عضـواً فـى أسـرته، لايختلف عن بقية أفرادها، فيرث مولاه ويرثه مولاه، وينسب إليه إذا لـم يعلـم أبوه(٢)، غير أنه غالباً ما كان يصير ولاء المعتـق إلـى الأسـرة الأمويـة التـى تمثل جماعة المسلمين، وهو الأمر الذى يفسر كثرة النسبة الأموية بين الموالى.

أقبل عدد كبير من العبيد علـى الاسـلام، حتـى يتمتعوا بحريتهم. وقـد ذهب البعض إلى أن غالبية المولدين ـ أى الإسبان المسلمون ـــ أقنـان حصلـوا على حريتهم بالإسلام(٣). أما العتقاء الذين ظلوا على ديانتهم، فكـانت لاتؤخـذ منهم جزية(٤)، الأمر الذى أثار استغراب ابن حزم(٥).

شارك العبيد فى الحياة العامـة بـالأندلس، واسـتخدمتهم الأسـرة الأمويـة كأجناد، ودخل في عدادهم عدد من السـود، ومنهم بزيـغ الـذى اشـتراه عبـد الرحمن الداخل ، وظهرت منه نجدة(٦) ، وصـــار ولده الحارث عاملاً للأميــر محمد على قلعة رباح Calatravá(٧) وطليرة Talavera وكان لدى المنصــور

---

(١) يحى بن عمر : كتاب الأحكام. مخطوط بالمتحف البريطانى برقـم ٢٦٢ ورقـة ١٩ ظهر، ابن فرحون: تبصرة الحكام جـ٢ ص١٥٤.

(٢) الأحزاب ٥، القرطبى. الجامع لأحكام القرآن. القـاهرة، دار الكتب المصريـة، ١٩٣٦م جـ١٤ ص١١٩.

(3) Cambridge Medieval history. vol. III p. 429.

(٤) سحنون : المدونة الكبرى جـ٢ ص٤٢.

(٥) المحلّى: تحقيق أحمد شاكر. ادارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ. جـ٧ ص٣٤٧.

(٦) أخبار مجموعة. ص١٠٩.

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص٩٥.

ابن أبي عامر من العبيد السود ألفا فارس، يضافون عادةً إلى البربر[١]، كما كان القاسم بن حمود كلفاً بهم، وابتاع الكثير منهم، وجعلهم على أعماله، وأيدوه في صراعه ضد ابن أخيه يحي بن علي بن حمود[٢].

أسهم موالي العتاقة في الثقافة العربية بالأندلس، ويمكن أن تدخل فيهم عباس بن ناصح الجزيري الشاعر، وكان والده عبداً لامرأة من ثقيف[٣] وأحمد بن بيطير (ت ٣٠٣هـ) وكان حافظاً للفقه مشاوراً في الأحكام متقدماً في الفتوى[٤]. وسالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبا (ت ٣١٠هـ) وكان راوية عن عدة من الأندلسيين[٥]، وسعدان بن إبراهيم بن عبد الوارث ابن محمد بن يزيد ويعرف بابن الجُرَز (ت ٣١٦ هـ) من أهل ريه، سمع من محمد بن وضاح بقرطبة، وأفتى بموضعه وولي صلاته[٦].

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص١١٩.

(٢) ابن حيان في ابن عذاري: البيان المغرب جـ٣ ص١٣٠-١٣١.

(٣) ابن سعيد: المغرب جـ١ ص٣٢٤ تر ٢٣٢.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص٢٨ تر ٧٧.

(٥) المصدر السابق جـ١ ص١٩٣ تر ٥٨١، الحميدي: جذوة المقتبس ص٢٣٦ تر ٤٩٥.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص١٨١ تر٥٤٣، الحميدي: جذوة المقتبس ص٢٣٦ تر ٤٩٢.

الفصل الثانى

عناصر المجتمع فى إسبانيا النصرانية

كانت الأقطار النصرانية فى اسبانيا هى: أشتوريش Asturias جلّيقيّة، قشتالة Castilla، البرتغال Portugal، نبره Navarra، قطالونيا Catalonia، وكونتيات صغيرة لدى سفوح البرتات أهمها أرغونة Aragón.

ومع أن اشتوريش وجليقية كانتا مملكة واحدةً، الا أن أوضاع كل منهما كانت تختلف عن الأخرى، وفى أواخر القرن التاسع الميلادى صارت مملكة اشتوريش ـ جليقية تدعى بمملكة ليون León، بعد امتداد حدودها شرقاً وجنوباً على حساب المسلمين، وضمها أراض جديدة.

صاحب هذا الامتداد انشاء عدد من القلاع فى القسم الشمالى من الميسيتا الاسبانية المعروف باسم بردوليا Bardulia، وقد مهد ذلك لظهور امارة قشتالة، وهى بلاد القلاع، التى كثيرا ما يتردد ذكرها – مضافا إليها ألبه Álava– فى الحوليات الإسلامية، وكانت هذه الامارة تنزع نحو الاستقلال، وقد تحققت غايتها خلال القرن العاشر الميلادى، وفيما بعد تزعمت قشتالة الممالك الاسبانية جميعها.

صاحب هذا الامتداد أيضا ظهور إمارة البرتغال فى مطالع عصر الطوائف، ثم صارت مملكة قبل أن ينتصف القرن الثانى عشر.

وفى أوائل القرن التاسع الميلادى بدأ ظهور أمارة نبْرّة فى بلاد البشكنس Los Vascos وحاضرتها بنبلونة Pamplona وكانت امارة ضعيفة الشأن صغيرة المساحة، وفى القرن التالى، أضحت منافساً أساسياً لليون خاصة بعد اتحادها مع كونتية أرغونة.

أما أرغونة، وإن كانت قد بدأت تاريخها إمارة صغيرة، جرى احتواؤها في مملكة نبرة، إلا أنها عاودت الوجود مرة أخرى خلال القرن الحادي عشر، ولم تلبث أن اتحدت بدورها مع إمارة قطالونيا، لتصبح هذه المملكة القوة الثانية في شبه الجزيرة بعد مملكة قشتالة.

وإلى جانب أشتوريش - جليقية ونبره وأرغونة كان هناك الثغر القوطي أو الاسباني Limes Hispancius في منطقة قطالونيا، نشأ بعد استيلاء الفرنجة على برشلونة في عهد الامبراطور شارلمان Charlemagne ٧٦٨-٨١٤ م وكان هذا الثغر امتداداً للامبراطورية الفرنجية في شبه الجزيرة الاسبانية لكنه لدى تفكك هذه الامبراطورية بعد وفاة مؤسسها، تقاسمته تسع كونتيات أهمها برشلونة وفيما بعد اتحدت هذه الكونتيات لتنشأ إمارة قطالونيا.

تميزت مملكة ليون عن غيرها من ممالك اسبانيا النصرانية، بما كان لها من تأثير في الأحداث في صدر التاريخ الأندلسي، وتعد هذه المملكة إلى حد ما امتداداً للمملكة القوطية التي أزالها العرب.

كانت عناصر المجتمع في الممالك النصرانية باسبانيا هي :

١ - النبـــلاء :

كان على رأس هذه الطبقة الملك، وعلى الرغم من انحصار الحكم في أسرة واحدة بالوراثة، فإن ذلك لم يمنع وقوع منازعات على العرش، مما ساعد على تجدد غزوات المسلمين وتوسعهم، بل وتدخلهم في شئون النصارى الداخلية، وبخاصة في عصر الخلافة.

ارتبط النبلاء بنظام الاقطاع الذي أضحى نظاماً أساسياً في أوروبا، منذ القرن التاسع، وظهر أثره في اسبانيا، غير أن نمو هذا النظام في قطالونيا كان أوضح منه في ليون ، بسبب ارتباط الأولى بالقارة[١]. ويقوم نظام الاقطاع

---

(1) Cambridge: Economic history of Europe. 1971. Vol. 1. p. 433.

على أساس التعاقد الخاص بين الأتباع والسادة، فيؤدى التابع الخدمة العسكرية وغيرها من الخدمات، ويحظى فى مقابل ذلك بحق الانتفاع بالضيعة أو المنصب، وللسيد ولايات قضائية فى ضيعته، ويتسلم الايجار من أتباعه، وفى سنة ٨٧٧ م اعترف بوراثة حق الانتفاع فى قطالونيا(١).

شملت طبقة النبلاء بقايا نبلاء العهد القوطى، مضافاً إليهم عدد ممن برزوا فى مجال الحرب أو المناصب الحكومية، وكان كبار النبلاء(٢) Seniores يعدون أتباعاً للملك Fideles Regis ، ويشاركون فى مجلس البلاط Oficio Palatino ويرى سانشيث البرنوث أن هذا المجلس آلت إليه اختصاصات مجلس الملك القوطى العلمانى، وكذا مجلس طليطلة الدينى(٣).

أما صغار النبلاء فكانوا يدعون Infanzones(٤) وهم أتباع لكبارهم، وينحدرون من أصل نبيل، ويكافئون على خدماتهم نقداً أو يمنحون أراض كاقطاع(٥).

كان النبلاء - إلى جانب ذلك - يرون أن من حقهم الاستقلال عن الملك، والانتقال إلى مملكة أخرى، إذا غضبوا منه لسبب أو لآخر، بل إن بعضهم كان ينتقل إلى الأندلس، ويحارب فى جيوش المسلمين ضد قومهم وأبناء دينهم(٦)، ويستدل على ذلك من قصة السيد القنبيطور El Cid Campeador

---

(1) O'Callaghan: op. cit. pp. 165-199.

(٢) ويدعون أيضا Barones, Proceres, Magnates, Optimates

(3) Ibid, pp. 169-170.

(٤) ويدعون أيضا Caballeros, Milites-

(5) Ibid, p. 178.

(٦) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، القاهرة، الخانجى، ١٩٦٩ ع١ ق٢ ص٦٠٢.

فقد تنقل في ولائه بين المسلمين والنصارى.

قام النبلاء بعدة ثورات في مملكة ليون ، مثل ثورتهم ضد رذمير الأول Ramiro ٨٤٢ – ٨٥٠ م في سنتي ٨٤٥ ، ٨٤٩ م ، التي أخمدها بعنف، وقبض على معظم زعمائهم ، وأعدم الكثير منهم(١)، وثورة القومس غند شلب Gundisalvo Sánchez حاكم جليقية على الملك شانجه الأول Sancho ٩٥٦– ٩٦٦م(٢).

٢ – رجال الدين :

شكلوا الطبقة الموازية لطبقة النبلاء، وحافظوا على امتيازاتهم الموروثة من عهد القوط، ومما أعانهم على ذلك حال الحرب المستمرة مع المسلمين، وكانت تحمل طابعاً دينياً إلى جانب الطابع القومي، خاصةً بعد أسطورة اكتشاف قبر القديس يعقوب Santiago de Compostela في جليقية. وقد انفرد رجال الدين بأراض خاصة بهم، ولهم أتباع يدينون بالولاء لهم ، وشاركوا النبلاء في عضوية مجلس البلاط(٣).

كذلك أسهم الملوك في تدعيم سلطة الكنيسة، فكانوا يمنحون الأساقفة ورؤساء الأديرة من حين لآخر اقطاعات غير مسموح للموظفين الملكيين بدخولها، فكانوا يديرون الاقليم، ويجمعون الضرائب والأموال، ويجهزون الجيوش ويزاولون القضاء(٤).

---

(١) المرجع السابق ع١ ق١ ص٣٥٥.

(٢) المرجع السابق ع١ ق١ ص٥٩٦-٥٩٧.

(3) Cambridge Medieval history. Vol III pp. 439-440.

(4) O'Callaghan: op. cit. p. 171

تدخلت الكنيسة في صراعات العرش كما فعل النبلاء، فتآمرت على موروقاط Mauregato (٧٨٣-٧٨٨م) الذى اضطر إلى الاستعانة بالمسلمين في مناهضتها[١]. وكان من جملة من خرج على شانجه الأول Sancho ملك ليون سسنندو Sisenando أسقف شنتياقب الذى كان قد حصن المدينة وقصره الأسقفى بحجة حمايتها وحماية مزار القديس يعقوب من غارات النورمان، لكنه لم يلبث أن أعلن العصيان، وإن اضطر في النهاية إلى فتح أبواب المدينة للملك[٢].

لم يكن لدى رجال الكنيسة الحرية في مناقشة الآراء الجديدة، فلما أعلن إليباندوس Elipandus مطران طليطلة نحلة التبنى[٣] في أواخر القرن الثامن، وأيده فليكس Félix أسقف أرقلة Urgel في الثغر الاسباني استدعت الكنيسة فليكس هذا ليحاكم أمام مجمع كنسي في فرانكفورت سنة ٧٩٤م حيث كانت تواجهه تهمة الهرطقة، ولم تستطع أن تفعل شيئاً لمطران طليطلة[٤].

٣ - الأحـرار :

يطلق عليهم Ingenui[٥] وكانوا يشكلون طبقة وسطى، عمل بعض أفرادها كصناع وحرفيين يتنقلون بين ضيعة وأخرى، وكان عدد الذين أقاموا منهم بالمدن محدوداً[٦]، على أن الأحرار ارتبطوا أساساً بالنظام الاقطاعي السائد، وحاز بعضهم الأرض حيازة كاملة . وقد أدت هجمات المسلمين

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ع١ ق١ ص٢١٩.

(٢) المرجع السابق ع١ ق٢ ص٥٩٦.

(٣) وتغلب الجانب البشري في المسيح، وتذهب إلى أنه ابن الله بالتبني.

(4) O' Callaghan: op. cit. pp. 186-187.

(5) Van Koningsveld: The Latin Arabic glossary of the Leiden University library, Leiden 1977, p.63.

(6) O' Callaghan: op. cit. pp. 183-184.

والحروب الأهلية إلى حمل عدد كبير منهم على طلب الحماية من النبيل أو الأسقف أو رئيس الدير(١).

وكان النبيل يزود أتباعه الأحرار بالغذاء والكساء والملجأ والعمل فى دواره، على أن ينتفعوا هم بالأرض نظير دفع إيجار عنها، ولم يكن يسمح لهم بتركها(٢).

بيد أن غالبية الأحرار كانوا أجراء يعملون فى الضياع الكبير مرتبطين بالأرض Adscritos a la tierra مثل الأقنان فى العهد القوطى(٣)، وحيث أنهم كانوا يؤدون الجزية لسادتهم فقد دعوا باسم Uniores, Tributarii وكانوا يدفعون رسوماً مقابل استخدام طاحونة النبيل أوفرنه أو معصرة نبيذه، أو الموافقة على زواج أحد منهم أو مفارقته(٤).

أتيحت للأحرار الفرصة أن يعيشوا حياة أفضل، فى المناطق التى تم استردادها من المسلمين فى وادى دويره على وجه الخصوص، فكان لمن شارك فى تضال المسلمين وأبدى شجاعة، الحق فى الحصول على قطعة أرض ويعفى من أداء ضرائبها، شأنه فى هذا شأن رجال الدين والنبلاء(٥).

وكان النصارى المعاهدون الذين فارقوا الأندلس عنصراً هاماً بين هؤلاء بل كانوا فى الحقيقة أهم هذه العناصر، فاشتغلوا بالزراعة وغيرها من المهن، وصار بعضهم رهباناً، وكانت مهاراتهم الزراعية والصناعية عالية، بسبب مستواهم الثقافى(٦).

---

(1) Cambridge Economic history of Europe p. 343.
(2) O' Callaghan: op cit. pp. 178-179.
(3) Cambridge Economic history of Europe vol. 1. p. 436.
(4) O' Callaghan: op cit. pp. 179-183.
(5) Ibid p. 177.
(6) Livermore: The Origins of Spain and Portugal. p. 377.

لم تؤد حركة الاستقرار فى الأراضى الجديدة إلى تحسين أحوال طبقة الأحرار، فعدد من استقر فيها كان قليلاً منذ البداية(١)، ثم إن الخراب كان يعم تلك المناطق خاصة ابان الحروب مع المسلمين، ولم يبدأ التعمير إلا فى فى أواخر القرن التاسع، وكان المعمرون لايحصلون على الاعتراف الملكى بحقوقهم فى بعض الأحيان(٢).

أدت تلك الحال التى عاشها الأحرار إلى هربهم من أراضى سادتهم، ولما أضحت هذه ظاهرة عامة، اضطر أذفونش الخامس فى سنة ١٠١٧م إلى السماح للأجير بترك أرض سيده، على أن يعطيه نصف سلعه المنقولة(٣).

٤ – اليهـــود :

كان عددهم كبيرا، وبخاصة فى الثغر الاسبانى، فدعيت طركونة Tarragona بمدينة اليهود(٤)، وفى برشلونة كانوا يعدلون النصارى كثرة(٥) ويشير الرحالة بنيامين التطيلى(٦)، إلى أنها حفلت بعدد من علماء اليهود وحكمائهم. وقد أقام اليهود فى أحياء دعيت بمعسكرات اليهود Castra Judaeorum(٧).

---

(1) Cambridge Economic history of Europe. pp. 66-67.
(2) O' Callaghan: op cit. pp. 181-182.
(3) Ibid p. 180.

(٤) الشريف الأدريسى: صفة المغرب ص١٩١.

(٥) البكرى: جغرافية الأندلس وأوربا. تحقيق عبد الرحمن الحجى. بيروت، دار الارشاد، ١٩٦٨م، ص٩٦، الحميرى: الروض المعطار ص٤.

(٦) رحلة بنيامين التطيلى. ترجمة عزرا حداد. بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥م، ص٥٠.

(7) Baron: op. cit. Vol IV. p. 35.

ومما يجدر الاشارة إليه أن اليهود الذين واجهوا صعوبات شديدة، من قبل ملوك القوط قبل الفتح الإسلامي، عوملوا معاملة طيبة من قبل ملوك النصارى بعد الفتح، واستعانوا بهم في الوظائف العليا. وكتاب ألفونش السادس (١٠٦٥-١١٠٩م) إلى يوسف بن تاشفين قبيل معركة الزلاقة، يشير إلى هذه الحقيقة التي ورثها عن أسلافه فقال في حديثه عن اليهود أنهم "وزراؤنا وكتابنا وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنى بنا عنهم"(١) وقد عبر مادارياجا Madariaga عن وضع اليهود في ذلك الوقت بأن إسبانيا هودت، وكان ترتيبهم يأتي مباشرة بعد الملك والنبلاء، وسمح لهم ببناء المعابد التي تصل في ارتفاعها إلى ارتفاع الكنائس المسيحية، وكانت دية اليهودي تساوي أحياناً دية الفارس أو القس(٢).

زاول اليهود أعمالاً مختلفة، منها الطب، ويندر أن نجد بين أطباء القصر الملكي من ليس يهودياً(٣)، وسمح لهم بملكية الأرض وزراعتها، وكانوا يمتلكون نحو ثلث الضياع الكبيرة في برشلونة(٤)، وأنشئت في الأراضي التي استصلحت بعض المستوطنات، وأطلق عليها أسماء يهودية، مثل Villa Judaica, Mons Judaeorum(٥).

على أن اسهام اليهود في الزراعة كان محدوداً، وكانت التجارة مجال عملهم الرئيسي فتحكموا في تجارة النسيج والأحجار الكريمة بمدينة ليون في القرن العاشر(٦)، واشتهروا بتجارة الرقيق ، كما كانوا يتعاملون بالربا

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص١٣٤.

(2) Poliakov; op. cit. Vol II. pp. 106-113.
(3) Castro: op. cit. 49.
(4) Encyclopaedia Judaica. p. 227.
(5) Baron: op. cit. Vol. IV p. 29.
(6) Encyclopaedia Judaica p.226.

ويقرضون الناس بسعر فائدة كبير يبلغ الثلث[١].

قام اليهود بدور في الحياة الثقافية في اسبانيا النصرانية، فعكفوا على نقل الكتب العربية وترجمتها إلى اللاتينية، وقد كتب قسم كبير من الأدب اليهودي في الأندلس بالعربية. أما في اسبانيا النصرانية فدون بالعبرية[٢].

أما عن موقف الكنيسة والشعب من اليهود، فكان يغاير موقف الملك ويناقضه، فلم يكن استخدامهم يحظى برضاء الكنيسة ، وفي المجمع القشتالي بأبْيط Oviedo سنة ١٠٥٠م، تقرر ألا يعيش نصراني مع يهودي ولايشاركه طعامه[٣]. ويشير القرافي[٤] - وهو من فقهاء المسلمين (ت ٦٨٤هـ) إلى أنه جرت العادة في برشلونة وطركونة وسائر مدن الفرنج، أنه في ثلاثة أيام معلومة كل سنة، يحرض الأساقفة العامة على اليهود، فينطلقون إليهم يطلبونهم، فمن وجدوه منهم قتلوه ونهبوا داره.

٥ - الأقنان والعبيد:

عرف العبيد بعدة مسميات أشهرها Servi[٥]، وانقسموا إلى عبيد دولة Fiscales، عبيد كنيسة Ecclesiasticos عبيد أشخاص Particulares[٦] ولم يكن للعبيد أية حقوق، كما كان شأنهم في عهد القوط، وليس لهم أن يتقاضوا، ويخضعون لإرادة السيد خضوعاً تاماً[٧].

---

(1) Castro: op cit p.471.
(2) Waxman: op cit Vol I.pp 155-156.
(3) Baron: op cit p. 37-43.

(٤) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك أفندي باجه جي زاده. مصر، مطبعة الموسوعات د ت ص٤
وانظر أيضاً: Baron: op cit Vol V. p.109.

(5) O' Callaghan: op cit. p. 180.
(6) Cambridge Medieval history Vol. III p. 439.

(٧) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ع١ ق٢ ص٦٠٣

أما الأقنان ـ وهم رقيق الأرض ـ Coloni فكانوا يعتبرون جزءاً من الأرض، ويتضمنون في عقود البيع والشراء، وحالة القنية تتحدد بالميلاد أو الدين أو الأسر[١] وكان الأقنان يدفعون للمالك مبلغاً كبيراً، نظير السماح لهم بمغادرته[٢].

أدت الأحوال السيئة التي كان يعيشها العبيد إلى قيامهم بالثورة على أسيادهم في اشتوريش في آخر القرن الثامن، ولما قمعت ثورتهم أعيدوا إلى ما كانوا عليه[٣]، وهرب بعضهم إلى الأراضي الجديدة التي جرى إصلاحها، حيث كانوا يحصلون على حق الانتفاع، غير أنهم مالبثوا أن حرموا من حرية ترك أرضهم.

كان الأسياد من حين لآخر يحررون عبيدهم، ويصدرون في هذا الخصوص براءة تحرير Carta Ingenuitas، وفي نهاية القرن العاشر كان المعتقون Liberti يشكلون غالبية السكان، لكن المعتق كان يخضع عادة لحماية سيده السابق، ويؤدي له ضريبة الرأس، ويواصل العمل في ضيعته، أو يزرع الأرض التي سبق أن عاش فيها كعبد[٤].

٦ – المسلمون :

أدى توسع نصارى الشمال على حساب المسلمين في أخريات عصر الولاة، ثم في عصر الامارة، إلى امتلاكهم نحو ثلث شبه الجزيرة، في حين اختص المسلمون بالثلثين. وترتب على ذلك أن أضيف إلى عناصر المجتمع في إسبانيا النصرانية عنصر جديد هو المسلمون الذين هاجر بعضهم ولحق

(1) Cambridge Medieval history Vol. III. p. 439.
(2) Cambridge Economic history of Europe. vol .I pp. 436-437.
(3) Dozy: Spanish Islam p. 226.
(4) O' Callaghan: Ibid. p.180.

باخوانه فى الأندلس، بينما آثر البعض الآخر البقاء حيث أقام، لارتباط مصالحه بالأرض التى نشأ عليها.

ومن العوامل التى أدت إلى وجود العنصر الإسلامى فى اسبانيا النصرانية الغزوات التى كانت متبادلة على جانبى الحدود، وكان النصارى يعودون أحياناً بعدد من الأسارى المسلمين.

وهناك فريق من المسلمين كان يأتى إلى الممالك النصرانية طوع ارادته، مثل يزيد بن محمد بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ابان سقوط الخلافة فقد لحق بأرض النصارى وارتد(١).

ومن المسلمين من كان يأتى إلى هذه الممالك بغير ارادته، مثال ذلك ما قام به سليمان المستعين، فقد أهدى شانجه الثالث الكبير Sancho Garcés el Mayor ١٠٠٠-١٠٣٥م ملك نبرة، عدداً من القنيات المسلمات حين طلب معاونته فى الفتنة(٢).

عرف المسلمون الذين تخلفوا بالممالك النصرانية بعدة مسميات، والمصطلح الذى غلب على هؤلاء ابتداءً من عصر الطوائف أو قبله بقليل هو المدجنون(٣) Mudéjares أما فى العصور الأولى منذ الفتح حتى سقوط

---

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص١٠٢.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق٣ م١ ص٣١٨.

(٣) يحاول فرانثيسكو فرنانديث اى جونثاليث F.Fernández Y Gonzáles أن يربط بين فعل دجن وبين فعل داخل، وأن أصل كلمة Mudéjar أى مدجن هو مداخل Mudéjal، ويستعين على ذلك ببعض النصوص العربية. انظر :

Estado social Y politico de Mudéjares de Castilla. Madrid. 1866. p. 34 de introducción.

الخلافة، فكان يطلق على المسلمين بوجه عام "مـاورى" Mauri(١)، كما كان يطلق على المسلمين المقيمين بين ظهراني النصـارى Mauri Capti أي المسلمون الأسرى، لأنهم أسرى حرب، واعتبروا عبيداً، وفي عصر الطوائف ظهر مصطلح Mauri Pacis أي المسلمون المستأمنون و Mauri Regis أي المسلمون التابعون للملك وهم احرار(٢).

وليست لدينا معلومات وافية عن حال المسلمين الأوائل في الأراضي التي استردها النصارى، ويشير صاحب الأخبار المجموعة(٣) إلى أن بعضهم تنصر على أن أعدادهم لم تكن كبيرة، ولايمكن أن تقارن بأعداد النصارى المعاهدين في الأندلس.

- على أن هذا تخريج نرجحنا منه معاجمنا اللغوية، فالقيمة الاستعمالية لمصطلح مدجنين تساوى قيمته اللغوية، وفي اللسان (جـ٢ ص١٣٣١) "ودجن بالمكان يدجن دجوناً، أقام به وألفه. ابن الأعرابي أدجن مثله. أقام في بيته، ودجن في بيته أي لزمه وبه سميت دواجن البيوت، والمداجنة حسن المخالطة "ومعنى هذا أن المدجنين قوم مسلمون التزموا ديارهم وآثروا السلامة. يؤكد ذلك ما ورد في معجم الفوكابوليستا Vocabulista فترد لفظة مدجن وتساويها لفظة Tributarius أي معاهد يدفع الجزية Tributum انظر: Dozy: Dupplément. Vol. 1 p.425. ويشير صاحب الروض المعطار (ص١٦٦) في الفترة نفسها إلى المسلمين المعاهدين بطليطلة.

(١) انظر الدراسة القيمة لنيفل باربور Nevill Barbour عن لفظة ماورى ومشتقاتها في Actas do IV congresso de estudios Árabes e Islâmicos. Coimbra-Lisboa, 1968. Leiden Brill, 1971. pp. 253-269.

وتشير الدراسة إلى مصطلحات أخرى وهي: Ismaelitas, Sarraceni Arabes, Agareni, Caldei, Barbari, Moabitas.

(2) Diccionario. Tomo II. p. 570.

(٣) ص ٦٢.

كان الرقيق المسلم يعامل معاملة سيئة(١) ، وتدلنا نونية الرندى(٢) (ت ٦٨٤هـ) المشهورة، كيف كانت حال المسلمين، حين يقعون فى أيدى النصارى، وخاصة عند بيعهم فيفرق بين أبناء الأسرة الواحدة.

وفى ترجمة الحُمَيْدى(٣) لبقى بن مخلد، يشير إلى الأسرى المسلمين المستعبدين فى بلاد النصارى، وكيف أنهم كانوا يستخدمون فى تعمير الصحراء (أى الأراضى المستردة)، ويعملون تحت اشراف الرهبان، وتوجه إليهم الاهانات، وفى غير أوقات العمل، كانوا يعادون إلى قيودهم.

كان يحدث أحياناً أن يتم خصى المسلم بعد أسره، فلدى وفاة المرتضى الأموى بميورقة Mallorca، قام بالأمر بعده أحد خصيانه ويدعى مبشراً، تلقب بناصر الدولة، وأصله من لاردة Lérida، سباه العدو صغيرا ثم خصاه، فلما وجه المرتضى رسولا إلى النصارى، استحسن الرسول عقل الفتى مبشر والفداء، وقدم به على المرتضى فقر به إليه(٤).

على أن نصارى الشمال تأثروا فيما بعد بالتعاليم الإسلامية فى عتق العبيد، وليس أدل على ذلك مما ورد فى الوثائق المستعربية، فتشير إحداها إلى مملوكة متنصرة، قاطعت سيدها على حريتها، بقدر من المال تؤديه منجماً

---

(1) Lea; H.C A history of the Inquisition of Spain. N.Y. Macmillan, 1906. Vol. 1 p.57.

(٢) قصيدة طويلة، أضيف إليها فى عصور تالية. راجع نصها فى المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص٥٩٥.

(٣) جذوة المقتبس. ص١٧٩ تر ٣٣١، وانظر أيضا: المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٥٨١.

(٤) ابن الكرديوس : كتاب الاكتفاء فى تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط. تحقيق أحمد مختار العبادى: مدريد، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧١م ص١٢٢-١٢٣.

فتصير حرة، وهى طريقة المكاتبة(١)، وتشير وثيقة أخرى إلى وصية راهبة بعتق مملوكتها المسلمة عند وفاتها، وهى طريقة التدبير(٢).

كان العبيد المسلمون يتفاوت عددهم بين عصر وآخر، وكثيرا ما كان يتحرر بعضهم بعد غزوات ناجحة لجيش الأندلس(٣)، كما كانوا يتضمنون أحياناً فى هدايا ملوك الشمال لخلفاء بنى أمية(٤)، وجدير بالذكر أن إنفاق المال فى اطلاق سراح الأسرى، كان من الأعمال الصالحة التى يقدم عليها بعض الأتقياء(٥).

لم يثر وجود مسلمين فى بلاد النصارى مشكلة كبيرة لدى فقهاء المسلمين فى البداية، غير أن هذه المشكلة ظهرت بوادرها فى مستهل القرن الخامس الهجرى، حين سلم بعض المتنازعين على الخلافة إلى النصارى مدناً وحصوناً ومعاقل. ويقرر ابن حزم(٦) الذى عاصر هذه المرحلة، أن المسلم إذا لم يكن قادراً على الهجرة لسبب أو لآخر، فهو معذور، وإذا شارك الكفار فى حربهم وأعانهم فهو كافر، وإذا أقام لدنيا يصيبها وهو قادر على الهجرة فغير معذور لكنه لايكفر.

وفى غزاة المنصور بن أبى عامر إلى قطالونيا، اقتحم مدينة برشلونة، وأبقى هناك عدداً من المسلمين، أذرهم النصارى فى سنة ٩٨٦ - ٩٨٧م

---

(1) vol. III pp.59-60. Doc n. 788 Año 1241 Diciembre.
(2) Vol. III p. 67. Doc n. 795. Año 1242 mayo.

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٦١، ابن الأثير الكامل: جـ٦ ص١٤٢.

(٤) ابن حيان : المقتبس س٥ ص٤٧٥-٤٧٦.

(٥) النويرى: نهاية الأرب جـ٢٣. تحقيق أحمد كمال زكى. القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠ ص٣٥٨.

(٦) المحلى . جـ١١ ص٢٠٠.

بالخروج منها، وشاركوهم فيما بعد حروبهم ضد اخوانهم المسلمين(١). ويقول ابن رشد (الجد) فى هؤلاء أن حكمهم حكم أهل الفساد والحرابة، ولكن لاتحل أموالهم(٢)، أما الونشريشى(٣) - وهو فقيه متأخر - فلا يجيز شهادتهم.

فى أعقاب سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥، وغيرها من القواعد الأندلسية فى أيدى الملوك النصارى، دخل فى طاعة هؤلاء الملوك طوائف كبيرة من المسلمين الذين آثروا البقاء حيث هم، وصاروا يدعون بالمدجنين.

عومل هؤلاء المدجنون معاملة فى مجملها طيبة، لكنها لاتعدل معاملة المسلمين لرعاياهم النصارى فى زمان سابق. وكان يوجد دائماً تيار ينحو نحو التضييق عليهم، نشاهد أمثلة عديدة عليه، ولم يلبث أن تنامى هذا التيار، حتى أضحى التيار الحاكم فى أخريات الوجود الإسلامى بالأندلس، وبدأت من ثم المأساة التى انتهيت بالنفى فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى(٤).

---

(1) Carreras Y Candi, Francisco: Relaciones de los Vizcondes de Barcelona con Los Árabes, en Homenaje A.D. Francisco Codera. Zaragoza, 1904. pp. 207-209. Lévi-Provençal. op. cit. Vol II p.238.

(٢) الونشريشى: المعيار المغرب م١ ورقة ١٩٩.

(٣) المصدر السابق م ٥ ورقة ٢٠٣أ.

(٤) لمزيد من التفصيلات راجع : عنان : المرجع نفسه ع٤ ص٥٦ وما بعدها.

٧ – تقويم لعناصر المجتمع فى اسبانيا بعد الفتح الإسلامى:

إذا ألقينا نظرة على ممالك الشمال، وجدنا المملكة الأساسية ـ مملكة ليون ـ نشأت وعاشت صدر حياتها حتى عصر ملوك الطوائف فى منطقة وعرة ضئيلة الموارد قليلة السكان(١). ويعبر الميسيتا من الشرق إلى الغرب أنهار الدويرة والتاجه ووادى أنه Guadiana، وجميعها غير صالحة للملاحة ومازها منخفض عن المستوى العام للهضبة، مما لايفيد كثيراً فى الزراعة(٢).

هكذا كان اقتصاد هذا المجتمع رعوياً فقيراً، انتاجه الزراعى محدود والصناعة تكاد تفى بحاجيات المجتمع المحلى فى الضيعة، وقد أدت هذه الحال إلى تأخر التجارة، بل أن النقود نفسها كانت نادرة ولجأ الناس فى بعض الأحيان إلى المقايضة(٣). كما أصاب الانهيار البلديات، حتى أن استورقة وتوذة Túy ظلتا غير مأهولتين حتى منتصف القرن التاسع الميلادى(٤).

فضلا عن ذلك، فإن استمرار حال الحرب بين أمراء الاقطاع فى الداخل ومع المسلمين فى الخارج، تكشف عن حقيقة الأوضاع السياسية فى إسبانيا النصرانية،وتبين أنها لاتقارن بما كان سائداً فى الأندلس، حيث لم تقم ثورة لأسباب اقتصادية سوى الفتنة الكبرى فى أواخر عصر الامارة، وقد أسهمت فيها عوامل أخرى غير العامل الاقتصادى.

لم يعرف المجتمع الأندلسى نظام الطبقة المغلقة، فمناصب القضاء وصاحب الصلاة كان يتولاها مسلمون ينتمون إلى عناصر مختلفة، وبعضهم من أصل إسبانى، وكان المعيار هو الالمام بعلوم الدين ، فضلاً عن النزاهة

---

(1) Cambridge Economic history of Europe. vol .I p. 432-.

(2) Branigan, J. & Jarrette, H: The Mediterranean Lands. London, Macdonald, 1975 p.207.

(3) Cambridge Medieval history. Vol. III. p.441.

(4) Dozy: Spanish Islam p.412 note n°I.

وحسن الخلق(١). واتسع نطاق الطبقة الوسطى، وبخاصة فى عصر عبد الرحمن الناصر، فصارت تضم كثيراً من المولدين والنصارى المعاهدين، ووضح نشاطها فى الصناعة والتجارة.

أما فى إسبانيا النصرانية، فقد اتخذ الانتماء إلى طبقة معينة شكلاً وراثياً فمن كان أسلافه نبلاء صار نبيلاً، واجتمعت إليه ملكية الأرض والمنصب، ومن كان أسلافه من أوساط الناس أو العبيد صار كذلك، وبينما دعا الإسلام إلى المساواة بين الطبقات، فدية الحر واحدة، مهما كان وضعه الاجتماعى، نلاحظ تفاوتاً بين دية النبيل وبين دية غيره من الأحرار (٢).

وعرف الأندلس الفصل بين السلطات، فكان القضاء يتولاه رجال عدول متخصصون ذوو ثقافة عالية، ويصدرون أحكامهم وفق ما يقضى به الشرع(٣) أما فى اسبانيا النصرانية، فكان الملوك يتولون القضاء بأنفسهم، أو يتولاه النبلاء، ويطبقون أحكام كتاب القوانينLiber Iudiciorum المتخلف من عهد القوط، ولكن باسم جديد هو Fuero Juzgo(٤) وكان قسم النبيل ذا قيمة أكبر من قسم الحر العادى، كما كانت الشهادة ثانوية، فوجد ما يعرف باختبار الماء الساخن Ad pena Caldaria فيضع المتهم يديه داخل اناء به ماء ساخن، وعليه أن يقذف بما فيه من حجارة ساخنة خارجه، لمدة تصل إلى أيام، فإذا لم

---

(١) راجع فى هذا الشأن ما ورد فى قضاة قرطبة للخشنى، وبخاصة عهد عقبة بن الحجاج المهدى بن مسلم قاضيه.

(2) O' Callaghan: op. cit. p. 174.

(٣) راجع فى هذا الشأن وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس لابن سهل: تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف. القاهرة ١٩٨٠.

(4) Altamira, R.A historyof Spain trans by Muna Lee.N.Y Van Nostrand, 1949. p. 108.

تلتهب يداه، كان هذا دليلاً على براءتـه، ومـن هـذه الوسـائل العراك المسلح، وفي الحالين يكون الفوز دليلاً على حكم الله بالبراءة(١).

أدت الأوضاع السيئة التي كان يعيشـها الرقيق فـي الأندلس قبل مقدم المسلمين،إلى دخول عدد كبير منهم في الإسلام، ولم تقم ثورات لهم كما حدث في اسبانيا النصرانية. وبينما كانت الكنيسة تنظر إلى مورقاط الملـك باحتقار، لأنه ابن أمة، كان أمراء بني أمية وخلفاؤهم جميعاً أبناء أمهات أولاد.

كذلك كـان المعتقون فـي الأندلس يتسـاوون بـالأحرار، ويبرزون فـي علومهم، بينما في اسبانيا النصرانية، لم تكن أحوال المعتقين تختلف كثير عـن أحوال العبيد.

وفيما يتعلق بالأقليات الدينية، نجد المسلمين فـي معظمهم عيداً خـلال الشطر الأول من تاريخ اسبانيا النصرانية أما اليهود فرغماً عن تسامح الملوك معهم، فقد عاشوا داخل أحياء محصنة تحيط بهم كراهية الشعب والكنيسة.

وممـا تجب الاشـارة إليـه أن وضـع المرأة فـي الأندلس، كـان يفضـل وضعهـا فـي اسبانيا النصرانيـة، وقـد خصـت كتب الطبقات النسـاء بـأبواب مستقلة. ويأبى ابن حزم(٢) اطلاق مقولة نقص العقل والدين في المرأة في كل الأحوال، ويشير ريبيرا(٣) إلى أن الفتيات كن يرسلن إلى المدارس الأولية منذ الصغر، يتعلمن ما كان يدرس للصبيان، ثم يواصلن التعليم العـالي، ويحصلـن على الإجازات نفسها التي يحصل عليها الرجال، ويعملن في بعض الدواويـن، مثل ديوان الكتابة.

---

(1) O' Callaghan: op. cit. p. 173.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل. بغداد، المثنى. جـ٤ ص١٣١-١٣٢.

(٣) التربية الإسلامية في الأندلس. ترجمة الطـاهر مكي. القاهرة، دار المعـارف، ١٩٨١م . ص١٦٠-١٦١ .

الباب الثانى

الحياة الخاصة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل الثـالث : النصارى وتنظيماتهم الإدارية والدينية.

الفصل الرابع : النصارى وحياتهم الاجتماعية.

الفصل الخامس: النصارى وحياتهم الثقافية.

الفصل الثالث

النصارى وتنظيماتهم الإدارية والدينية

تمهيـــد :

أطلق المسلمون على العناصر الأصيلة التى حافظت علـى دينهـا القديم مُسَمَّى نصارى، على أنهم أطلقوا عليهم – كذلك – مسميات أخرى، يرتبط بعضها بسياق تاريخى لاتنفصل عنه.

هذه المسميات هى:مشركون،كفرة،ملحدون،علوج،روم ، عبيد ومشتقاها عبدان وعبود ، مسيحيون، ذمة ومشتقاتها أهل ذمة وذميون ونصارى الذمـة، عجم وأعاجم وعجمة، معاهدون ومعاهدة وأهل عهد، مستعربون.

يختلف تردد هذه المسميات بين عهد وآخر، فالمسـميات الثلاثـة الأولـى كانت تطلق فى مناسبات معينة، أخصها هياج التعصب الذى كـان النصـارى يتحملون جريرته، ويرتبط معظمها بعهد الفتنة الكبرى، وعمـر بـن حفصـون بالذات[1]، والثابت تاريخياً أنه تنصر، وعمد إلى اضطهاد المسلمين، حتى من كانوا اتباعه.

---

(1) راجع فى هذا الشأن بعض النصوص، مثل أول غزوات الناصر إلى ببشتر فى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص١٦٢–١٦٣، وغزاته الثانية إليها فى العام التالى، المصدر السابق جـ٢ ص١٦٥، حيث يرد تعبير مشركين، وغزاته فى سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، إلى المكان نفسه ويرد تعبير كفرة، المصدر السابق جـ٢ ص١٨٤. والشاعر المعاصر أحمد بن عبد ربه، يشير إلى الشرك والكفر معا فى قصيدته عن الغزاة الأولى، والمنطلق الدينى واضح من بدايتها:

قد أوضح الله للاسلام منهاجا والناس قد دخلوا فى الدين أفواجا =

يتصل بهذه المسميات الثلاثة مسمى علْج، وهو مرادف لكافر، وإن قصد به الكفر تخصيصاً، أي كبار الكفار (١)، وبخاصة في مجال الصدام معهم والجهاد، وعلى هذا فغالباً ماكان يطلق على نصارى الشمال وملوكهم بالتحديد(٢)، وربما كان الاستثناء الوحيد هو زمن الفتح، مثل اشارة ابن حيان(٣) إلى "العلوج الأدلاء أصحاب يليان" ورواية الأخبار المجموعة(٤) عن علوج اشبيلية الذين أرهقوا المسلمين في حصارهم. ويذهب دوزي(٥) ـ ومن بعده إيسيدرو دى لاس كاخيجاس(٦) ـ إلى أن القوم في آخر العصر الوسيط كانوا يطلقون هذه اللفظة على من ترك دينه؛ النصراني إذا أسلم والمسلم إذا تنصر.

وإذا كانت المسميات السابقة ذات طابع ديني، فثمة مسمى ذو طابع عرقي، وهو الروم، ويعني أصلاً أهل الامبراطورية البيزنطية، وبخاصة اليونانيين، لكن المسلمين كانوا يطلقونه أحياناً على الأوربيين بوجه عام أما

=

العقد الفريد. المطبعة الأزهرية بمصر، ١٩٢٨م. جـ٣ ص٢٠٨-٢٠٩، والشاعر أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني يمدح الناصر بقصيدة أولها:

الله أعطاك التي لافوقها   وقد أراد الملحدون عوقها

ابن الخطيب : الاحاطة جـ١ ص١٥١.

(١) ابن منظور: لسان العرب جـ٤ ص٣٠٦٥.

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٣ ص٢٢١، ابن حيان: قطعة الحكم المستنصر ص٣٢، ١٤٦-١٤٧.

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٢٦.

(٤) ص ١٦.

(5) Spplement aux dectionnaires Arabes. tome II, p.159.

(6) Los Mozarbes. Vol 1. p.57.

فى الأندلس فكان يقصد به فى بعض الأحيان أهلها من النصارى، وفى أحيان أخرى نصارى الشمال، وقد عرف ابن علقمة(١) فى القرن الخامس الهجرى التمييز بين الروم (نصارى ليون) الذين اقتحموا بلنسية فى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م وبين أهلها من "الروم البلديين".

أما عبيد (وعبدان وعبود) فأنها وردت كتعبيرات شعرية فى زمن الفتنة الكبرى(٢).

فيما يتعلق بتعبير مسيحى، فهو ترجمة حرفية للتعبير اللاطينى Christianus ،فيصف ابن جُلْجُل(٣) اسحق الطبيب فى عهد الأمير عبد الله، بأنه مسيحى النحلة، وفيما عدا هذا نجد الاشارة إلى النصارى بهذه الصفة قليلة فى مصادرنا.

أما مصطلح الذمة ومشتقاتها، فيقصد به المواطنون غير المسلمين فى دار الإسلام، يهوداً ونصارى، وهم الذين تم عقد ذمتهم أى عهدهم(٤). ولايتردد ذكر الذمة كثيراً خارج كتب الفقه. وفى احداث سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م يتحدث ابن حيان(٥) عن بنى ذى النون فى الثغر "واستطالتهم على من جاورهم من المسلمين وأهل الذمة"، كما يتحدث عن "وجوه اساقفة أهل الذمة" الذين عقدوا الصلح مع الطاغية رذمير فى سنة ٣٣٠هـ: ٩٤٢م(٦). ويشير

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٤ ص٣٩.

(٢) ابن حيان:المقتبس س٣ ص٥٩، ابن الأبار :الحلةالسيراء جـ١ ص١٥١ تر ٥٦.

(٣) طبقات الأطباء والحكماء تحقيق فؤاد سيد. القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى ١٩٥٥م ص٩٧.

(٤) ابن منظور : لسان العرب جـ٣ ص١٥١٧.

(٥) المقتبس س٥ ص٢٠٣.

(٦) المصدر نفسه ص: ٤٧٤.

ابن الخطيب[١] إلى "أهل الذمة الباقين من الروم" الذين قاطعهم الشاميون على ثلث أموالهم، كما يشير ابن القوطية[٢] إلى عمر بن حفصون، وكان ابوه من "مسالمة أهل الذمة".

على أن هذه الاشارات كانت قليلة، وفى معظم الأحوال يقصد بهذا التعبير فى الأندلس اليهود وليس النصارى[٣].

أما فيما يتعلق بمصطلح عجم (وأعاجم وعجمة) فيلاحظ أنه كثيراً ما يرد ذكره فى ازمنة الصدام المسلح بين النصارى وبين السلطة الاسلامية وبخاصة فى زمن الفتح، وفى أيام الفتنة الكبرى، ونستدل على ذلك من روايات ابن حيان[٤].

لم يكن مصطلح عجم ينصرف إلى نصارى الأندلس وحدهم، وإنما كان يجمع بين نصارى شبه الجزيرة جميعهم[٥]. ففى كتاب الناصر بعد غزوة الخندق يتحدث عن "مشركى قُلُمْرِيَّة وكل صنف من أصناف العجم معهم"[٦]

---

(١) الاحاطة جـ١ ص١٠٢.

(٢) تاريخ افتتاح الاندلس ص١٠٣.

(3) Lévi- Provençal: op. cit. Vol 1. p. 78.

(٤) المقتبس س٢ ص٣٦١، س٣ ص١٦، ٢٤، ٢٧، ٥١، س٥ ص١٣١، ٢٠٢، ٢٠٥. وانظر أيضا ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص١٤٥، ١٨٢، ١٩٢، وفى أرجوزة ابن عبد ربه يقول عن غزوة ببشتر فى سنة ٣١١هـ ٩٢٣م.

ثم انتحى بعد حصون العجم فداسها بالقضم بعد القضم

العقد الفريد جـ٣ ص٢٢٠.

(٥) فى النص اللاتينى للتقويم القرطبى نجد Christiani, Latini تقابلان عجما فى النص العربى Le Calendrier de Cordoue publice par Dozy- Leyde, Brill, 1873. pp. 12-14.

(٦) ابن حيان : المقتبس س ٥ ص٤٤٠.

كما يطلق الرازى(١) على رسل بُريل شُنير Borrel Sunyer قومس برشلونة ٩٤٠-٩٩٢ إلى الحكم المستنصر فى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م تعبير أعاجم.

يوازى مصطلح عجم، مصطلح معاهدين(٢) الذى يرادف فى معاجم اللغة وكتب الفقه مصطلح ذمة، ويقابل مصلح مسلم(٣). وقد استخدم فى الأندلس للتعبير عن نصارى أهلها، وأعان على استخدامه ما عقده المسلمون من عهود مع بعض النصارى، حصلوا بمقتضاها على قدر من الاستقلال وبخاصة فى مناطق الثغور، وصار وضعهم قريباً من وضع أهل العهد فى الفقه الاسلامى(٤).

---

(١) ابن حيان : المقتبس قطعة الحكم المستنصر ص٢١ .

(٢) وتكتب خطأ عند غالب المؤرخين المحدثين بكسر الهاء. انظر:

Levi-Provencal: op. cit. Vol. 1. pp.77-78. Isidro de las Cagigas: op cit. vol.1. p 57.

وهو خطأ شائع والصحيح بفتحها، لأن معاهدين هنا اسم مفعول، وليست اسم فاعل وهم الذين وقع عليهم العهد.

(٣) جاء فى اللسان فى مادة ذمة "أهل العهد أهل الذمة وهم الذين يؤدون الجزية من المشركين كلهم، ورجل ذمى معناه رجل له عهد والذمة العهد منسوب إلى الذمة.. وقوم ذمة معاهدون". جـ٤ ص١٥١٧ وجاء فى مادة عهد "المعاهد الذمى، وأهل العهد أهل الذمة، فإذا أسلموا أسقط عنهم اسم العهد" جـ٤ ص٣١٤٩ .

(٤) كان التصور العام للعالم فى الفكر السياسى الإسلامى، هو أنه ينقسم إلى دارين: دار الاسلام ودار الحرب، والصراع بينهما سجال، على أنه بعد انحسار موجة الفتوح الاسلامية الأولى، بدأ يظهر تعبير دار الصلح(أو دار العهد)، ونشوء هذه الدار نابع من عدم استطاعة دار الاسلام أن تتطابق مع العالم بأسره، وعدم استطاعتها أيضاً أن تعيش حال حرب مستمرة مع سائره، لاسيما فى أزمنة الضعف، ومن الممكن موادعتها على أن تؤدى مالا أو لاتؤديه بل قد يؤدى لها مال.

من هذه العهود عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير Teodemiro في شرق الأندلس، وقد سقط بوفاته، وعهد المسلمين مع نصارى قلمرية Coimbra في قاصية الغرب، الذى استمر حتى سقطت المدينة في أيدي نصارى الشمال في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م.

وليس أدل على رسوخ مصطلح معاهدين في الأندلس أن صاحب معجم الفوكابوليستا في القرن الثالث عشر الميلادى جعل Tributarius اللاتينية، وتعنى دافع جزية، تقابل الذمي والمعاهد(١).

عرف نصارى الأندلس أيضاً بأسم مستعربين (بفتح الراء) Mozárabes على أن هذه التسمية مرت بعدة مراحل حتى استقرت، فيطلق عليهم الفونش السادس في قانونه لسنة ١١٠١ اسم Muztarabes(٢)، كما يطلق عليهم ألفونش السابع في قانونه لسنة ١١١٨ اسم Muzárabes(٣) ، ودعاهم ألفونش المحارب ملك أرغونة في قانونه العام لسنة ١١٢٦، باسم Mozarabes(٤)

- انظر في هذا الشأن الماوردي: الأحكام السلطانية. مراجعة محمد فهمي السرجاني. القاهرة، المكتبة التوفيقية ١٩٧٨ م ص٥٣- ٥٥، ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد جـ١ ص٣٥٦-٣٥٧.

وانظر أيضا المقال القيم لبرنارد لويس في تراث الاسلام (جديد) تصنيف شاخت وبوزورث. ترجمة محمد زهير السمهودي. الكويت، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٧٨م ق١ الفصل الرابع السياسة والحرب ص٢٥٥-٢٥٦.

(1) Simonet. F.: Historia de los Mozárabes de España Madrid, 1897. p.9 del prologo nota.2.

(2) Ad totos Muztarabes de Toleto, tam cavalleros quam podones. Simonet: Historia de los Mozárabes p.9 nota n.5.

(3) Castellanos et Gallecos et Muzárabes p.10 nota n.1.

(4) Ad vos totos Christianos Mozarabis quos ego traxi cum Dei auxil io de potestate sarracenorum. p.10 nota n.6.

ونقرأ كلمة Mozarabos في الامتياز الذي منحه أنفونش السابع في سنة ١١٣٧ لأهل طليطلة(١)، ويطلق عليهم كاتب انجليزي مات في منتصف القرن الثاني عشر تعبير Muceravios(٢)، كما يطلق عليهم الشاعر جونثالودي برثيو Gonazalo de Berceo في أوائل القرن الثالث عشر Mozarabía(٣)، وفي الوقت نفسه يشير كاتب فرنسي للنصارى الخاضعين للمسلمين في اسبانيا وافريقية بتعبير Mosárabes(٤) ونجد في التاريخ العام لأنفونش العالم ١٢٥٢-١٢٨٤م تعبير Al mozárabes(٥).

أما عن الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة، فتذهب الدراسات الحديثة جميعها إلى أنها مشتقة من أصل عربي، وهو رأي له وجاهته، فقد عرف العرب تعبير مستعربة في المشرق، وكان يقصد به ولد اسماعيل عليه السلام، في مقابل العرب البائدة، وهم ولد ارم بن سام، والعرب العاربة وهم ولد قحطان ابن عابر(٦).

ويحلل ابن خلدون(٧) مصطلح مستعربة فيقول "وإنما سمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم، لأن السمات والشعائر العربية، لما انتقلت إليهم من قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة، بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم، وهي اللغة العربية التي تكلموا لها".

---

(1) Omnibus Christianos qui hodie in Toleto populati sunt, vel populi venerint, Mozarabos, Castellanos, Francos. p.10 nota n.10.

(2) Tunc Muceravii Fere decem millia congregati sunt. p.10 nota n.11.

(3) Undieron esta Voz toda la clerecía, E muchos legos de los de la Mozarabia p.10.

(4) 111i vero Christiani qui in Africa et Hispania inter occidentales Sarracenos commorantur, Mosárabes nuncupati. p.11 nota n.1.

(5) De los Christianos Almozárabes que eran criados en tierra de Moros. p.11 nota n.5.

(٦) النويري : نهاية الأرب جـ٢ ص٢٧٦.

(٧) كتاب العبر : جـ٢ ص٤٦ .

ويذهب رئيس الأساقفة خمينيث دى رادا D. Rodrigo Ximénez de Rada إلى جعل الأصل الاشتقاقي للكلمة هو Mixti Arabes(١) أى المختلطون بالعرب، وفى أغنية متأخرة، لانعرف مؤلفها، يتبنى المستعربون أنفسهم نظريته ويعترفون بها(٢).

أما عن اطلاق هذه التسمية على نصارى الأندلس، فواضح من النصوص أنها وجدت فى صيغتها اللاتينية ابتداء من سنة ١١٠٠، ونجدها أيضا بحروف عربية فى الوثائق المستعربية بطليطلة، وأقدمها يعود إلى اواخر القرن الحادى عشر. وبطبيعة الحال فإنه سبقت هذه التواريخ فترة استخدام عند الجمهور، وربما كانت فترة طويلة، وبعد أن هاجرت أعداد من النصارى المعاهدين متقطعة إلى الأراضى النصرانية شمالاً ذاعت هذه التسمية بين غيرهم من النصارى، وبخاصة أنهم جاءوا بلغة وثقافة وأسلوب حياة وأعراف، تخالف ما كان عند هؤلاء، وبذا صار الاستخدام الدارج لهذا المصطلح قبل سنة ١١٠٠م، وصار الاستخدام المكتوب بعد ذلك تقريراً لواقع.

١ – التنظيمات الادارية :

لما قدم العرب إلى الأندلس، أبقوا على النظام الادارى السائد، وعملوا على تطويره، وحافظوا على التقسيم الادارى الذى كان انعكاساً بدوره للتقسيم الجغرافى، كما حافظوا أيضاً على نظام البلديات الذى يعود إلى العهد الرومانى(٣).

---

(1) Simonet: Op. cit. p.11 del prólogo.

(2) Mozárabes nos llamonos, porque entre Árabes mezdados los mandamientos seguidos de nuestra ley verdadera, con valor Fe sincera, han sido siempre guardados. Melvill Barbour: The Significance of the word Mauros p.261 note 42.

(3) Simonet: op cit. p. 106.

كان العرب ابان الفتح يعقدون مع أهل كل بلد عقداً أو معاهدة، وكان التعاقد أو التعاهد يتم مع الكوريا Curia القديمة (أي المَشْيَخَة) وهي الهيئة الحاكمة أو الممثلة لجمهور الأهالي(١)، وأقر المسلمون لهؤلاء أن يسيروا وفقاً لأعرافهم وقوانينهم، ما دامت لاتتعارض مع الشريعة الإسلامية(٢).

(أ) القوامس :

كان رئيس الجماعة النصرانية في قرطبة يدعى بقومس Comes الأندلس، ويذهب البعض(٣) إلى أنه كان يطلق عليه أيضاً "زعيم نصارى الذمة" وتعد هذه التسمية وكذا "متولي المعاهدين" صفة للقومس، وليس اسماً لوظيفته.

عرفت اسبانيا قبل العرب هذه الوظيفة، وأن اختلف مضمونها، فكان المجلس الملكي Aula Regia يضم إلى جانب كبار موظفي البلاط والنبلاء والأساقفة ستة من قوامس العاصمة(٤) ، إلى جانب عدد من قوامس الأقاليم وكان القوامس هم الطبقة التي تلي طبقة الدوقات Duces في السلك الاداري للدولة، وكان هؤلاء الأخيرون يلون الحكم في الولايات ويقودون الجيوش(٥) وتذكر المصادر من القوامس الذين عاصروا دولة القوط ودولة العرب معا قَسِّي قومس الثغر الذى أسلم، وعبر البحر إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق،

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٥٩٦.

(2) Simonet: op cit. p. 107.

(٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٤٥٩.

(٤) هم قومس الخزانة Comes Thesaurorum ، قومس المواريث الملكية Comes Patrimonii، قومس القضاء Comes Notariorum ، قومس الحرس Comes Spatariorum قومس الاسطبلات Comes Stabuli ، قومس البلاط Comes Cubicolariorum. انظر : O.Callaghan: op cit. p.60.

(5) Livermore: op cit. p.223.

وصار من مواليه، وخلفه بنوقسي أصحاب الثغر الأعلى خلال القرن الثالث الهجري[١].

كان قومس الأندلس يعين بمعرفة السلطات الإسلامية، ويمكننا أن نقرر أن سلطة القومس كانت تتركز في المسائل المدنية الخاصة بالنصارى، إلى جانب أنه كان حلقة اتصال بينهم وبين الحكومة الإسلامية.

كان القومس يقوم أحياناً بجباية الخراج، وتشير المصادر إلى أرطباش - وهو أول القوامس - "بقومس الأندلس وزعيم عجم الذمة مستخرج خراجهم لأمراء المسلمين[٢]" وأحياناً كان القومس يعاون الحكومة الإسلامية في استقبال ملوك اسبانيا وسفرائهم، مثلما فعل معاوية بن لب القومس سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م[٣].

وكان النصارى - بدورهم - ينظرون إلى القومس باحترام، وهو ما نلاحظه في كتابات ألبرو القرطبي، الذي يدعو القومس الذي عاصره في أواسط القرن التاسع الميلادي - وهو رومانو - برئيس الكاثوليكيين جميعهم Omnium Catholicorum Summo[٤].

وإذا كان المسلمون يعينون قومس بالأندلس، فإنه كان يوجد إلى جانبه قوامس في مدن أخرى بالأندلس غير قرطبة، وهؤلاء كانت تختارهم الجماعة النصرانية في كل اقليم، فيذكر الراهب صاحب مدونة البلدة، أن العرب تركوا لأهل البلاد حق اختيار قوامسهم.

---

(١) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص٥٠٢.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة جـ١ ص١٨.

(٣) ابن حيان : المقتبس، قطعة الحكم المستنصر ص٦٤.

(4) Simonet: op. cit. p 460. nota n.2.

Et unusquisque ex ellorum origine de semit epsos comites eligerent, qui per omnes habitantes terrae illorum pacta regis congregarentur[1].

وإذا كان قومس قرطبة يعاونه نصرانى مسئول عن القضاء، فالظاهر أن القوامس فى الأقاليم كانت لهم سلطات قضائية، فيقضون بين النصارى وفقاً لكتاب القوانين(٢). وتشير المراجع إلى قومس قلمرية، وما كان يتمتع به من سلطات واسعة.

إذا تتبعنا أخبار قوامس الأندلس، نجد أن أولهم هو أرطباش Ardabasto أحد ولد الملك غيطشة الثلاثة إلى جانب ألمند Olemundo ورقلة (أورمله Romulo) وهو الذى اقترح على أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى بتفريق الشاميين فى الكور(٣). ويحدثنا ابن القوطية(٤) عن مجلسه واتخاذه كرسياً مصمداً(٥) بالذهب والفضة، وكانت فخامة موكبة، عندما كان يخرج فى صحبة عبد الرحمن الداخل، وما يتلقاه من هدايا فى كل محلة من ضياعه سبباً فى أن قبض منه الأمير هذه الضياع، لكنه لم يلبث أن تصافى معه ووصله وولاه القماسة، فكان أول من وليها.

وفى عهد الحكم الربضى نجد قومس يدعى ربيع بن تَدُلْف Teodulfo كان أثيراً عنده، وعاونه ابان هيج الربض(٦)، ونسب إليه فيما بعد أنه ظلم أبناء أهل الذمة، فسلب أموالهم ، مما جعل الحكم يأمر بصلبه فى آخر سنى حكمه، وعقب تولى ولده عبد الرحمن الأوسط ، أتت وفود المظلومين من

---

(1) Ibid: p. 108. nota n. 1.
(2) Cambridge Medieval history vol. III. p. 430.

(٣) ابن الخطيب: الاحاطة جـ١ ص١٠٣.

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس ص٥٧-٥٩.

(٥) اى مكسو.

(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص٩٦.

خارج قرطبة، يطلبون رد أموالهم التى سلبها ربيع، وكان أشدهم أهل البيرة، وتطور الخلاف وتحول إلى معركة قتل فيها عدد كبير منهم(١).

وفى بداية عهد الأمير عبد الله كان قومس قرطبة يدعى حجاج (أو حسان) هرب ولده شرّنْد Servando إلى عمر بن حفصون، وشن الغارات على العاصمة، حتى ظفرت به خيل المسلمين، واحتزت رأسه، وأمر الأمير بصلب أبيه القومس(٢). وتلاه فى القماسة حزمير (أوجذمير) Hazemiro(٣) الذى علا نجمه عند الأمير حتى أنه نجح فى صرف نظره عن تولية قاض بعينه، وولى آخر بدلاً منه(٤)، على أنه تورط بدوره فى فتنةً ابن حفصون وحبس، وظل فى حبسه إلى أن توفى سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م(٥).

وفى الفترة التالية التى تبدأ بعهد عبد الرحمن الناصر، نجد أن معظم أخبار قوامس الأندلس ترتبط بمشاركتهم فى استقبال ملوك اسبانيا النصرانية وسفرائهم، وربما تضاءل شأنهم مع اتساع نطاق الإسلام وتعاظم سلطة الدولة.

(ب) الوظائف المساعدة :

كان يلى القوامس موظفون يساعدونهم Magistrados Minores(٦) منهم قاضى النصارى (أو قاضى العجم) عرف فى اللاتينية باسم Censor

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص١٤١، ابن خلدون: العبر جـ٤ ص١٢٧-١٢٨ وانظر أيضا محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام فى الأندلس ع١ ق١ ص٢٥٥.

(٢) ابن حيان : المقتبس س٣ ص٩٢، وانظر أيضا: Simonet: op cit. p. 554.

(٣) أو ربما أصلها Casimiro.

(٤) الخشنى : قضاة قرطبة ص١٠٠-١٠١.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص١٤٢، انظر أيضا.
Simonet: op cit. p. 571.

(6) Ibid . p. 108.

أو Judex(١)، وصار فى القشتالية القديمة Alcalde(٢) وكان يلقب أحياناً بالوزير القاضى، وإن لم تتوافر لنا نصوص بهذا الشأن قبل القرن الحادى عشر الميلادى، وهو مانجده فى الوثائق المستعربية بطليطلة(٣) والمرجح أن الوزير هنا ليس منصباً، وإنما صفة تدل على الاحترام، فمن الفقهاء المسلمين من لقب بالوزير الفقيه، دون أن تضاف إليه مهام وزارية(٤).

كان تعيين القاضى وعزله خاصاً بالأمير أو الخليفة، ففى سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م استقبل الحكم المستنصر رسل طوطة Elvira الوصية على رذمير ملك ليون، وكان المترجم هو أصبغ بن عبد الله بن نبيل القاضى، ويبدو أنه كان أميناً فى الترجمة، فنقل عن لسانهم مـا لايجوز، فوبخ الخليفة الرسل، وأمر بالقصائهم عنه، واحتجزهم فترة، ثم أمر بترحليهم، أما أصبغ فقد عزل من منصبه، وتوعده الخليفة بالعقاب، لكنه لم يلبث أن عفا عنه(٥).

كان القاضى يقضى بين المعاهدين بما جاء فى كتاب القوانين(٦)، الذى تمت ترجمته إلى العربية، وعرفه ابن حزم، وأشار إليه فى الفصل، وفى مخطوطه المحفوظ فى المكتبة الأهلية بمدريد، نجد بين السطور اللاتينية ترجمات عربية، وإن كانت بها بعض الأخطاء اللغوية والاملائية(٧).

(1) Lévi-Provençal: op. cit. vol III p. 219.

(2) Simonet: op. cit. p.108.

(٣) فى وثائق كثيرة راجع مثلاً Vol. 1 p;227. Doc n. 228 año 1198 Noviembre, p.265 Doc.n.323, Año 1203 Enero, p.267 Doc 325 Año 1 203 Mayo.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة جـ١ ص٣٢٠-٣٢١.

(٥) ابن حيان: المقتبس قطعة الحكم المستنصر ص١٤٦.

(6) Lévi-Provençal: L'Espagne au Xème Siecle p.37.

وكتاب القوانين هو Judiciorum أو Liber Judicum القوطى القديم الذى دعى فيما بعد باسم Fuero Juzgo وينسب إلى الملك ركسفنث Reccesvinth ٦٥٣-٦٧٢م.

(7) Van Koningsveld: Latin arabic glossary. p.47.

وليس صحيحا ما يذهب إليه ابن حزم(١) من إلزام النصارى بأحكام المسلمين في فقههم من نكاح ومواريث وبيوع وحدود وغيرها، فقد تحدث في موضوع آخر، عما كان يجري في الأندلس من التزام النصارى بقوانينهم وشرائعهم ويتعجب من تقسيم ميراثهم طبقاً لها(٢).

ومن أشهر قضاة العجم حفص بن البر ـ وجده الأعلى وقله بن غيطشة(٣) ـ في عصر عبد الرحمن الناصر، ومن قضاتهم أيضا ارخيميرو Argimiro وهو أحد شهداء قرطبة، توفي في سنة ٨٥٦م، ودفن في كنيسة شويلش(٤).

على أن معظم أخبار هؤلاء القضاة في المصادر العربية، تتصل بعصر الحكم المستنصر والحجاب العامريين، فكان القضاة، شأنهم في هذا شأن القوامس والأساقفة، يشاركون في استقبال ملوك اسبانيا النصرانية، وسفرائهم ويقومون بالترجمة،وهكذا كان شأن وليد بن خيزرون(٥)، ثم أصبغ بن عبد الله ابن نبيل في عهد الحكم المستنصر(٦)، وأصبغ بن سلمة في عهد الحاجب المظفر(٧).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام،تصحيح أحمد شاكر ،الخانجي١٣٤٥هـ جـ٥ ص١٠٩.

(٢) الإحكام جـ٩ ص٣٠٧-٣٠٨.

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٣١.

(4) Isidro de las Cagigas: op. cit. vol. 1. p.219.

(٥) المقري: نفح الطيب جـ١ ص١٨٢، أزهار الرياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين،القاهرة لجنة التأليف، ١٩٣٩ جـ٢ ص٢٨٩-٢٩١، ويسميه ابن خلدون وليد بن مغيث ويدعوه بالجاثليق، ومعنى هذا أنه جمع القضاء إلى المنصب الديني.العبر جـ٤ ص١٤٥.

(٦) ابن حيان : المقتبس قطعة الحكم المستنصر ص٦٤، ١٤٦.

(٧) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٨١.

كان الموظف المسئول عن جمع الضرائب من المعاهدين يعرف بالمستخرج أو مستخرج الخراج، أو مستخرج خراج الذمة، وحل مكان قومس الخزانة Comes Thesaurorum في العهد القوطي(١)، وعرف في النصوص اللطينية باسم Exceptor(٢) أي الجابي أو المُتَقَبِّل، وإن كان ألبرو القرطبي يجعل Exceptor مقابلاً للكلمة العربية المشرف التي عرفت في عجمية أهل الأندلس باسم Almoxarife، Almoxerife.(٣).

وأشهر من ولي هذا المنصب قومس بن انتنيان بن يليانة في عهد عبد الرحمن الأوسط(٤)، ولانعرف ماذا كان اسمه في المصادر النصرانية المعاصرة، ويذهب سيمونيت(٥) إلى أنه كان يدعى Gómez، وتخريجه غير صحيح لأن جوميث هذه لاتتفق مع الصور العربية للأسماء اللاتينية القديمة، لأنها إذا صحت، يكون مقابلها العربي هو غومس أو غومز الذي نجده في النصوص العربية. وبذا يكون المقابل اللاتيني لقومس هو Comes وفي القشتالية والاسبانية Conde(٦).

ومن المناصب الأخرى منصب الأمين، فكانوا بالأندلس طوائف للحرف Collegia، بقيت منذ عصر الرومان، وتدهورت في عصر القوط، فجعل العرب على رأس كل طائفة رئيساً يدعى بالأمين Alamín، نجده في الوثائق المستعربية(٧).

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٥من هذا الكتاب.

(2) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane vol. III p. 219.

(3) Simonet: op. cit. p.112.

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٩٧-٩٨.

(5) op. cit. p.112.

(٦)ابن حيان المقتبس س٢ص٥٢٣ حاشية، ٣١للمحقق الفاضل الأستاذ محمود مكي

(٧) حسين مؤنس : فجر الإسلام ٤٦٤، Simonet: op. cit. p.109 Y. nota n.1.

كما كان مهرة الصناع يعرفون بالعرفاء، وانتقلت الكلمة إلى القشتالية فصارت Alarife، وأحياناً ترد في الوثائق المستعربية باسم Alharif Alahriz(١)، وفي أحداث سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، عندما ظفر الناصر بحصن أبذة Úbeda(٢) من كورة جيان، ولى عليه عريفاً من العجم يدعى ابن بزنت Vicente(٣).

ويذكر سيمونيت(٤) مناصب أخرى، منها صاحب المدينة Zavalmedina وصاحب الشرطة Zahba Seorta والمحتسب Almatacén على أنه لاتوجد نصوص معاصرة تدل على أن قد وليها نصارى، ولا نجد عنها خبراً في أي من مصادرنا.

٢ – التنظيمات الدينية :

كان غالبية نصارى الأندلس يدينون بالمذهب الملكاني(٥)، ولا يمنع هذا أن الأريوسية، وان ضعف أمرها قبل مقدم العرب بسنوات طويلة، كان لايزال لها أنصار وأتباع(٦)، وسوف يظهر أثرها – كما نرجح – في نحلة التبنى لاليباندوس مطران طليطلة.

(1) Ibid. p. 109 nota n°2.

(٢) أُبذة بالضم ثم الفتح والتشديد، اسم مدينة بالأندلس من كورة جيان تعرف بأبذة العرب.. اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وتممها ابنه محمد بن عبد الرحمن ياقوت: معجم البلدان تصحيح محمد أمين الخانجي، القاهرة ١٩٠٦م ، جـ١ ص٧٣.

(٣) ابن حيان: المقتبس س٥ ص١٣١.

(4) op cit p.108.

(٥) كان الملكاني يعرف في عامية أهل الأندلس بكثولق أو قثولق أو قتولق أو كثوليقي، وجميعها مشتقة من اللاتينية Catholicus وصارت في القشتالية Católico انظر :
Simonet: Glosario p. 113.

(6) Cambridge Medieval history. Vol. II p.172.

(ا) الكنائس والأديرة المستعربية(١):

كان عدد المطرانيات والأسقفيات في مملكة القوط سبعاً وسبعين، منها ثمانية خارج شبة الجزيرة(٢)، وهو رقم يقارب ما ورد في المصادر العربية، التي تقرر أنها ثمانون(٣). وبعد فتح الأندلس، انخفض عدد المطرانيات والاسقفيات، لأن السيادة العربية تخالف السيادة القوطية، ويذهب سيمونيت(٤) إلى أن عددها صار واحدا وثلاثين كرسياً.

من هذه الكراسي ثلاث مطرانيات، هي طليطلة، ماردة، اشبيلية وثمان وعشرون أسقفية، هي وادى آش، أركَيكة Arcavica شذونة، استجة Ecija، برشلونة، بسطة Baza، بياسة Baeza بقسرة Bigastro، قَلهُرّة Calahorra قُورية Coria ، سرقسطة، مدينة المائدة Alcalá de Henares قلّمرية، قرطبة، قبرة Cabra، لبلة Niebla، البيرة (غرناطة) جِرُنْدة Gerona، ألش Elche، مالقة، أرقلة Urgel أوسما Osma، شبة Exea، سيجونثا Sigüenza، مارتش Martos أرش Urci، طالِقَة Itálica وبلنسية.

ورغماً عن علو شأن أسقفية قرطبة ، لوجودها في حاضرة الدولة ، وتمثيل أسقفها المعاهدين لدى السلطة الإسلامية ، الا أن مطران

---

(١) كان يطلق على الكنيسة أحياناً تعبير بيعة (بكسر الباء) وجمعها بيع، أما في عامية أهل الأندلس، فدعيت اكلاشية، وهي مشتقة من اللاتينية Ecclesia وصارت في القشتالية Iglesia, Eclegia, Eglesia انظر: Simonet: Glosario p. 182.

كما كان يطلق على الدير - ويجمع أديرة وديارا وديارات - منستير، وهي مشتقة من اللاتينية Monasterium، وأضحت في القشتالية Monasterio انظر: Glosario: p.371.

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٤٩٢.

(٣) الحميري: الروض المعطار ص٥٦، ١٣٤، ابن الأثير: الكامل جـ٤ ص٢٢٩.

(4) Historia de los Mozárabes. p. 122.

طليطلة ظل حتى القرن الحادى عشر الميلادى مطران نصارى الأندلس جميعهم(١).

وبطبيعة الحال فإن عدد هذه المطرانيات والأسقفيات كان يتناقص مع تقدم (حركة الاسترداد) وتصاعدها ابتداءً من عصر الطوائف وتفرق أمر الأندلس.

وتشير المصادر العربية إلى كنائس عظيمة فى شنت مرية(٢) وميرتلة(٣) Mértola ودروقة Daroca(٤)، وهذه الأخيرة كانت بها كنيسة تدعى أبرونية، يروى أنها احتوت ثلاثمائة وستين بابا، وكنيسة الغراب، وهى كنيسة شنت بجنت Sanctus Vicenti على البحر المظلم (المحيط الأطلسى) قرب شِلْب Silves(٥)، وكنيسة إستجة التى جاورت جامعها(٦).

كما تشير المصادر إلى كنيسة ربينة Rufina، بإشبيلية التى سكنها عبد العزيز بن موسى بن نصير وزوجه النصرانية وبها قتل ، أما البيرة - مهد

---

(1) Lévi-Provençal: op.cit. vol III p.224, De las Cagigas: op. cit. vol I p.148.

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص٣٠١.

(٣) الحميرى : الروض المعطار ص١٩١.

"ميرتلة بالكسر جمع بين ساكنين وتاء مثناة من فوقها مضمومة ولام حصن من أعمال باجة وهو أحمى حصون الغرب وأمنعها من الأبنية القديمة على نهر آنا.. "ياقوت: معجم البلدان جـ٨ ص٢٢٤.

(٤) الحميرى: الروض المعطار ص٧٦، ٧٧ "دروقة مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب عظيمة فى سفح جبل.. وقيل بين دروقة وبين قلعة أيوب ثمانية عشر ميلاً".

(٥) الادريسى: صفة المغرب ص١٨٠.

(٦) الحميرى : الروض المعطار ص١٥.

النصرانية فى اسبانيا - فكانت توجد خارج مدينة غرناطة كنيسة هدمها فيما بعد المرابطون(١).

ومن أشهر الأديرة دير Cauliana على وادى آنه قرب ماردة(٢)، ودير Lorbána ودير Vacariza قرب قلمرية بالبرتغال(٣).. وكانت الأديرة تطبق نظام القديس بندكت San Benito(٤).

ومن الكنائس التى أوردها التقويم القرطبى كنيسة القديسين الثلاثة Basilica Sanctorum Trium وكانت منزل الأسقف - بربض البرج Vico Turris(٥) وعندما أسر المنصور بن أبى عامر فى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م غرسية García Fernández قومس قشتالة، ثم مات فى الأسر، دفن فى هذه الكنيسة(٦).

ويشير التقويم(٧) إلى كنيسة جفريان الحكيم أسقف قرطاجنة Ecclesia Sancti Cypriani وكنيسة الأسرى Ecclesia Carceratorum وهى كنيسة القديس أجلج Sanctus Acisclus غربى قرطبة(٨)، وعلى الشاطىء المواجه بالوادى الكبير فى منية عجب توجد كنيسة القديس قرشتويل Sanctus Christophorus(٩)، حيث ألحد عدد من الشهداء(١٠).

---

(١) ابن الخطيب:الاحاطةج١ ص١٠٧، انظر أيضا. Simonet: op.cit. p.540.
(2) Ibid. p.307.
(3) Ibid. p.65.
(4) Isidro de las Cagigas: op. cit. p.58.
(٥) تقويم قرطبة ص٩٦ النصان العربى واللاتينى. وانظر أيضاً:
Simonet: op.cit. p.327.
(6) Diccionario vol. I p. 208.
(٧) ص٧٤، ٨٨، ١٠٧، ١١٢.
(٨) ص١٠٦ النصان العربى واللاتينى.
(٩) تقويم قرطبة ص٧١ النصان العربى واللاتينى.
(10) Simonet: op. cit. p.329.

وإلى الجنوب فى منطقة القنبانية Campina ، كان يوجد كنائس وأديرة كثيرة ، مثل كنيسة القديس شويلش[١] ، التى دفن فيها سبيرا - إن ديو أول المحرضين على الاستشهاد فى العصر الاسلامى[٢].

كان جبل قرطبة يغص بالعديد من الكنائس والأديرة مثل دير "Pinna Mellaria"[٣] (أى تلة العسل) وكان يضم رجالاً ونساءً يفصل بينهم جدار، ويرأسه عباد واحد[٤]، وكان يحتفل فيه بعيد الصليب (شنت قروش) وعيد الغطاس[٥].

وعلى بعد ثلاثين ميلا شمالى قرطبة كان يوجد دير شويلش، ويدعى فى المصادر العربية بدير أرملاط Coenobium Armilatense نسبة إلى النهر المجاور Armilata، وكان يحتفل فيه بعيد القديس أجلح فى ١٨ نوفمبر[٦]، ودفن به جسد إيولوخيو إلى أن تم نقله فى سنة ٨٨٤م إلى أبيط Oviedo[٧].

وكان هذا الدير يقع على الطريق إلى طليطلة، مما ترتب عليه أن بعوث المسلمين، وهى فى طريقها إلى الثغر الأعلى، كانت تحط رحالها عنده، وقد توفى الحاجب المظفر على مقربة منه، فى عوده من آخر غزواته سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[٨]، ولجأ إليه أخوه عبد الرحمن شنجول فى العام نفسه، عندما طاردته قوات محمد بن عبد الجبار[٩].

---

(١) تقويم قرطبة ص٥٣، ٦٦، ١٠٣ النصان العربى واللاتينى.

(2) Simonet: op. cit. 331.

(٣) تقويم قرطبة ص١٩، ٥٢، النصان العربى واللاتينى.

(٤) أى رئيس الدير.

(5) Simonet: op. cit.p.334.

(٦) تقويم قرطبة ص١٠٦.

(7) Simonet: op. cit.p.486.

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص ٣، ٥، ٧، ٣٧ .

(٩) المصدر السابق جـ٣ ص٧١-٧٢ .

ومما تجدر ملاحظته أن الكنائس احتفظت بعد الفتح بأموالها وأراضيها وبصرف النظر عن أحكام وردت فى كتب الفقه ، فلدينا نص هام فى الأخبار المجموعة(١) ، نقف منه على أن أهل ماردة صالحوا موسى بن نصير "على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين، وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين، وأموال الكنائس وحليها لها" كما أن هناك اشارات متواترة عن أحباس موقوفة على الكنائس، فيذكر القاضى عياض(٢) أن القسيسين كانوا ينفقونها فى مصالحها وما فضل يأخذونه لأنفسهم.

(ب) المناصب الكنسية :

كانت الكنيسة تختص بتعيين رجالها ، ويستلزم ذلك موافقة الأمير (أو الخليفة)(٣)، وعندما أقام العرب أبَّة Oppas أخا الملك غيطشة مطراناً لطليطلة، لم يرتض أهل البلاد ذلك، وأقاموا مطراناً آخر هو أربانو Urbano ولم يعترض العرب(٤). وعند وفاة وسترميرو Wistremiro فى سنة ٨٥٨م اختار الأساقفة إيولوخيو مطراناً، واعترض الأمير محمد، لكنهم أبوا اختيار بديل له مادام حياً، واستمر الأمر كذلك إلى أن أعدم إيولوخيو فى مارس من العام التالى(٥).

وتورد المصادر العربية أسماء عدد ممن شغلوا المناصب الدينية، لكن هذا الحديث يأتى فى معظم الأحيان من خلال تمثيلهم للحكومة الإسلامية كمبعوثين

---

(١) ص١٨ .

(٢) الونشريشى : المعيار المغرب م٤، ورقة ١٩ب.

(٣) ليفى بروفنسال: الحضارة العربية فى أسبانيا. ترجمة الطاهر مكى. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م ص١٠٢.

(4) Saavedra: op. cit. pp. 105-106.

(5) Isidro de las Cagigas: op. cit. vol.1. p.156.

لها لدى الدول الأجنبية، أو فى استقبال وفود بحكم معرفتهم باللاتينية.

فى سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م أرسل الناصر عباس بن المنذر الجاثليق أسقف إشبيلية (المفروض أنه مطران) ويعقوب بن مهران أسقف بجانة Pechina(١) وعبد الملك بن حسان أسقف البيرة إلى ملك ليون، للاتفاق على فداء محمد بن هاشم التجيبى الذى أسر فى معركة الخندق، ونجحت السفارة(٢).

وعندما أتت سفارة من ملك الروم فى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م أرسل الناصر هشام بن كليب الجاثليق إلى قسطنطين، ليجدد الهدنة ويؤكد المودة، ورجع بعد سنتين(٣).

وفى سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م قدم إلى قرطبة أردون بن أذفونش، واستقبله الحكم المستنصر، وقد حفته وجوه أهل الذمة، وفيهم عبيد الله بن قاسم مطران طليطلة(٤)، الذى تولى بعد ذلك مطرانية اشبيلية، وشارك فى الترجمة، عندما أتى سفراء الأسبان سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م(٥)، كما كان مع رسل جلويرة، عندما أساموا السفارة موفداً إليها(٦).

---

(١) بجانة بالفتح ثم التشديد وألف ونون بالأندلس من اعمال كورة البيرة خربت وقد انتقل أهلها إلى المرية وبينها وبين المرية فرسخان وبينها وبين غرناطة مائة ميل وهى ثلاثة وثلاثون فرسخا ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص٦١-٦٢ وانظر أيضا الحميرى: الروض المعطار ص٣٧.

(٢) ابن حيان : المقتبس س٥ ص٤٦٧.

(٣) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٤٣.

(٤) المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٨٢، أزهار الرياض: جـ٢ ص٢٨٩.

(٥) ابن حيان : المقتبس، قطعة الحكم المستنصر ص٦٤.

(٦) المصدر السابق ص١٤٧.

(جـ) طقوس الكنيسة ورسومها:

كان الحاكم المسلم يختص بالموافقة على عقد المجامع الدينية[١]، وليس صحيحا ما يذهب إليه سيمونيت[٢]، من أنه كان يمثل السلطان فى هذه المجامع نصارى مرتدون أو مسلمون، وكانت مجامع طليطلة تعقد فى قرطبة، لأن مركز السلطة السياسية انتقل إليها.

كانت الكنيسة تمارس الطقوس المستعربية أو القوطية Oficio (o el Rito) Mozárabe (o Góteco) وقد خضعت هذه الطقوس للمؤثرات النصرانية الشرقية الوافدة مع المسلمين، بل المؤثرات الاسلامية ذاتها، ومن هنا أضحت تختلف عن الطقوس الرومانية. ومع هذا فقد وافق عليها البابا يوحنا العاشر فى سنة ٩٤٢م بعد أن تحراها[٣]، وظلت تلازم المعاهدين فى الأندلس، حتى بدأت الحرب ضدها، مع سقوط طليطلة فى يدى ألفونش السادس، ويسعى بدأه البابا جريجورى السابع[٤] ويشير الامام القرطبى[٥] إلى بعض هذه الطقوس، ويعتمد فى ايرادها على حفص بن البر قاضى العجم.

كانت الصلوات تؤدى فى الكنائس فى شكلها الاحتفالى التقليدى ، وتدق النواقيس[٦] ، وكان يمنع دقها أحياناً . كما ذهب

---

(١) كان يطلق على المجمع فى عامية أهل الأندلس شينوذ، وهى مشتقة من اللطينية Synodus وصارت فى القشتالية Sinodo انظر: Simonet: Glosario. p.597.

(2) Historia de los Mozárabes. p. 360.

(3) Lévi-Provençal: op. cit. voll III p.223.

(4) O'Callaghan: op. cit. pp. 203-204.

(٥) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام. تحقيق أحمد حجازى السقا، القاهرة دار التراث، ١٩٨٠ جـ٤ ص٤٢٠ وما بعدها.

(٦) مثل ما ورد فى رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد : الذخيرة ق١ م١ ص٢٥٩ وديوانه ص١١٦، وما ورد أيضا فى مقامة أبى حفص بن الشهيد. الذخيرة =

ليفي بروفنسال(١) - كما كان النصارى يحتفلون بأعياد شهدائهم وقديسيهم ومناسباتهم الدينية.

وكان لنصارى الأندلس صلات مع غيرهم من النصارى خارج الأندلس، فترد إليهم رسائل بابوية(٢)، كما ترد أيضاً وفود للحصول على عظام بعض قديسيهم(٣).

ومن المعاهدين من كان يرتحل إلى المشرق بهدف الحج إلى الأراضي المقدسة، وبعد الفتح الاسلامى بقليل سافر القديس فليبالدو Willebaldo (Guillebaldo) ووصل إلى الرها Edesa، حيث مشهد القديس طوما، وهناك حبسه أمير المدينة، ثم أطلق سراحه، وفي عوده سنة ٧٤٠م آب إلى دير مونتي كاسينوفي إيطاليا، ثم ارتحل منه إلى ألمانيا، وأصبح أسقفاً لمدينة أيخشتات Eichstat(٤).

ونعرف من شهداء قرطبة شماساً يدعى خورخي (جورج) رحل إلى بيت المقدس، حيث ترهب هناك سبعاً وعشرين سنة في دير القديس سابا، ثم عاد إلى قرطبة، وشارك في حركة الاستشهاد، ومات في سنة ٨٥٢ م. ودفن في دير بنيا ملاريا(٥).

= ق.١ م٢ ص٦٨١. ويصور ابن حزم لقاءه بحبيبته في غلس الفجر، بينما الكنائس تدق نواقيسها:

أتيتني وهلال الجو مطلع   قبيل قرع النصارى للنواقيس

طوق الحمامة ١٧٣.

(1) L'Espagne Musulmane au Xeme Siecle p.35.

(2) O.Callaghan: op. cit. p.185.

(٣) العذري:نصوص عن الأندلس ص٦-٧، الحميري: الروض المعطار ص١٥٢.

(4) Simonet: op. cit. p.175.

(5) Isidro de las Cagigas: op. cit. vol. 1. p. 215.

الفصل الرابع

النصارى وحياتهم الاجتماعية

١ – التكوين الاجتماعي للنصارى :

كان العنصر الأساسي من نصارى شبه الجزيرة الأيبيرية من أصل اسباني روماني، احتوى قلة من القوط، وأخذ عدده في الازدياد، نتيجة للظروف الجديدة، لكنه من ناحية أخرى كان يتناقص، نتيجة للدخول في الإسلام، الذي كان يطرد بين فترة وأخرى.

ليس هناك احصاءات لسكان الأندلس، نستطيع أن نقف منها على عدد السكان النصارى، ويذكر سيد أمير علي(١) أن والي الأندلس السمح بن مالك الخولاني ١٠٠هـ/٧١٩م - ١٠٢هـ/٧٢١م أجرى احصاء بأمر الخليفة (يقصد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) لسكان الأندلس، على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، غير أنه لم يوضح المصدر الذي أخذ عنه هذه المعلومة. وقد جاء في البيان المغرب(٢) أن عمراً أمر السمح" أن يحمل الناس على طريق الحق، ولايعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأنهارها".

ويذكر ابن حيان(٣) أنه كان بقرطبة في عهد المنصور بن أبي عامر

---

(١) مختصر تاريخ العرب-ترجمة رياض رأفت.القاهرة، لجنة التأليف،١٩٨٣م ص١١

(٢) جـ٢ ص٢٦، وانظر أيضا ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٣٨.

(٣) في المقري:نفح الطيب جـ١ص٢٥٢،ابن عذاري:البيان المغرب جـ٢ ص٢٣٢.

١١٣ ألف داراً للرعية و ٦٣٠٠ لوزرائها وبياض أهلها، ويخرج ليفي بروفنسال(١) من هذا بأن عدد سكان قرطبة في القرن العاشر الميلادي، وصل إلى حوالي نصف مليون، وبذا يصير عدد سكان الأندلس نحو ستة ملايين.

لما كان انتشار الإسلام محدوداً، فإن الغالبية العظمى من السكان كانت من النصارى طيلة عصر الولاة، وإلى حد ما في عصر الامارة، لكن هذه الكثرة العددية، لم تلبث أن تغيرت، لتصبح في صالح المولدين، منذ بداية عصر الخلافة. وقد حافظ النصارى على وجودهم كأقلية طيلة العصور التالية، حتى سقوط غرناطة نفسها.

اختصت مناطق معينة بأعداد كبيرة من النصارى، مثل كورة إلبيرة التي لعب أهلها دوراً واضحاً في عهد الفتنة الكبرى، وينوه الشاعر الفارس سعيد بن جودي السعدي(٢)، بوقيعة المدينة في سنة ٢٧٦هـ، وهي التي ظفر فيها سوار بن حمدون المحاربي بالمولدين والنصارى، وقتل منهم ـ كما قيل ـ اثنى عشر ألفاً.

أما كورة ريه، فان كثرة النصارى المعاهدين بها حملت الأمير عبد الله ٢٧٥هـ/٨٨٨ م - ٣٠٠هـ/٩١٢م على نقل جثمان أخيه الأمير المنذر ٢٧٣هـ ٨٨٦م - ٢٧٥هـ/٨٨٨م الذي مات في حصاره لحصن ببشتر Bobastro وأبى أن يتركه "موطئا لأقدام أهل الشرك والخلعان، ومحل أهل النواقيس والصلبان"(٣).

---

(1) op.cit. p.232.

(٢) ابن حيان : المقتبس س٣ ص٥٧-٥٨، ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ١ ص١٥٠ تر ٥٦.

(٣) ابن حيان المقتبس س٣ ص٣.

أما كورة جيان، فنجد أن الخليفة الناصر، عندما خلص له حصن أبذة في سنة ٣٠٤هـ/٩١٦-٩١٧م جعل عليه عريفاً من العجم يعرف بابن بزنت Vicente(١)، ومما حمله على ذلك، غلبة العنصر النصراني على أهل الحصن(٢).

وفيما يتعلق بحصن لييط Aledo، الذي لعب دوراً هاماً في الصراع بين المسلمين وبين النصارى بعد وقعة الزلاقة Sagrajas في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦، نجد المعتمد بن عباد ٤٦١هـ/١٠٦٨م ٤٨٤هـ/١٠٩١م يخاطب يوسف بن تاشفين بأنه "قد امتلأ برعية الجهة كلها من النصارى وأعدوا ما يحتاج من كل شيء، فعل من نظر على سعة، وهم في ذلك يهددون بمجيء ألفونس"(٣).

كان يقيم في الريف عدد كبير من النصارى المعاهدين، وفي هذا يقرر ابن حوقل(٤) الذي زار الأندلس في سنة ٣٣٧هـ "وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن، وهم على دين النصرانية روم، وربما عصوا في بعض الأوقات، ولجأ بعضهم إلى حصن، فطال جهادهم، لأنهم في غاية العتو والتمرد، وإذا خلعوا ربقة الطاعة، صعب ردهم إلا باستئصالهم وذلك شيء يصعب ويطول".

ونستطيع أن نأخذ صورة عامة عن أعداد النصارى من دورهم في عهد الفتنة الكبرى، فقد شاركوا المولدين فيها، كما أن تحول عمر بن حفصون إلى النصرانية، يوضح ما كان للنصارى من شأن في ذلك الوقت.

---

(١) ابن حيان المقتبس ص٥ ص١٣١.

(٢) يؤكد صاحب الروض المعطار هذه الحقيقة في عصر متأخر. ص١٩٤.

(٣) الأمير عبد الله الزيري : كتاب التبيان ص١٠٨.

(٤) صورة الأرض ، ص١١١.

وتحدثنا المصادر عن هجرة عدد من النصارى إلى الأندلس من خلال عنصر الصقالبة أو الحشم ، وربما وفد عدد من النصارى مع طالعة بلج بن بشر، وكانوا نساطرة، ومن المحتمل أن تكون لهم علاقة بنحلة التبني التي ادعاها مطران طليطلة في نهاية القرن الثامن الميلادى(١).

كما تحدثنا المصادر أيضاً عن هجرة أعداد من النصارى خارج الأندلس، وذلك فى أعقاب الفتح، على أن معظم هؤلاء عادوا بعد أن اطمأنوا إلى تسامح المسلمين. وتتابعت الهجرات فى عصور تالية، لأسباب مختلفة، أهمها دور بعض النصارى فى مناهضة الدولة والاتصال بأعدائها والثورة عليها.

لم يحتفظ النصارى بوضعهم، نتيجة لتحول بعض اليهود إلى النصرانية، مثل ألبرو(٢) Paulus Albarus الشهير فى أحداث الشهداء بقرطبة(٣)، كما يذهب البعض، ودخول بعض النصارى فى اليهودية، مثل بودو Bodo (أو Botho) وهو شماس ألمانى عمل بالبلاط الامبراطورى، وتهود فى سنة ٨٣٩م، وتسمى بأليعازر، وهاجر إلى سرقسطة، وتزوج بيهودية اسبانية، وتذكر المراجع أن أتبع كثيراً من المستعربين بالتهود أو الإسلام وباع بعض خدمه النصارى كرقيق للمسلمين، وكتب ضد النصرانية(٤).

---

(1) Waltz, J: The Significance of the Voluntary Maytyrs of the Ninth Century Cordoba. The Muslim world. Vol. LX n.2 1970 p.174.

وأنظر أيضا: Cutler, A: The Ninth Century Spanish Martyrs The Muslim world. vol. LV. n.4 1965. p.328.

(٢) الشهير عند الاسبان بألبرو Alvaro.

(3) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane. Vol. 1. p.234.

(4) Baron: op. cit. Vol IV. pp. 50-52.

اختص النصارى بأحياء لهم داخل المدن، ونستطيع أن نحدد هذا الحى في مدينة قرطبة، بالجانب الشرقى منها، ويقع إلى الغرب من مدينة الزاهرة ، وشماله باب الفرج وجنوبه باب الحديد(١). أما سرقسطة فكان الحى المستعرب، يقع إلى الشمال الغربي منها(٢)، وعند سقوط المدينة في يدى ألفونش المحارب ١١٠٤- ١١٣٤م في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، بمعونة الفرسان الفرنسيين، أقطع قائدهم هذا الحى، وأنعم عليه بلقب سيد سرقسطة(٣).

كان للنصارى مدافن خاصة بهم عند بوابات المدن فأحدها بقرطبة كان مجاوراً لمقبرة متعة الاسلامية، وكان النصارى يعبرونها بعجلاتهم في طريقهم إلى مقابرهم. وفي أواخر القرن الثالث الهجرى تكررت الشكوى بهذا الشأن، الأمر الذى دفع المحتسب إلى أن يسأل عدداً من الفقهاء المشاورين، فأفتى أيوب بن سليمان (ت ٣٠٢هـ) وابن وليد (ت ٣٠٩هـ) وابن لبابة (ت ٣١٤هـ) بمنعهم من ذلك شأنهم شأن المسلمين أنفسهم(٤).

لانشاهد بين نصارى الأندلس المعاهدين تقسيماً طبقياً حاداً كالذى كان قائماً في عهد القوط، وتؤكد المصادر العربية على انقراض أمم القوط (تقصد النبلاء) واعتصامهم بجبال قشتالة وأربونة(٥)، وإذا كان بعض النصارى قد

---

(١) فون شاك: الفن الإسلامي في إسبانيا وصقلية ص٢٣.

(2) Lévi-Provençal: op. cit. Vol. III. p.345.

(٣) أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين. ترجمة محمد عبد الله عنان. القاهرة، لجنة التأليف ١٩٤٠م. جـ١ ص١٥٢ . .

(٤) ابن سهل: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة بالأندلس ص٨١-٨٢، وانظر أيضاً . Lévi-Provençal: op. cit. Vol. III. pp. 225-226.

(٥) ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١١٨.

انحدروا بالفعل من أسلاف نبلاء، فأنهم كانوا عن أن يحيوا كنبلاء(١).

على أن عدم وجود طبقة نبيلة بين النصارى لاينفى أن عدداً كبيراً منهم كانوا أغنياء، وفى ولد غيطشة الثلاثة مثال واضح على هذا، فقد كافأهم العرب على معاونتهم فى الفتح ، وأجازوهم ضياعهم الفسيحة فاختص كل

---

(١) يحاول سيمونيت فى كتابه أن يثبت استمرار هذا التقسيم الاجتماعى، من أجل أن يؤكد استمرارية التاريخ الإسبانى وعدم إنقطاعه وعرضية الفترة الإسلامية وينقل عن ايولوخيو وألبرو ومن نهج نهجهما تعبيرات مثل Proceres et Magnati, Proceres Christianorum.

ويصف ألبرو صديقه ايولوخيو بأن ينحدر من عائلة نبيلة وسناتورية Nobili Stirpe Progenitus senatorum traduce natus.

فى هذه النصوص التى يدعوها سيمونيت بالوثائق القرطبية اللاتينية نجد ألفاظاً أخرى مثل Sanctissimus, Serenissimus, Dominus, Domnus, Domne, Domina, Domna وكذا ألقاباً رومانية مثل Aurelius, Flavius وفى الوثائق الطليطلية وهى الوثائق المستعربية نجد تعبيرات مثل ذومنة، دمنة وهى Domino دون وهى Don، ما ير وهى Major، دونه وهى Donna و Dona، دوانه وهى Duena زعيم وهو Princeps، وست وهى Señora وغيرها ، انظر Historia de los Mozárabes pp.113-115.

على أنه فيما يختص بالوثائق الأولى، وتعود إلى القرن التاسع الميلادى، فإنها وردت بنصها اللاتينى، ولاتوجد نصوص عربية بشأنها، كما أنها مقتبسة من عصر الشهداء، وكان من شأن المؤرخين أن يلتمسوا فيمن يظنونهم شهداء، ويضفون عليهم عراقة وأصالة، أغلب الظن أنهم لم يحوزوها حال حياتهم، لاسيما وأن بعض هذه التعبيرات ذات طابع دينى مثل Sanctissimus أى مقدس و Serenissimus أى سمو.

أما الوثائق الطليطلية فهى تعود إلى الفترة التالية لانتهاء السيادة العربية وخروج المدينة عنها، وتذهب إلى أن هذه الألقاب استمدها النصارى المستعربون من لغواتهم الذين جمعتهم بهم سلطة واحدة، ولأنهم كانوا فى جملتهم يتحدثون العربية، أو لهجة مشتقة منها، ولهم عهد طويل فى الاستعراب، فقد اتخذت هذه المسميات الوافدة مع السلطة المسيحية الوافدة صيغة عربية، وكتبت بحروف عربية.

واحد منهم بألف ضيعة(١). وكان نصارى اشبيلية فى القرن الثالث الهجرى غاية فى الثراء من عملهم فى الزراعة والتجارة، وكان العرب يحسدونهم لثروتهم، وكذا كانت حال نصارى طليطلة فى الفترة نفسها(٢). ويذكر صاحب الروض المعطار(٣) - فى عصر متأخر - قرية فنيانة Fiñana قرب وادى آش Guadix فى الجنوب "وأهلها عجم ذوو يسار" وحقق اسحق القرطبى ثروة كبيرة، قبل أن يترك وظيفته فى قصر الأمير، ويلتحق بدير تابانوس، ثم تصيبه حمى الاستشهاد(٤).

ومثلما كان للمسلمين الحق فى اقتناء العبيد، كان الحق نفسه للنصارى شريطة أن يكونوا نصارى مثلهم، فلم يكن من حقهم أن يقتنوا عبيدا من المسلمين ومن أسلم من النصارى بيع على صاحبه النصرانى. ولم يكن هذا تعسفاً من المسلمين، فالدولة البيزنطية كانت تحرم على غير النصرانى اتخاذ عبيد من النصارى(٥)، وكان العبد النصرانى لسيد مسلم، لاتؤخذ منه جزية عند عتقه، ولكن إذا كان عبدا لنصرانى مثله ثم أعتقه أخذت من الجزية(٦).

٢ - بعض مظاهر الحياة الاجتماعية للنصارى :

كان النصارى فى جملتهم يتحدثون العربية، كما كان من عاداتهم أن يتخذ أحدهم اسمين عربياً ولاتينياً، وسمح لهم بأن يتناولوا فى طعامهم

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٣.

(2) Dozy: op. cit. pp. 337-338.

(٣) ص ١٤٤.

(4) Isidro de las Cagigas: op. cit. Vol. I. p.212.

(٥) آدم متز : الحضارة الإسلامية. ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة. القاهرة لجنة التأليف ١٩٤٠م جـ١ ص٢٤٦.

(٦) سحنون : المدونة الكبرى جـ٣ ص٦٤٦ .

وشرابهم ما يبيحه لهم دينهم من خنزير وخمر(١)، وأفتى القاضى أحمد بن محمد بن زياد اللخمى (ت ٣١٢هـ) بأنه "لاحد على الذمى، إلا أن يسكر فإن سكر فعليه الحد"(٢). ومع ما يتواتر فى المصادر من اجبار النصارى فى المشرق أحياناً على ارتداء ملابس معينة، فأننا لانشاهد هذا فى الأندلس وأقدم المصادر الفقهية التى ترد فيها هذه القيود، يعود إلى عصر المرابطين(٣)، ويعبر عن ظروف مختلفة استجدت سببها حركة الاسترداد النصرانية وما تلاها من تعصب على جانبى الحدود.

يشير حفص بن البر قاضى العجم إلى بعض العادات التى اختص بها النصارى، مثل تقديس بيوتهم بالملح، على نهج ما فعل اليسع، ويرى الامام القرطبى أنه كان أحرى بهم أن يقدسوها بالتراب والطين وليس بالملح اقتداءً بالمسيح، وهو أفضل من اليسع(٤).

وترتبط أعياد النصارى فى الأندلس، بأصل ديانتهم من ناحية، ومشاركة المسلمين لهم فيها من ناحية أخرى، وفى تقويم قرطبة لسنة ٩٦١م - الذى كتب نصه العربى عريب بن سعد الكاتب، وينسب نصه اللاتينى لربيع ابن زيد الأسقف ثبت بهذه الأعياد.

يحدد حفص بن البر(٥) أعياد النصارى فيقول "أما بعد.... فإن الذى أردت علمه من الأعياد السبعة التى أمر القانون بصيانتها فهى معروفة، فأول

---

(١) المصدر السابق : جـ٩ ص٥١.

(٢) ابن حزم : المحلى جـ٧ ٣٧٢ .

(٣) ابن عبدون فى ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفى بروفنسال، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى، ١٩٥٥م ص٥١.

(٤) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام جـ٤ ص٤٣.

(٥) فى الامام القرطبى : الأعلام جـ٤ ص٤٢٤-٤٢٥.

يوم منها، إذ بشر جبريل الملك مريم بإيلاد المسيح(١)، واليوم الثاني إذا ولد المسيح، والثالث إذ ختن إلى ثمانية أيام، والرابع إذ ظهر للمجين(٢) وأهدوا إليه ذهباً ولوباناً(٣) ومراً، وهو يوم النجم، والخامس يوم الفصح، إذ قام عن القبر، والسادس إذ تخطفته السحابة، ورقى إلى السماء بمحضر الحواريين والسابع إذ نزل روح القدس على الحواريين، وتكلموا بجميع الألسن.

"وأما غير هذا من الأيام التي استشهد فيها الشهداء، ويصونها الناس، ويتصدقون فيها على المساكين والضعفاء، فواجب على كل ذي عقل أن يصونها، إما في مدينة، وإما في قرية"(٤).

على أن أهم أعياد النصارى في الأندلس ثلاثة، هي عيد الميلاد، وهو يوم ميلاد المسيح، ويحدده تقويم قرطبة في ٢٥ ديسمبر(٥)، وعيد ينير وهو أول السنة الميلادية(٦) ، ويوافق ختان المسيح ، وجرت العادة على تسميته بالنيروز ، وأحيانا بليلة العجوز ، لأنه يأتي في البرد ، وعيد العنصرة أو

---

(١) أي مولد: المسيح عليه السلام.

(٢) أي المجوس .

(٣) الصحيح "لباناً" انجيل متى اصحاح ٢ آية ١١ واللبان أو الكندر ضرب من العلك يمضغ. أنظر لسان العرب جـ٤ ص٣٠٧٧، جـ٥ ص٣٩٣٦، ٣٩٩٢.

(٤) يحدد النويري والمقريزي: أعياد القبط بسبعة كبار هي عيد البشارة ، عيد الزيتونة، عيد الفصح، خميس الأربعين، الخميس وهو العنصرة، الميلاد، الغطاس، وسبعة صغار هي الختان، الأربعون، خميس العهد، سبت النور، أحد الحدود، التجلي، الصليب. انظر: نهاية الأرب. القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٩ جـ١ ص١٨٣-١٨٦، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بولاق، ١٢٧٠هـ جـ١ ص٢٦٤.

(٥) ص ١١٥.

(٦) ص ١٤-١٨.

يوم ميلاد القديس يوحنا المعمدان[١] فى ٢٤ يونيو[٢]، وجرت العادة فى الأندلس على أن يدعى بالمهرجان.

عرف النصارى الشرقيون هذه الأعياد، وإن جعلوها فى تواريخ مختلفة، الأمر الذى حير ابن السيد[٣](ت ٥٢١ هـ) وجعله يقرر - بعد أن طالع كتاب التاج للجاحظ - أن مايعتقده العامة على أنه المهرجان هو النيروز، وما يعتقدون أنه النيروز هو المهرجان[٤].

وبسبب هذاالتضارب يرى فرناندو دى لاجرانخا[٥] أن الكتاب الأندلسيين نسوا أن يخبرونا بمواعيد هذه الأعياد ، ومايذهب إليه غير صحيح[٦]،

---

(١) وهو النبى يحى بن زكريا عليهما السلام.

(٢) ص ٦٥.

(٣) المسائل والأجوبة. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٠٩ معالم تيمور لوحة ٢٩٣.

(٤) النيروز - والاسم فىالأصل النوروز - هو بداية العام الجديد فى السنة الفارسية ١٤ آذار - مارس - ويجعله الأقباط أول توت وهو أول السنة القبطية (= ١٠ أو ١١ سبتمبر) أما المهرجان وهو أيضا من أصل فارسى، فيوافق ٩ أبيب عند الأقباط (= ٢٦ تشرين الأول - اكتوبر) وأطلق فى المشرق على عيد العنصرة وتاريخه خمسون يوماً من قيامة المسيح وتجلى الروح القدس لتلاميذه فتكلموا بجميع الألسن وفى اليوم نفسه حبس الله الشمس على يوشع بن نون فى قتاله الجبابرة. النويرى. نهاية الأرب جـ١ ص١٥٣، ١٨٠- ١٨٤، المقريزى: الخطط جـ١ ص٢٦٥، عريب - ربيع: تقويم قرطبة ص٦٥، وانظر أيضا: Dozy: Supplément aux Dictionnaires Árabes Vol. 1. p.736.

(5) Fiestas Cristianas. Al-Andalus. Vol. XXXIV, Fasc I. 1970 p.2.

(٦) يقول ابن حيان "وكانت العنصرة فى هذه السنة (٣٠٨هـ) يوم السبت الرابع من صفر (= ٢٤ يونية) والنوروز فيها لأول يوم من ينير العجمى منها يوم الاثنين السابع عشر من شعبان منها "المقتبس م٥ ص١٦٥"، وانظر أيضا: الونشريشى: المعيار المغرب م٦ ورقة ١٨٥أ.

فالنيروز (أو اليوم الجديد حرفياً) هو أول السنة عند الفرس والأقباط والمغلين أياً كانت بداية السنة. أما المهرجان فقد قدمه نصارى الأندلس، وجعلوه لأمر خاص بهم، يوم ميلاد القديس يوحنا، وليس يوم قبر رأسه(١) ويصادف عندهم بداية الصيف.

ومهما يكن من أمر، فإن الكتاب الأندلسيين كالطرطوشي(٢) يصفون ما كان يجرى فى هذه الأعياد من أشياء، لم يكن يرضى عنها أتقياء المسلمين، فكان الناس يستعدون لليلة بنير، فيتركون أعمالهم، ويبتاعون الفواكه وينصبون الموائد، ويصنعون فطائر فى هيئة مدن. أما فى العنصرة فكان النساء والرجال يخرجون للتفرج والنزهة، وتجرى الخيل، وترش النساء بيوتهن بالماء، ويخرجن ثيابهن بالليل إلى الندى، وهم فى هذه الأعياد يتهادون فيما بينهم، كما كانوا يتهادون مع المسلمين(٣).

ويتضح من التقويم القرطبى(٤) أن النصارى بالأندلس كانوا على دراية بأعياد غيرهم من النصارى، مثل القبط.

كذلك كان النصارى يحتفلون بأعياد دينية خاصة بإسبانية وحدها، فهناك أعياد للقديسين الذين يعودون إلى العهد القوطى، مثل القديس ايسيدور الاشبيلى فى ١٤ أبريل، والقديس زويلش Sanctus Zoilus، وهناك أيضاً أعياد للقديسين الذين يعودون إلى العهد الإسلامى ، حتى من ناهض منهم

---

(١) القزوينى : عجائب المخلوقات. نشر فستنفلد جتنجن ١٨٤٩م. ص٧٥.

(٢) الحوادث والبدع. تحقيق محمد الطالبى. كتاب الدولة للتربية القومية، تونس ١٩٥٩م ص١٤٠-١٤١.

(٣) العزفى : الدر المنظم فى مولد النبى المعظم. مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٩١٩ ورقة ٤ وجه، الونشريشى: المعيار المعرب م٦ ورقة ٨٤أ، ٨٤ب.

(٤) ص ٣٦.

المجتمع الإسلامي، مثل القديس برفكت في ٣٠ إبريل، وسبيرا - إن - ديو في ٧ مايو، وأدولفو وخوان في ٢٧سبتمبر، وإميليو في ١٥ سبتمبر وألبرو في ٧ نوفمبر(١).

وهناك أيضا أعياد أخرى وطنية، مثل عيد العصير Alacír ويقام عند جني محصول العنب وعصره، فكان الأهالي ينتقلون إلى حقول الكروم، ويقيمون عدة أيام، لجني المحصول، في جو من المرح والغناء والرقص(٢).

٣ - مجالات عمل النصارى :

كان النصارى والمولدون يشكلون غالبية الزراع والصناع في الأندلس، وبخاصة في عصري الولاة والامارة، ولم يشاركهم المسلمون الوافدون من عرب وبربر هذه الأعمال، إلا في مرحلة تالية، بعد أن انصرفت الدولة عنهم، واستخدمت غيرهم من أجناد مرتزقة وصقالبة.

عمل النصارى في زراعة الأراضي التي آلت ملكياتها إلى المسلمين، ولم يأبهوا كثيراً بتغيير المالك(٣)، وكانوا في الكور المجندة يؤدون إلى العرب الشاميين نحو ثلث غلة الأرض، ويختصون أنفسهم بالباقي.

وكان بعض النصارى يزرعون أراضيهم الخاصة ، ويؤدون عنها

---

(١) راجع الصفحات ٣٤، ٤٨، ٥٣، ٨٨، ٩١، ١٠٣ من التقويم المذكور النصين العربي واللاتيني.

(٢) أحمد مختار العبادي. الاسلام في أرض الأندلس، أثر البيئة الأوربية. عالم الفكر ١٠ع ٢، ١٩٧٩م ص٣٩١.

(3) Saavedra: op. cit. pp 141-142.

الخراج، ويتصرفون فيها بالبيع والشراء، وفي نازلة(١) لابـن سـهل(٢)، تعود إلى أواخر القرن الثالث الهجري خبر عن مبايعة أرض بين سيدة مسلمة وبين عجم من قرية أبطليش.

أما عن الصناعة التي ازدهرت بـالأندلس، فقد شـارك فيهـا النصـارى بنصيب وافر، وكانت صناعة النسيج فـي الحضـرة، تشـغل حياً مزدحمـاً بهم وباخوانهم من المولدين، وهـو حـي الطرازيـن(٣) Vicus Tiraceorum الذى يرد في تقويم قرطبة(٤).

كذلك عمل النصارى في التجارة، واضطلعوا بـدور كبير فـي التجـارة الخارجية، وقاموا بدور الوسيط بين إسبانيا النصرانية، وبين الأندلس وغيرهـا من الأقطار الإسلامية(٥). كما عملوا في أجهزة الدولـة سـواء فـي الجيش أو الادارة، ووصل بعضهم إلى مناصب كبيرة.

ومن المهن التي برع فيها النصـارى، واختصـوا بها في مبدأ الأمر مهنـة الطب، ومما يذكره ابن جلجل(٦)، يتبين أنها كـانت وقفـاً عليهـم حتـى عهد الأمير محمد وإذا كان المسلمون قد شاركوهم بعد، إلا أن الكثرة الظاهرة لهم في هذه المهنة كانت مدعاة لسخط ابن عبدون(٧) في القرن الخامس الهجري.

---

(١) نازلة وجمعها نوازل وهي الفتاوى أو الاحكام المستخرجة من أجوبـة بعض الفقهاء على مسائل وجهت اليهم، وتفيد في التاريخ الاجتماعي ومن أهمهـا ديـوان الأحكـام الكبرى لابي الأصبغ عيسى بن سهل الجياني ت ٤٨٦هـ.

(٢) ابن سهل : وثائق في احكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ص٥٨ .

(3) Lévi-Provneçal: op. cit. Vol III p.307.

(٤) ص٤٧ النص اللاتيني.

(5) Lévi-Provneçal: op. cit. Vol . III pp.309-310.

(٦) طبقات الأطباء والحكماء ص٧٨ .

(٧) في ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص٥٧.

كان هذا النشاط الطبى يجرى أحيانا فى الديارات، وعندما عرض للناصر مرض فى أذنه، ذهب الوزير الطبيب يحى بن اسحق - وهو من أصل نصرانى - إلى أحدها، وسأل عن عالم هناك، فوجد رجلاً مناسباً، سأله عن علاج للأذن، فوصف دم الحمام حاراً، فعالج سيده الناصر، وشفى من مرضه(١).

من هؤلاء الأطباء جواد الطبيب فى عهد الأمير محمد، وينسب إليه لعوق(٢)، وبسونات(٣)، وخالد بن يزيد بن رومان، وكان يسكن بيعة شنت أجلج، وكسب أموالا طائلة من مهنته، وكانت بينه وبين نسطاس بن جريج الطبيب المصرى النصرانى مراسلات بشأن المهنة، وابن ملوكه فى آخر أيام الأمير عبد الله، وكان يضع على باب داره ثلاثين كرسياً لجلوس الناس(٤).

على أن أشهر هؤلاء جميعاً هو اسحق الطبيب. يقول ابن جلجل "وكان صانعا بيده مجربا(٥)، تحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع أهل دهره"، وورث عنه صناعته ولده يحى الذى أسلم فيما بعد، وصار من قواد الناصر ووزرائه(٦).

---

(١) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص١٠١.
(٢) دواء مركب .
(٣) سموم .
(٤) ابن جلجل : المصدر نفسه ص٩٣-٩٧.
(٥) أى جراح .
(٦) المصدر نفسه ص٩٧-٩٨.

الفصل الخامس

النصارى وحياتهم الثقافية

١ – بين العربية واللاتينية :

كانت اللغة السائدة فى شبه الجزيرة الأيبيرية قبيل مقدم العرب، هى اللغة اللاتينية، التى انبثقت عنها لهجة من اللهجات الرومانثية el Romance، وقد نشأ عن هذه اللهجة بعد تأثرها بالعربية القشتالية وهى الإسبانية القديمة.

تذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أن الرومانثية – وهى التى عرفت فى المصادر العربية بعجمية أهل الأندلس ـ كانت هى اللغة العامة المشتركة، بين عناصر المجتمع الأندلسى جميعها[١].

والحق إن فى هذه المقولة قدرا كبيراً من التجاوز والتزيد فاللغة العربية كانت هى اللغة العامة والمشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسى جميعها[٢].

يقول ألبرو القرطبى فى كتابه Indiculus Luminosus "أن النصارى – اخوانى ـ مولعون بشعر العرب وقصصهم.. ويعكفون على أعمال الفقهاء والفلاسفة المسلمين ، ليس لدحض ما ورد بها ، ولكن ليكتسبوا أسلوباً عربياً

---

(١) راجع فى هذا الخصوص جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٥م ص١٤٢، تراث الاسلام (قديم) جـ١ ص١٤، ليفى بروفنسال: الحضارة العربية ص١١٢–١١٣.

(٢) أنظر كتابنا اندلسيات : الفصل الأول ص١٣–٢٨.

صحيحاً وأنيقاً، وانك لن تجد اليوم أحداً من غير رجال الدين، يستطيع أن يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة.

"إن الشباب النصرانى ليست لديه أى فكرة عن أدب أو لغة حاشا العربية، فهم يطالعون الكتب العربية، ويتدارسونها بينهم، وينفقون أموالاً جمة فى جمعها، ويتغنون بالتراث العربى، وإذا حدثتهم عن الكتب المسيحية، تجدهم يقولون أنها لاتعير انتباههم..

"إن النصارى نسوا لغتهم، وقلة منهم تستطيع أن تكتب رسالة باللاتينية، وإن كثيرين منهم يجيدون التعبير عن أنفسهم بالعربية، بل وينظمون شعراً يفوق فى جزالته شعر العرب أنفسهم"(١).

يؤيد حديث ألبرو ما نقف عليه فى الوثائق المستعربية بطليطلة، فهذه المدينة خرجت عن سلطة المسلمين فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، أى أنها عادت إلى دائرة النصرانية من جديد، ومع هذا ظل أهلها من المستعربين يتحدثون بالعربية، ويكتبون بها وثائق - أغلبها يتصل بالمعاملات - نحواً من قرنين، وحتى فى حال كون أحد الأطراف، لايحسن العربية أو لايعرفها فإنه كان يدون بالوثيقة أنه قد شرح له بلفظ أعجمى(٢).

وبلغ من شيوع اللغة العربية، أنها استخدمت داخل الكنيسة، فنجد فى الكتب الدينية المكتوبة باللاتينية شروحاً بين السطور بالعربية. وهناك أمثلة عديدة على هذه الشروح(٣)، ويستدل منها على أنها أضيفت إلى نصارى لغتهم الأولى العربية ، والمامهم باللاتينية محدود ، وقد عثر على شواهد قبور

---

(1) Simonet: op.cit. pp. 369-371.
Dozy: Spanish Islam 268-269.
(2) Vol. II p.13 Doc n.397 Ano 1212 Spetiembre, p.23.
Doc n. 410 ano 1214 Marzo.
(3) Van Koningsveld: The Latin Arabic Glassary. pp. 45-52.

لنصارى مكتوب عليها بالعربية، أو بالعربية واللاتينية معا وتبدأ بالبسملة(١).

نقف من ذلك على أن العربية كانت لغة الكتابة في الأندلس للنصارى المعاهدين، كما كانت أيضا لغة الحديث، أما اللاتينية، فكان يلم بها فئة محدودة من المثقفين ورجال الدين، يمارسون بها شعائر دينهم، إلى جانب معرفتهم بالعربية، الأمر الذي أهلهم، لأن يقوموا بدور المترجمين والسفراء، بين حكام الأندلس وبين نصارى الشمال.

وقد استطاع عدد من المسلمين من غير أهل البلاد أن يلم بهذه اللغة بحكم الجوار والصلات العائلية وغيرها، فالقاضي سليمان بن أسود في القرن الثالث كان يعرفها(٢)، وكذا عبد الرحمن الأوسط(٣)، وكان العرب يعرفون أحياناً بكنى أعجمية، وغلبت الإمالة على أسمائهم .

وهكذا تأثرت العربية باللاتينية، ويستدل على ذلك من أواخر أسماء الفاعلين، والنسبة وأسماء التصغير، ففي العامية الأندلسية، نجد العلامات الرومانثية ero ، ella، ويطلق على الفندقي فندقير، وتصغير حارة حارية Harella وليس حويرة(٤).

كما دخلت في العامية الأندلسية مفردات من أصل لاتيني، وقد ورد في ملحق دوزى للقواميس العربية احصاء لبعضها، وكذا في معجم سيمونيت للألفاظ اللاتينية والأيبيرية المستخدمة بين المستعربين، على أن قسماً كبيراً من هذه الألفاظ يتعلق بالدين المسيحي وطقوسه.

---

(1) Lévi-Provençal: Inscriptions Árabes d'Espagne, Leyde, Brill, 1931. p. 78. Inscript n.81 année 1156, p. 79. Incript n. 82 année 1160. See also: pons Boigues: Las Escrituras Mozárabes Toledanos. Madrid 1897. p.253. ff.

(٢) الخشني : قضاة قرطبة ص٨٠.

(٣) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص٢٧٨.

(٤) ليفي بروفنسال: الحضارة العربية ص١١٤-١١٥.

٢ - مصادر ثقافة النصارى:

تدهورت الثقافة الإسبانية في العهد القوطي في تيار الفوضى العام الذى اجتاح البلاد ومع هذا فقد بقى في اطار العهد الاسلامى بعض منها، فهناك الكتاب المقدس الذى ترجم بعضه أو كله، كما ترجمت قوانين الكنيسة وهى مجموعة قرارات مجامع طليطلة الدينية، ثم إن الكتب الكلاسيكية القديمة، بقى بعضها فى نصه اللاتينى، أو ترجم إلى العربية.

ومما يجدر ذكره أن ابن غرسية يتحدث عن قومه فى رسالته التى ضمنها تفضيل العجم فيقول[١] "حلم علم ذوو الآراء الفلسفية الأرضية والعلوم المنطقية الرياضية كحملة الاسترلوميقى والموسيقى، والعلمة بالأرتماطيقى والجو مطريقى، والقومة بالأوطيقى والبولطيقى". ومن الواضح أنه يقصد الفنون الحرة Artes Liberales[٢] وهى العلوم الأرضية المقابلة للعلوم الدينية Sancta Dogmata.

وأكبر الكتاب المعروفين عند نصارى الأندلس القديس أو غسطين الشهير صاحب "مدينة الله" De Civitate والقديس إيسيدور(أشيذر) صاحب "الأصول" Etymologiae ويعرف الأول عند الأندلسيين باسم أُقشتين أو أغشتين، أما كتابه فيعرف باسم "مصحف العالم الكائن" ويحدثنا عنه الامام القرطبى[٣] بقوله "إن النصارى معولون على معرفته، ومقلدون له فى قومته وقعدته، على أنه أعرف بمسالك النظر وأجرأهم على مناهج العبر..".

---

(١) أحمد مختار العبادى: الصقالبة فى إسبانيا ص٣٩.

(٢) وهى العلوم الموروثة عن اليونانيين وتنقسم إلى مجموعتين مجموعة ثلاثية هى النحو والبلاغة والمنطق، ومجموعة رباعية وهى الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، وقد عرفها العرب ابان حركة الترجمة عن اليونانية.

(٣) الإعلام جـ١ ص١٤٣.

على أن التراث الكلاسيكى كان محدود القيمة عند نصارى الأندلس[١]، أما التراث الشعبى فقد ترك أثره فى شعر الموشحات والأزجال، فطريقة نظمه جديدة، وموضوعاته سبق أن تناولها بعض الشعراء اللاتينيين القدامى[٢].

ويتجلى العنصر العربى فى ثقافة المعاهدين، فقد اجتذبت الثقافة الإسلامية فى أواخر القرن العاشر الميلادى فرنسيا (أو ألمانيا) يدعى جربير Gerbert انتقل إلى إسبانيا، ودرس هناك، وفى سنة ٩٩٩م صار بابا باسم سلفستر Sylvester الثانى، ودعى بالبابا الفيلسوف[٣].

وهناك كتابان هامان، يدلان على وجود تراث مشرقى استقر فى البلاد، أولهما ملحمة السيد La poema del Cíd، ويذهب الطاهر مكى[٤] فى دراسته لهذه الملحمة إلى المصدر العربى، فالشاعر من المستعربين، وفى الملحمة صور عربية مثل الكرم والشرف والثأر، ومؤثرات إسلامية مثل تخميس الغنائم، وزواج ابنتى السيد مرتين، والدية فى حال القتل الخطأ، ويعقد مقارنة بين الملحمة وبين الهلالية، فالبطل فى الحالين ثائر على السلطة، ومنفى يقاتل لحسابه، والملحمتان لاتتناولان من قضايا الحب غير الحب بين الزوجين.

---

(1) Castro, A: op. cit. pp 61-62.

(٢) جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى ص١٥٥-١٥٦.

(٣) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط. القاهرة، دار المعارف ١٩٦٥م ص٨٠.

(٤) ملحمة السيد، دراسة مقارنة. القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م ص١٧ وما بعدها من المقدمة.

والسيد نفسه - كما يروى صاحب الذخيرة[١] - كانت تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب (بن أبـى صفرة) استخفه الطرب، وطفق يعجب منها ويتعجب".

وثانيهما هو "سلك الكتاب" أو "التربية الكنسية" Disciplina Clericalis ومؤلفه فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى يهودى إسبانى مـن وشقة اسمه ربى موسى سفردى (أى الاسبانى) تنصر، واتخذ لنفسه اسم Petrus Alfonsi، والكتاب ألفه فى الأصـل بالعربية، ثم ترجمه صاحبه إلى اللاتينية، ويضم أربعاً وثلاثين أقصوصة، تدور كلها فى موضوعات شرقية، ويعترف المؤلف بمصادره الشرقية، مثل كتاب الأمثال لحنين بن اسحق، وكتاب الأمثال للمبشر ابن فاتك، ويتردد فى الكتاب ذكر مصر وبغداد والحج إلى مكة المكرمة، كما تتردد فيه حكايات عن الخل الزائف والخل الوفى وكيد النساء، وبعض هذه الحكايات ترد على ألسن الحيوان والطير[٢].

وفيما يختص بالرياضيات والطبيعيات، فقد أتى اسهام نصارى الأندلس عن طريق العرب، فالأعداد الهندية التى وضع قواعدها الخوارزمى فى القرن الثالث الهجرى، وصلت إلى الأندلس فى القرن نفسه، وعرفها ايولوخيو، وعمل لها كاتب مثل ألبرو جداول، حتـى يتسنى فهمها، وعـن طريق المستعربين انتقلت إلى إسبانيا النصرانية[٣].

---

(١) ق ٣ م١ ص١٠٠.

(2) Petrus Alfonsi: Disciplina Clericalis. trans. by P.R. Quarrie London, R.K.P. 1977, Passim.

(٣) جوان فرنيه: الرياضيات والفلك والبصريات. تراث اسلام (جديد) ق٢ ص١٦٩-١٧٠.

٣ – التراث الثقافى للنصارى :

إن ما وصل إلينا من الانتاج العقلى للنصارى يعد قليلاً بالنسبة لكثرتهم، وهو الأمر الذى يستغربه جونثالث بالنثيا، ولايعطى لهم فى كتابه - وهو سفر ضخم - غير صفحات قليلة(١).

يذكر ابن حيان أن فهارس الكتب فى عهد الحكم المستنصر بلغ عددها أربعاً وأربعين فهرسة فى كل واحدة عشرون ورقة(٢)، ولم تصل إلينا هذه الفهارس، ويحتمل أن قسماً كبيرا منها تضمن انتاجا لنصارى الأندلس، لأن ألبرو يشير إلى شعر بعضهم، وأنه يوازى شعر العرب أنفسهم أو يفوقه، ثم إن هناك من النصارى - مثل حفص بن البر - توضح النصوص أنه كان متعدد المواهب ذا عطاء وافر.

ومن أسباب فقدان هذا الانتاج المستعربى أو معظمه ما جرى فى أخريات القرن الرابع الهجرى، عندما عمد المنصور بن أبى عامر - فى سعيه لارضاء الفقهاء أو للاساءة إلى المروانية - إلى خزائن الحكم المستنصر، وأمر بطرح ما بها من الكتب القديمة - عدا كتب الطب والحساب - وأحرق بعضها وألقى بعضها الآخر فى آبار القصر(٣). ويقصد بالعلوم القديمة العلوم العقلية اليونانية اللاتينية.

يتركز التراث الثقافى للمعاهدين فى تراث مكتوب باللاتينية، وتراث آخر مكتوب بالعربية مؤلفاً ومترجماً.

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسى ص٤٨٥-٤٨٨.

(٢) المقرى: نفح الطيب جـ١ ص١٨٠.

(٣) صاعد: طبقات الأمم ص٦٦-٦٧، ابن عذارى:البيان المغرب جـ٢ ص٢٩٢-٢٩٣.

أما التراث اللاتيني ، فأغلبه يدور في موضوعات دينية ، وبطبيعة الحال كانت الأديرة هي المكان الذي تخرج فيه غالب المشتركين في هذا التراث، ورائدهم جميعا سبيرا - إن ديو وهو اسم ديني لرجل نجهل اسمه الأصلي، عاش في أوائل القرن التاسع الميلادي، ووضع الأساس الفكري لحركة الاستشهاد الانتحارية بعد سنوات(١)، واشتهر من تلاميذه إيولوخيو (ت ٨٥٩م) وألبرو (ت حوالي ٨٦١م).

ظهرت في القرن الثاني الهجري بعض مصنفات تاريخية تأثرت بأسلوب الكتابة عند المسلمين، أولها الحولية البيزنطية العربية لسنة ٧٤١م La Crónica Bizantina Árabe de 741. وهي تاريخ عام لبعض ملوك القوط وبيزنطة، وتتضمن أخبارا عن العرب في المشرق وفتوحهم في إسبانيا، ولايخفي الكاتب إعجابه بالنبي الكريم. والحولية المستعربية لسنة ٧٥٤م La Crónica Mozárabe de 754 وهي أيضا تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة، وينتهي بحوادث سنة ٧٥٤م، وتشبه في مضمونها الحولية السابقة.* ثم الحولية القوطية La Crónica Gothorum وكتبت في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وصاحبها مستعرب من طليطلة، إعتمد على بعض المصادر العربية، مثل النص الأصلي المفقود لتاريخ الرازي، وترد بها لأول مرة قصة ابنة يليان مع الملك رذريق، وهي القصة التي وردت في المصادر العربية، وتتصل بفتح المسلمين للأندلس(٢).

---

(١) يدعوه تلميذه ايولوخيو .Senex et Magister noster atque illustrissimus Doctor

انظر Simonet : op. cit. p.340. nota n°1

(٢) جمال الدين الشيال: التاريخ. أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية. القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م. ص٣٦٦ وما بعدها وأحمد مختار العبادي: من التراث العربي الإسباني. عالم الفكر م٨. ع١. ١٩٧٧م ص٨٢ وما بعدها.

كانت للمدونات التاريخية المستعربية أثرها في المدونات التاريخية بإسبانية النصرانية، والتي اضطلع فيها المستعربون المهاجرون بدور هام(١).

ويدخل في جملة الآثار الأدبية للمعاهدين "كتاب الشروح"(٢) وهو معجم لاتيني عربي محفوظ بمكتبة جامعة ليدن، ويعد رائداً لمعجم بطرُه القلعي Pedro de Alcalá فيما بعد. ويستطيع القراء النصارى الذين لغتهم الأولى العربية، أن يرجعوا إليه لفهم النصوص اللاتينية. والمعجم مكتوب نصه على عمودين، ومتوسط عدد السطور في كل عمود إثنان وعشرون سطراً(٣).

أما عن التراث العربي للمعاهدين، فقد وصلت إلينا نصوص لاتينية ذات شروح عربية، أو نصوص لاتينية مترجمة إلى العربية، وأحياناً يكون النصان على عمودين، أي يصير النص مزدوج اللغة.

كان الكتاب المقدس من أوائل الكتب التي ترجمت إلى العربية، وليس من شك أن ابن حزم اطلع على نسخة من العهد القديم، استعان بها في كتابه "الفصل"(٤) وكذلك في كتابه "طوق الحمامة" ففي حديثه عن ماهية الحب، يعاود سفر التكوين ويستشهد بقصة يعقوب النبي، وواضح تأثره بسفر حزقيال(٥) في هذا البيت(٦).

---

(١) أحمد مختار العبادي : المرجع نفسه ص٨٢.

(٢) ويرجح أن أسمه باللاتينية Liber Glossarum.

(3) Van Koningsveld: Latin Arabic Glossary. Passim.

(٤) ص ٢٤.

(٥) "وكان إلى كلام الرب قائلا: مالكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست" إصحاح ١٨ آية ١.

(٦) طوق الحمامة ص٨٤ والفضل في عقد المقارنة يعود إلى المحقق الفاضل الأستاذ الطاهر مكي.

وماذا عليه من عشاقي ولوعتي   أنا آكل الرمان والولد يضرس

أما العهد الجديد، فتشير المصادر النصرانية إلى يوحنا (خوان) الاشبيلي الذي عاش في القرن التاسع الميلادي، ويعزو إليه رود ريجو خمينيث بعد عدة قرون أنه وضع تعليقات عربية على الكتاب المقدس، ودعاه العرب بسعيد المطران.

Et in esto medio fuit apud Hispalim gloriosus et sanctissimus Joannes Episcopus, qui ab Arabibus Caeyt Almatran vocabatur(١).

على أنه من المؤكد أنه وجدت ترجمة عربية للعهد الجديد في مدينة قرطبة، تعود إلى سنة ٩٠٨م، وهي من عمل اسحق بن بلشك Velasco(٢) وتجد التأثير العربي واضحاً فيها، فيبدأ كل انجيل بالبسملة الإسلامية، ويبدو أنه كان متمكناً من العربية(٣).

ومع أن العهد الجديد لم يصل إلينا كاملاً، ألا أنه توافرت لدينا تفصيلات عنه في كتاب الفصل لابن حزم، الذي يحدد الصفة المادية له، مما يدل على أنه كان موجوداً أمامه، فيصف الأناجيل الأربعة، وعدد أوراق كل

---

(1) Simonet: Historia de los Mozárabes. p.321 nota N.I.Y Glosario. p. 34 del Prólogo nota n.1.

(2) Simonet: Historia de los Mozárabes. pp.752-753.

(٣) بدلا من عبارة "شعبي اسرائيل" يقول "اسرائيل أمتي" (متى اصحاح ٢ آية ٦) وبدلا من أن يقول يوحنا "أنا محتاج أن أعتمد منك" يقول "أنا استوجب أن أعمد على يديك" (متى اصحاح ٣ آية١٤) وبدلاً من "رقصت ابنة هيروديا في الوسط" يقول "زفنت بين يديه" (متى اصحاح ١٤ آية٦) والمقارنات كلها مستخرجة من Van Koningsveld: op cit. p55.

انجيل منها ومقاس الخط واللغة الأصلية التى كتب بها، وكذا الرسائل التالية وكان يسمى الاصحاح باباً(١).

ويوجد فى المكتبة الأهلية بمدريد مخطوط يعود إلى سنة ١٠٤٩م يعرف باسم "جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس" وهو ترجمة لنصوص قرارات مجامع طليطلة ورسائل أخرى بابوية ، وربما كان الاسم الأصلى للمخطوط Excerpta أى "الخلاصة" أو Canonum Instituta أى "قواعد الكنيسة"(٢) والجدير بالذكر أنه رتبت فيه القرارات ترتيباً موضوعياً، وليس طبقاً للترتيب الزمنى، كما فى النص اللاتينى(٣).

يشير الامام القرطبى(٤) إلى القديس أغشتين، ويصفه بزعيم القسيسين ويتضح من مقتبساته عنه، أنه كانت لديه نسخة عربية من "مصحف العالم الكائن "كما ان هناك دلائل قوية، على أن كتاب "الأصول" لايسيدور ترجم حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى(٥)، ونقل عنه ابن جلجل(٦) الذى توفى بعد سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٥م.

ومن الكتب التى ترجمت كتاب "التاريخ"(٧) لباولوس أروسيوس Paulus Orosius الذى عرفه العرب بهروشيش ، وكان ملك الروم(٨) قد

---

(١) جـ٢ ص٢ وما بعدها.

(2) Simonet: op. cit. p.720.

(3) Van Koningsveld: op. cit. p.60.

(٤) الإعلام، جـ١ ص١٤٣.

(5) Van Koningsveld: op. cit. p.60.

(٦) طبقات الأطباء والحكماء ص٤١.

(٧) واسمه كاملاً "كتب التواريخ السبعة فى الرد على الوثنيين Historiarum Libri septem adversus paganus"

(٨) قسطنطين السابع المعروف ببورفير وجنيتوس (٩٤٥/٩٥٩م).

أرسله مع كتاب الحشائش(١) لديسقوريدس(٢) إلى عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨-٩٤٩م(٣). ويعزو ابن خلدون(٤) ترجمة كتاب هروشيش إلى اثنين، أحدهما قاسم بن أصبغ البيانى(٥) (ت ٣٤٠) والآخر قاضى النصارى، ومن المرجح أن قاضى النصارى - وحده - هو الذى قام بالترجمة(٦).

كان للمعاهدين دور آخر فى حركة التأليف، إلا أنه لم يكن بارزاً، ولم يصل إلينا شىء عن الشعراء الذين تحدث عنهم ألبرو، أما غيرهم فإن القيمة الأدبية لشعرهم كانت محدودة، مثل نظم حفص بن البر لمزامير داود، وما ورد فى مجموعة نواميس الكنيسة، التى أهداها صاحبها وهو بنجنسيس Vincencio (أو Vicente) إلى أحد الأساقفة ويدعى عبد الملك فيقول(٧):

كتاب لعبد الملك الأسقف الندب ... جواد نبيل الرفد فى الزمن الجدب

همام ذكى الحدس واحد عصره ... عليم كريم ذى حلوم وذى لب

يجدد فضل الله فينا بفضله ... وعم به كل الأنام هدى الرب

فلا زال فى عز من الله شامل ... مدى انهل مزن من قرى الأرض بالسكب

---

(١) أو الأدوية المفردة materia médica.

(٢) طبيب يونانى عاش فى أوائل العصر المسيحى واشتهر كتابه عند المسلمين وقام على ترجمته فى المشرق اصطفن بن بسيل وراجع هذه الترجمة حنين بن اسحق. راجع ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. بيروت مكتبة الحياة. ص٤٩٣-٤٩٤.

(٣) المصدر السابق ص٤٩٤.

(٤) العبر جـ٢ ص٨٨.

(٥) سبق أن أشرنا إليه فى حديثنا عن الموالى.

(٦) راجع مناقشتنا لهذه القضية فى كتابنا "أندلسيات" الفصل الثانى ص٢٩-٦٨.

(7) Simonet: op. cit. p. 721.

ويذكر ابن سعيد[١] شاعراً من شعراء النصارى، عاش فى دولة المعتمد بن عبّاد، ويدعى بابن المرعزى النصرانى الاشبيلى، ويأتى ببعض من شعره.

وتوجد بمكتبة جامع سيدى عقبة بالقيروان مخطوطه، يشبه مضمونها مضمون كتاب هروشيش، وبها محاورات إسلامية نصرانية[٢].

وأورد متنديث بيدال فى دراسة له عن ثقافة المستعربين صورة للأرض من عمل أحدهم، جعلها مستديرة، وقسمها إلى ثلاثة أقسام، اختص بنو سام بالقسم الأكبر الشمالى، واختص بنويافث - وهم العجم - بالقسم الأسفل إلى اليسار، واختص بنو حام - وهم البربر - بالقسم الأسفل إلى اليمين، وفى الشريط الأفقى وسط الدائرة، كتب "جميع الأرض أربع وعشرون ألف فرسخ" وهو قياس محيط الأرض عند كثير من الجغرافيين، والكتابات كلها على الخريطة بالعربية، فيما عدا ترجمة للنص الخاص بمحيط الأرض باللاتينية[٣].

كذلك صنف النصارى فى مجال العلوم القديمة وبخاصة الطب. وينسب ابن جلجل[٤] إلى خالد بن يزيد بن رومان النصرانى، أنه كان يتبادل الخبرة مع طبيب مصرى نصرانى مثله هو نسطاس بن جريج، الذى كتب له رسالة فى البول، وربما كانت هذه الرسالة لابن رومان وليست لنسطاس، كما يتضح من ملحق فهرسة الأب سباط[٥].

---

(١) المغرب جـ١ ص٢٦٩ تر ١٩٨ .

(٢) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص٣٤-٣٥ حاشية ٢ .

(٣) المرجع السابق خريطة رقم ١٠ ص٦٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ص٩٦، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ص٥٤٤.

(٥) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٨٣ حاشية ٢ للمحقق الفاضل.

وفى عصر عبد الرحمن الناصر لمع نجم يحيى بن اسحق الذى ورث مهنة الطب عن أبيه، وقد أسلم وولى الوزارة والقيادة، وله فى الطب كنّاش(١) من خمسة أسفار، ودعى بالابريشم(٢)، ويشير إليه ابن حزم(٣) فى رسالته فى تفضيل الأندلس، وينسب إليه عدة كتب، وليس كتاباً واحداً، وجميعها لم تصل إلينا، ولانعلم هل ألفها قبل إسلامه أم بعده، أم توزعها العهدان.

ومن الشخصيات الهامة التى اشتهرت بثقافتها بين المعاهدين:

إليبا ندوس :

ظهرت بين النصارى فى الأندلس فى أواخر القرن الثامن الميلادى نحلة دعيت بنحلة التبنى Adopcionismo، وتنسب إلى مطران طليطلة إليباندوس Elipandus الذى يرى أن المسيح بقدر ماكان إنساناً كان ابناً لله بالتبنى(٤)، وأيده فى قوله فليكس أسقف أرقله بالثغر الإسبانى وتصدى للاثنين معاً راهبان هما بياتوس Beatus من ليبانا Liebana باشتوريش وإيتيريوس Eterius من أوسما، وكتب هذا الأخير دحضاً للتبنى(٥)، وبعث ألكوين Alcuin زعيم النهضة الكارولنجية برسالة إلى إليباندوس، يحضه على التخلى عن مذهبه، فرد عليه إليباندوس بخطاب شديد اللهجة، ودعاه بأريوس الجديد،

---

(١) أوكناشة والجمع كنانيش إضمامة من الأوراق فى الطب انظر:
Dozy: Supplément vol II p. 794.

(٢) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص١٠١، وعنوان الكتاب مماثل لعنوان كتاب الفصول Aphorismi لأبقراط، وعليه كان معتمد أطباء الأندلس فى القديم.

(٣) المقرى : نفح الطيب جـ٢ ص١٣٣ .

(4) O' Callaghan: op. cit. p.186.

(5) Simonet: op. cit. p.720. nota n.1

وهاجم بياتوس ودعاه بالدجال(١).

وعقدت الكنيسة خارج الأندلس عدة مجامع لإدانة الحركة. أهمها مجمع فرانكفورت في سنة ٧٩٤م، ضم ثلاثمائة من الأساقفة، لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً لإليباندوس الذي ظل يزاول مهام منصبه مطراناً لطليطلة إلى أن توفي(٢).

كان من آثار نحلة التبني أنها ألقت ظلالاً من الشك حول صحة الطقوس المستعربية، ففي الجدال الذي ثار بين إليباندوس وبين عدد من الكتاب الكارولنجيين مثل ألكوين ، دفع بأن هذه الطقوس، يجب أن ترمى هي الأخرى بالهرطقة(٣).

توضح دعوة إليباندوس إلى أي مدى كان النصارى يتمتعون بحرياتهم في الأندلس، فلم يمسسهم ضرر، ووقفت الدولة محايدة ازاء خلافاتهم الفكرية، ولم تفعل ما فعلته الدولة العباسية في المشرق في الفترة نفسها من مناصرة النساطرة على من سواهم.

ويذهب سيمونيت – والمؤرخون الفرنج بوجه عام – إلى أن هرطقة التبني، وغيرها من الآراء المخالفة للكنيسة، إنما كانت أثراً من آثار الإسلام(٤)، وتوافقه في مذهبه، ففكرة التبني مبنية على بشرية المسيح، ونوافق ألكوين في ربطه بينها وبين قرطبة التي اعتبرها الينبوع الرئيسي

---

(1) Ibid.pp. 273-274.
(2) Ibid pp. 270-274.
(3) O'Callaghan: op. cit. p.187.

(٤) حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٤٨٥–٤٨٧.

ويشير والتس إلى السوريين النساطرة الذين لعبوا دوراً في الحياة الثقافية بقرطبة، شأنهم هنا شأنهم في الحواضر الإسلامية الأخرى، وكان لهم أثر في نشوء فكرة التبني. انظر : Waltz, J: op. cit. p. 147.

لأفكار اليانتوس Maxime Origo hujus perfidiae de Corduba Civitate processit[1]"

وقد ظهرت في القسطنطينية حركة تحطيم الصور التي دعيت باللا أيقونية وكان هدفها إزالة شبهة الوثنية عند النصارى، ولاشك أنه كان للإسلام تأثير واضح فيها، ويعد الامبراطور ليو الأيسوري ٧١٧ - ٧٤١م من دعاتها وقد لقبه معاصروه باسم "ليو ذو العقلية الإسلامية"(٢) وقد ظلت هذه الحركة نحواً من قرن وثلث قرن ٧١١ - ٨٤٣م(٣).

هذا التأثير الإسلامي يوضحه أن الأساقفة الذين اجتمعوا في فرانكفورت سنة ٧٩٤م، أصدروا قراراً بإدانة اللا أيقونية والتبني معاً.

حفص بن البـر:

هو من عائلة غيطشة ملك القوط الذى أعان ولده العرب، وأسلم بعض حفدتهم، وقد ثار جدل حول أصله بعد العثور على مخطوطة لنظم حفص بن البر هذا لمزامير داود، فيذهب شتاينشنايدر(٤) إلى احتمال أنه من أصل يهودي، خاصة أن موسى بن عزرا الغرناطي في القرن الثاني عشر الميلادي يقتبس منه ، كما إن هنالك من يربط بينه وبين ألبرو القرطبي الذي يرى البعض أنه من أصل يهودي(٥)، وثمة رأي آخر يرد حفصاً إلى أصل عربي

---

(1) Simonet: op. cit. p.266. nota n°3.

(٢) وقيل أنه من نسل جبلة بن الأيهم من أمراء الغساسنة.

(٣) راجع بخصوص حركة اللا أيقونية. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، القاهرة. دار النهضة العربية ١٩٦٥م ص٢٠١ وما بعدها. وأنظر أيضاً: بيتز: الامبراطورية البيزنطية. ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد. القاهرة لجنة التأليف، ١٩٦٥م ص٦٠ وما بعدها.

(4) Die Arabische Literatur der Juden. Frankfurt, 1902. S.111.

(٥) وردت في احدى رسائله عبارة Ego qui et fide et gente Hebraeus sum

يتضح من اقتباسات القرطبي أنه كان لحفص كتابان هما "المسائل" و"الحروف" ونعلم أن المسائل في الفقه الإسلامي هي الفتاوى والنوازل مثل نوازل ابن سهل وغيره، أي أن حفصا تأثر بطريقة الفقهاء المسلمين، وكلامه يتخذ شكل أجوبة لها أسلوب تقريري مباشر، وأحيانا يبدأها بلفظ "إعلم" وربما كان له كتاب آخر يدعى "الفقه" ذكره القرافي(١).

اشتهر حفص بأنه نظم مزامير داود على بحر الرجز المشطور(٢)، ففي أوائل القرن السابع عشر الميلادي عثر انجليزي يدعى دوفيد كولفيل David Colville على مخطوطة عربية بدير الاسكوريال، مكتوب عليها "هذه أرجوزة حفص بن البر القوطي رضي الله عنه في ترجمة زبور داود النبي عليه السلام"(٣). واستطاع كولفيل أن ينسخ من هذه المخطوطة(٤) نسخة، احتفظ بها لنفسه، وآلت بعد وفاته في سنة ١٦٢٩م إلى مكتبة أمبروسيو في مدينة ميلانو(٥).

---

(١) الأجوبة القاطعة ص٢٢٩ .

(٢) ووزنه "مستفعلن مستفعلن مستفعلن" وهو بحر مناسب ويشبه البحور الأعجمية (اللاتينية) وبالذات بحر يامبق (البحر السداسي أو اليامبي Iambus).

أنظر: Dunlop : op. cit. pp 139 - 146 .

(٣) ورد في فهرسة قشتالية قديمة تعود إلى القرن السادس عشر "حفص القرطبي في نظم وترجم المائة والخمسين مزامير داود عليه السلام وفي أول الكتاب استفتاح على سبيل وعظ وفي بداية كل مزمار شرح بالذى يتبين". انظر: Simonet: op. cit. p.770 nota n' 2.

(٤) في سنة ١٦٧١ نشب حريق هائل في الإسكوريال أتى على معظم ما كان به من ذخائر، وكانت هذه المخطوطة من جملة ما ضاع.

(5) Dunlop: op. cit. pp. 137-138.

ورقم هذه المخطوطة هو IX Teologia cristiana n'86. كما هو وارد في قائمة مقتنيات هذه المكتبة ص٣٦ وتوجد منها نسخة بدار الكتب المصرية برقم Bibl 994.

أو سوري مسيحي(١).

على أن هذه الآراء جميعها تتعارض مع النصوص التي وصلت إلينا، فالورقة الأولى من هذا المخطوط مكتوب عليها حفص بن البر القوطي(٢)، والمخطوط نفسه يعود إلى أواسط القرن العاشر الميلادي، ومن ثم فصاحبه معاصر لابن القوطية، الذي أكد أنه من نسل وقلة بن غيطشة.

مما وصلنا من تراث حفص يتضح أنه كان ذا طابع ديني، وإلى هذا يشير الامام القرطبي في خطابه إلى الكاهن النصراني .

يقول القرطبي(٣) "اعلم يا هذا أن هذا القس الذي هو حفص هو من أكيسهم وأفصحهم، على أنه ليس في القوم رجل رشيد ولا ذو عقل حميد، وإنما كان كذلك، لأنه قد ضربت عليه الجزية، ولزمه الصغار والذلة، إذ كان قد نشأ في ذمة المسلمين، وتعلم من علومهم، ما فاق به النصارى، ومع ذلك فإذا تكلم في علوم النصارى وأحكامهم، تلجلج لسانه وقصر بيانه لأنه يتزل على آرائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر".

يبدو أنه ألف كتبا جيدة في هذا المقام، الأمر الذي دفع أحد كهنة طليطلة بعد الاستيلاء عليها من المسلمين بزمن طويل إلى أن يستعين بها في كتاب ألفه بالعربية عن الإسلام، وبعث به إلى قرطبة، فأثار حفيظة أحد علمائها الأجلاء ، وهو الامام القرطبي - صاحب التفسير - فرد عليه بكتاب اسمه "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام".

---

(1) Dunlop, D.M.: Hafs b. Albar, the last of Goth. J. R.A.S. 1954. pp. 147-148.

(2) Ibid p. 138.

(٣) الاعلام، ص٤٢، وانظر أيضا القرافي: الأجوبة الفاخرة ص١٨٢-١٨٣ ، وفي ص٢٣٤ يقول "قال قسيسهم وكبيرهم حفص".

ربيع بن زيـد :

من الشخصيات الهامة فى عصر عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر، عرف عند النصارى باسم Recemundo(١)، واستخدمه الناصر سفيرا لدى ملوك أوربا، وشغلته أسفاره العديدة عن أن يزاول مهام منصبه كأسقف لالبيرة(٢)، وفى احدى اسفاره هذه التقى بيوحنا أسقف جورتسه Gorze بألمانيا، وفى تاريخ حياة هذا الأسقف الذى لايعرف مؤلفه نجد الكاتب يشير إلى ربيع، ويستغرب معرفته بالعربية وطلاقته فيها

"Et llitteris optime tam nostrorum quam ipsius inter quos versabatur linguae arabicae institutus"(3)

التقى ربيع أيضا بالعالم الكبير ليتوبراند الكريمونى Liutoprand الذى أهداه كتابه فى التاريخ واسمه Antapodosis ووصفه بالوقار والقداسة(٤).

يقول ابن سعيد(٥) فى تذييله لرسالة ابن حزم فى تفضيل الأندلس "وأما كتب التنجيم فلابن زيد الأسقف القرطبى فيه تصانيف، وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المروانى، وله ألف كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان وفيه من ذكر منازل القمر، وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه".

يعرف هذا الكتاب بتقويم قرطبة ، وينسب أيضا لعريب بن سعد ، وهو من أصل نصرانى، وله كتاب "صلة تاريخ الطبرى" كما ألف فى تاريخ

---

(١) يدير سيمونيت الفصل الثلاثين من كتابه حول ربيع وحده.

(2) Lévi-Provençal: Histoire de l'Espagne Musulmane vol III pp. 222-223.

(3) Simonet: op. cit. p. 606. nota n, 5.

(4) Ibid. pp. 610-611.

(٥) المقرى : نفح الطيب جـ٢ ص١٣٨.

المغرب والأندلس، ويذهب دوزى[١] إلى أنه كتب النص العربى للتقويم الذى ترجمه ربيع إلى اللاتينية، وأضاف اليه إضافات تهم نصارى الأندلس.

ويعد تقويم قرطبة من أشهر التقاويم العربيـة[٢]، ويذكر أوقات السنة وفصولها، وعدد الشهور وأيامها ومجارى الشمس، وفيه اخبار عن الزراعة والغراسة والفلاحة والحصاد ومطالع النجوم والأمطـار والسنة الشمسية والأبراج، كما إن فيه اخبارا عن أعياد العجم جميعها والأنواء ومواعيد البذر وعادات الحيوان.

٤ - الفن المستعربى :

كان من الطبيعى أن يتأثر الفن الإسلامى فى الأندلس بالعناصر المحلية التى كانت موجودة قبيل مقدم العرب[٣]، وتشير المصادر إلى ما وجده المسلمون من آثار رومانية[٤]، والجدير بالذكر أن أهل البلاد من مولدين ومعاهدين كانوا يسهمون بدورهم فى إنشاء مساجد المسلمين وغيرها، وهو ما نجد مثالا عليه فى زيادة الحاجب المنصـور بالمسجد الجامع فى قرطبة[٥]. وينقل المقرى[٦] فى كتابه أنه كان يوجد فى هذا المسـجد ثلاثة أعمدة من

---

(1) Le Calendrier de Cordoue de l'année 961. introductión.

(٢) جوان فرنيه: الرياضيات والفلك والبصريات، تراث الإسلام (جديد) ق٣ ص١٨٧.

(٣) حسين مؤنس : تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس، حوليات كلية الآداب، جامعة إبراهيم باشا الكبير، م١ ١٩٥١م، ص١٨٦.

(٤) الحميرى: الروض المعطار ص١٢٣، ١٨٠-١٨١، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٢٤٩-٢٥٠.

(٥) المصدر السابق جـ١ ص٢٥٦.

(٦) المصدر السابق جـ١ ص ٢٤٣.

الرخام الأحمر مكتوب على أحدها اسم محمد ومرســوم على الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وصورة غراب نوح، ويبدو أن ذلك من عمل الصناع المستعربين(١).

إلى جانب هذا الفن الإسلامى الأندلسى الذى تأثر بالفن المحلى كان يوجد فن آخر هو الفن المستعربى el arte Mozárabe ويطلق أحيانا على الفن الإسلامى نفسه فى مرحلته الأولى حتى نهاية عصر الخلافة(٢).

على الرغم من ضياع معظم هذا الفن المستعربى، إلا أنه تبقى منه مثالان، الأول: كنيسة بيشتر التى بنيت بين سنتى ٨٩٨،٩١٧م، "وتضم ثلاثة أروقة تفصلها دعائم، وعقود وذراع، ثم مقصورة منحنية فى شكل يزيد على نصف اسطوانى ومقصورتين جانبيتين مربعتين، وعقد حدوة الفرس هو أقصى ما يكشف عنه فنها، ويتمشى مع تخطيط الحنية، ويطول حتى يبلغ ثلاثة أرباع القطر، على نحو ما فى العقود الخلافية"(٣).

المثال الاخر هو كنيسة سانتا ماريا دى ملكى بطليطلة، وتعود إلى العصر نفسه، وتتخذ شكل صليب متساوى الأذراع، وجدرانها سميكة، "ومقصورتها الكبرى أكبر من نصف دائرية فى الداخل، ومربعة فى الخارج كما هو شأن المقصورتين الجانبيتين، ونسبها غير كاملة الرشاقة، فزاوياها الخارجية مدورة لتكسبها قدراً كبيراً من الثبات، ويحد وسط ذراعها أنصاف أعمدة ضخمة، لاتيجان لها ولاقواعد ، وتحمل أجزاءها على أساس نصف

---

(١) حسين مؤنس : تطور العمارة الإسلامية ص٢٠٣.

(٢) المرجع السابق ص١٩١.

(٣) جوميث مورينو: الفن الإسلامى فى إسبانيا، ترجمة لطفى عبد البديع، السيد سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م ص٤٢٢-٤٢٣.

قطرى، مما يدل على قدمها، والتقبيب اسطوانى شاهق الارتفاع وكذلك الشأن فى طاقية الحنية، وفى الوسط تنهض قبوة بين نصف اسطوانية، ومتعارضة شبيهة بما فى التقاليد البيزنطية"(١).

٥ – نبوغ ثقافة المستعربين:

اسهم المعاهدون نتيجة لهجراتهم المتقطعة إلى الشمال فى احياء الثقافة فى هذه النواحى التى لم تكن من مراكز الحضارة قديما لتطرفها، وشجع شارلمان وولده لويس هذه الهجرة، وبرز عدد من الإسبان فى بلاطه(٢) وعكف المستعربون فى الثغر الأسبانى على الترجمات الفلكية والرياضية(٣)، وظهر فى مناطق الحدود ضرب من الشعر الملحمى، عرف بالأغانى الثغرية Romances Fronterizos، مهد فيما بعد لظهور الملاحم المشهورة(٤).

كما كان من جملة الآثار التى ترتبت على هجرة اعداد من المستعربين شمالاً نشوء المدونات التاريخية، ولا نغالى فى أن معظمها يعود الفضل فيها اليهم ومن بينها حولية البلدة La crónica Albeldense، عثر عليهما فى دير البلدة بوادى ابره، وتشمل تاريخا مختصرا للملوك القوط ولاسبانيا النصرانية والمشرق، وتصل إلى سنة ٨٧٦م، والحولية المتنبئة la crónica profetica، كتبت حوالى سنة ٨٨٣م، ومؤلفها مستعرب ، ويبدو من كلامه أنه اعتمد على

---

(١) المرجع السابق. ص٤٢٣.

(2) Altamira : Ahistory of Spain. p. 111.

(٣) جوان فرنيه:الرياضيات والفلك والبصريات. تراث الإسلام (جديد) ق٢ ص٢١٣.

(٤) محمود مكى : فى أثر العرب والإسلام ص١٢٥-١٢٦.

مصادر عربية، وتتضمن إلى جانب التاريخ جملا من أنساب العرب وأعمالهم في اسبانيا(١).

هناك مجال آخر لتأثير المستعربين المهاجرين، وهو الفن المستعربي الذي نشروه بحيث صار يمثل فترة انتقال من الفن الكارولنجي إلى الفن الرومانسكي الذي ظهر في أواخر القرن الحادي عشر(٢).

وعن تأثير المستعربين وفنهم، وبخاصة في مجال العمارة، يخصص جوميث مورينو فصلا كاملا من كتابه(٣)، ويجعل حدوة الفرس هو الخاصية الجوهرية في الشكل ، ويأتي بأمثلة كثيرة، مثل كنيسة سان ميجيل دي اسكالا دا في ليون التي بناها في سنة ٩١٣م مستعرب أتى من قرطبة، ونجد فيها أصولا أندلسية، تتمثل في تيجانها التي تحمل أوراقا ملساء وفروعا مخططة وسعفا على شكل حدوة الفرس ومسبحة، وتتمثل فيها أشكال أسود صاعدة وطائر يحمل في منقاره سمكا ورؤسا خرافية وطيورا(٤).

وقد امتد التأثير المستعربي إلى فن تصوير المخطوطات الذي برع فيه ماخيو وفلورنثيو في القرن العاشر الميلادي، الأول بليون والآخر بقشتالة وكلاهما من المستعربين(٥).

---

(١) جمال الدين الشيال: في أثر العرب والإسلام ص٣٦٨-٣٦٩، أحمد مختار العبادي في عالم الفكر م٨ ع١ ١٩٧٧م ص٨٣.

(٢) جوميث مورينو : المرجع السابق نفسه ص٤٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٤٢٤-٤٨٧.

(٤) المرجع السابق ص٤٤٣.

(٥) المرجع السابق ص٤٧٦-٤٨٣.

الباب الثالث

الحياة العامة للجماعة النصرانية بالأندلس

الفصل السادس : صلات النصارى بالدولة والمجتمع الإسلامى بالأندلس .

الفصل السابع : التأثيرات الإجتماعية والثقافية والدينية بين النصارى والمسلمين .

الفصل السادس

صلات النصارى بالدولة والمجتمع الإسلامى بالأندلس

١ – موقف الدولة الإسلامية بالأندلس من النصارى :

أسفرت موجة الفتح الإسلامى للأندلس، عن ظهور طبقة النصارى المعاهدين، وقد ارتبط هؤلاء مع الحكومة الإسلامية بعقد الذمة وفى ظل هذا العقد عاشت المؤسسات المسيحية فى سلام حتى مقدم الموحدين(١).

وإذا كان مغيث الرومى قد أحرق عند فتحه قرطبة كنيسة القديس أجلح Sanctus Acisclus ، التى التجأ اليها أفراد الحامية القوطية(٢)، فإن هذه الكنيسة أعيد بناؤها فى أواخر عهد عبد الرحمن الداخل(٣)، ويدعوها التقويم القرطبى(٤) بكنيسة الأسرى Ecclesia Carceratorum.

وتنسب المصادر النصرانية إلى الأمير محمد، أنه أمر بهدم كل كنيسة بنيت منذ الفتح، وهذه المعلومة لاترد فى المصادر العربية، واذا صحت، فإنها ترتبط بتعصب النصارى الذى كان سائدا وقتذاك فى قرطبة. ويعترف دوزى(٥) بأن أسلاف الأمير محمد، أبقوا على كنائس النصارى، بل كانوا لايعترضون، على توسيعهم كنائسهم القديمة، أوبنائهم الجديد منها.

---

(1) Simonet: OP. cit.P.321.

(٢) أخبار مجموعة. ص ١٢ ، ١٤ ، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص١٢٣

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص٢٢٩

(٤) ص١٠٦ النص الطينى.

(5) Spanish Islam. PP. 299 - 300.

تروى المصادر العربية أخبارا عن هدم بعض الكنائس فى عهد الفتنة الكبرى، وبناء مساجد مكانها، لكنها تروى أيضاً أن عمر بن حفصون - زعيم الفتنة - نشأ مسلما ثم تنصر، وذهب فى سياسته إلى اضطهاد المسلمين، كما أحدث كنائس.

وتشير بعض المصادر النصرانية إلى ما قام به المنصور بن أبى عامر من تخريب لكنائس النصارى ودور عبادتهم(١). وليس هناك ما يثبت صحة هذا القول، فكان خارج الأندلس، ومع قوم ليسوا فى ذمة المسلمين، وقد تصاب الكنائس خلال الحرب ببعض الضرر. ومما يجدر ذكره أن المنصور عند وصوله إلى قبر القديس يعقوب فى قاصية جليقية سنة ٣٨٧هـ /٩٩٧ م، أمر بحفظه ودفع الأذى عنه(٢).

وكان المسلمون احيانا يشاركون النصارى كنائسهم، مقتدين بما فعله أسلافهم بكنيسة القديس يوحنا بدمشق، فشاركوا نصارى قرطبة كنيستهم الجامعة، وهى كنيسة القديس بجنت Sanctus Vicentius، ولما كثرت اعدادهم، وعمرت قرطبة، سأل عبد الرحمن الاول اعاجمها أن يبيعوه ما تبقى بأيديهم من هذه الكنيسة وتوسع لهم فى البذل ، وأجاز لهم اعادة بناء كنيسة شنت

---

(١) تقول الحولية السيلوسية "Historia Silense فى هذا الزمان خمدت العبادة المقدسة فى اسبانيا، وقضى على مجد الشعب المسيحى، ونهبت الذخائر المخبوءة فى الكنائس. وبعد مكابدة هذا الخراب تفضلت العناية الألهية، فرفعت النير عن أعناق النصارى، وبعد مذابح مريعة لهم، فإن المنصور قبضه الشيطان الذى ملكه فى مدينة سالم وألحد فى جهنم".

انظر : O;Callaghan : OP. cit.p. 130.

(٢) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص١٩٥ .

أجلج، وغيرها من الكنائس التي أصابها ضرر ابان الفتح(١) ... وهكذا نشأت نواة الجامع الكبير الذي اكتمل بناؤه في عهد المنصور بن أبي عامر .

كذلك اباح المسلمون للنصارى أن يبنوا كنائس جديدة خارج أسوار المدن(٢)، وفي بعض الاحيان كانوا يبيحون لهم بناء هذه الكنائس داخل المدن نفسها(٣)، ذلك أنه لما اختط الأمير محمد مدينة مجريط(٤) (مدريد) بنيت بها كنيسة عرفت بعذراء المدينة La Virgen de la Almudena تقع بجوار قصر الحاكم(٥) ويؤكد راهب مثل ايولوخيو أن النصارى بنوا كنائس وديارات كثيرة للرهبان والراهبات(٦) .

أجاز المسلمون للكنيسة بأن تكون لها أحباس تنفق منها، كما سمح لها بأن تقيم شعائرها، بما فيها من دق الأجراس واظهار الصلبان وهناك أمثلة

---

(١) ابن عذارى:البيان المغرب جـ٢ ص٢٢٩، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٢٥٥. وانظر ايضا السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس دار المعارف لبنان١٩٦٢ م ص ٨٩ .

(٢) الونشريشي: المعيار المغرب م ١ورقة ١٤٠ أ. وانظر ايضا:
Lévi-Provençal: op.cit vol III p.224

(٣) بنى النصارى كنيسة بالفسطاط في عهد ولاية مسلمة بن مخلد(٤٧ - ٦٢هـ) الذي لم يأبه بإنكار الجند، حتى كاد يقع بينه وبينهم شر. ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب نشر تورى ص١٣٢.

(٤) لايعرف بالتحديد متى أنشئت. ويذهب الأستاذ محمود مكى إلى إنها أنشئت حوالى سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م. أنظر: مدريد العربية. القاهرة دار الكاتب العربي، د.ت.ص٨٨.

(٥) المرجع السابق ص٧٥.

(٦) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٧٠م ص١٥٨.

كثيرة، على حضور بعض المسلمين هذه الشعائر، ولم يرد في المصادر أخبار عن قيود على النصارى في لباسهم، أو علامات يتميزون بها، على نحو ما كان يحدث في المشرق(١).

لم تتدخل الدولة في عقائد النصارى ولا شعائرهم، وكان تعيين رجال دينهم، من شأنهم وحدهم، كذلك عقد المجامع الدينية وإن كانت الدولة تدعو إليها في الأوقات الحرجة وليس صحيحا ما يذهب إليه دوزي(٢) من أن الأمراء أقاموا على هذه المجامع مسلمين ويهودا، باعوا الكراسي الأسقفية لمن يدفع أكثر.

كذلك لم تعمل الدولة على إرغام النصارى على الدخول في الإسلام يقول دوزي(٣): "إن احوال النصارى لم تكن بالقياس إلى أحوالهم الماضية شديدة الصعوبة، ويجب ألا يغرب عن البال، ذلك التسامح غير المحدود للعرب، فلم يتعرض أحد للضغط في الأمور الدينية، كما أن لم تكن هناك رغبة في تحويل النصارى إلى الإسلام، لما يترتب على ذلك من نقص في ايراد بيت المال. ولم يجحد النصارى تسامح المسلمين وعدلهم، ففضلوهم على الفرنجة".

سار النصارى في أحوالهم المدنية، وفق ما تقضي به شرائعهم(٤)، وخاصة مجموعة القوانين التي تخلفت من العهد القوطي وعرفت باسم

---

(١) راجع موقف الحكم بأمر الله الفاطمي من أهل الذمة في مصر القلقشندي: صبح الأعشى. القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٩١٣م جـ ١٣ص٣٥٩ - ٣٦٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ ٤ ص١٧٨ .

(2) op. cit. p.238
(3) Ibid. p. 235

(٤) ينفرد ابن حزم بين فقهاء الأندلس بإلزام النصارى بأحكام المسلمين. راجع في هذا الشأن: الإحكام في أصول الأحكام جـ٥ ص ١٠٩ جـ ٩ صـ ٤٢٥ ، ولم نجد بين فقهاء الأندلس من يؤيده فيما يذهب اليه.

Fuero Juzgo- وكان للمعاهدين قاضيهم الخاص بهم، ويتولى الأمير (ثم الخليفة) تعيينه فى منصبه، شأنه فى هذا شأن قاضى الجماعة عند المسلمين .

على أن هناك حالتين، كان قاضى المسلمين يقضى فيهما، الأولى: اذا أبدوا رغبتهم فى أن يفصل القاضى بينهم(١). وينقل سيمونيت(٢) عن بعض كتب الفقه الأندلسية "ويستحب للقاضى الجلوس للحكم فى رحاب المسجد الخارجة عنه، من غير تضييق عليه فى جلوسه فى غيرها ليصل اليه اليهودى والنصرانى والضعيف، وهو أقرب المواضع" .

أما الحال الثانية وهى الإجبار، اذا كان أحد طرفى الخصومة مسلماً، أو كان أمراً يتصل بحد أو قصاص أو تعزير. على أنه كان هناك استثناء فيما يختص بحد الزنا إذا كان بين نصرانيين، فكان يترك لأهل دينهما(٣).

كان القضاة فى أحكامهم يتوخون النزاهة ، وكثيرا ما يتصفون

---

(١) يضيع الامام مالك لهذه الحال حداً، فيجعلها فى اطار التظالم. سحنون: المدونة الكبرى جـ٤ ص ١٦٢، ابن فرحون: تبصرة الحكام جـ ١ ص ٦٧. ويضع لها الخشنى (ت٣٦١هـ) حدا آخر وهو إذا لم يرد حكم فى شريعتهم وإلا ردوا إلى أهل دينهم. الونشريشى: المعيار المعرب م٥ ورقة ٢٠٨ أ.

ولم يكن ما يجرى فى الأندلس بدعا فالقاضى خير بن نعيم قاضى مصر ١٢٠ – ١٢٧ هـ كان يجلس عند باب المسجد بعد صلاة العصر، فيقضى بين النصارى الكندى: كتاب الولاة وكتاب القضاة بيروت ١٩٠٨م. ص٣٥١، أما القاضى محمد بن مسروق الكندى ١٧٧ – ١٨٤ هـ فهو أول من ادخلهم الجامع. المصدر نفسه ص٣٩٠ – ٣٩١ .

(2) op. cit p.99. nota n.2.

(٣) سحنون: المدونة الكبرى جـ١٦ ص١١، ٤٢، ٥٥، –٥٦، القرطبى: الجامع جـ٦ ص١٨٤–١٨٦ .

للنصارى اذا شاهدوا الحق بجانبهم، وهذا واضح من القضايا التي يوردها ابن سهل في أحكامه(١).

في احدى هذه القضايا قدم للمحاكمة نصراني من أهل الشر والفساد والتعريض بنساء المسلمين وبناتهم، غير مزدجر ولا راجع، رغماً عن تعزيره، فأمر القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد(ت ٣٦٦هـ) بإباحة ظهره، وضربه، الضرب المبرح الموجع. وفي قضية أخرى استفتي القاضي ابن زرب(ت ٣٨١هـ) بشأن نصراني اسمه سعيد، رؤي مع امرأة مسلمة، ثم ذهبت المرأة، ولم يوقف لها على أثر، فلم يجب بشئ، وأفتى بالتريث في أمره، لداعي الشبهة والتثبت من عدالة الشهود(٢).

كان بعض القضاة على دراية بعجمية أهل الأندلس ـ وهي اللاتينية ـ منهم سليمان بن أسود(٣)، على أن البعض الآخر، لم يكن على دراية بها، لذلك صار يتولى الترجمة عمن لايحسن العربية رجل ثقة مسلم مأمون(٤).

واذا كان المسلمون قد أجازوا للنصارى المعاهدين أن ينظموا انفسهم، وفق مما تقضي به أحوالهم وشرائعهم، فانهم سمحوا لهم أيضا بقدر من الاستقلال في بعض المناطق بالأندلس وبخاصة الثغور، على أن يلتزموا بالطاعة ويؤدوا الجباية، ويتجلى لنا ذلك مما حدث في شرق الأندلس ، فإنه لما غزا عبد العزيز بن موسى بن نصير كورة مرسية ، كان يحكمها قائد

---

(١) جمعت بعض هذه القضايا مستخرجة من الأحكام الكبرى، وصدرت باسم "وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس"بتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف. على أن ثمة قضايا أخرى لابن سهل، يورد الونشريشي بعضها في المعيار المعرب.

(٢) الونشريشي: المعيار المعرب م١ ورقة ١٧٣ ب، ١٧٤أ .

(٣) الخشني : قضاة قرطبة ص٨٠

(٤) ابن فرحون: تبصرة الحكام جـ ١ ص٢٣٧.

قوطي يدعى تُدمير Teodomiro(١) حاصره المسلمون بحصن أوريولة Orihuela ، ولما ضاق به الحصار عمد إلى الحيلة، فأمر النساء أن يتخذن هيئة الرجال، ويقفن على الأسوار، ليوهم المسلمين بكثرة عدد قواته، ثم قدم إليهم كرسول، وتفاوض معهم على الصلح، فأجابوا طلبه. وفيما يلي نصه، كما ورد في بغية الملتمس للضبّي(٢).

"من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش(٣)، أنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألايقدم له، ولا لأحد من أصحابه، ولا يؤخر، ولاينزع عن ملكه وأنهم لايقتلون ولايسبون، ولايفرق بينهم وبين أولادهم ولانسائهم ولايكرهوا على دينهم، ولاتحرق كنائسهم، ولاينزع عن ملكه ما تعبد ونصح، وأدى الذي اشترطنا عليه، وأنه صالح على سبع مدائن أوريوالة وبلنتلة (Valentila) ولقنت ومولة (Mula) وبقسرة وأيُّه(Eyyo) ولورقة، وأنه لايؤوى لنا أبقا، ولايخيف لنا آمنا، ولايكتم خبر عدو علمه وأن عليه وعلى أصحابه دينارا كل سنة ، وأربعة أمداد(٤)

---

(١) ويدعى في النصوص اللاتينية Theudimer

(٢) القاهرة، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م ص ٢٧٤ تر ٦٧٥ ، ويرد نص المعاهدة أيضا في الروض المعطار للحميري ص٦٢-٦٣، مع اختلاف يسير ، وكذا في نصوص عن الأندلس للعذري ص٤ ـ ٥، كما يورده الغزيري

Bibliotheca Arabico Hispana Escurialensis 1760.
Tomus n.II. 106.

(٣) يرجح أن أصل غبدوش ـ كما يذهب سافدرا Ergobadus ، وهو من الأسماء الجرمانية التي شاعت في إسبانيا بين القوط op.cit. p.87 .

(٤) جمع مُد (وهو غير المُدْي) ضرب من الأكيال، يساوي ربع صاع، والصاع خمسة أرطال، كما يساوي أيضا ثلث قدح مصري. لسان العرب جـ٦ ص ٤١٥٨، ٤١٥٩، وانظر أيضا: محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.-

قمح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أقساط(١) طلاء(٢)، وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك. شهد على ذلك عثمان ابن أبي عبدة القرشي، وحبيب بن أبي عبيدة بن ميسرة الفهمي وابو قائم الهذلي، وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة"(٣).

احترم المسلمون نص المعاهدة، حتى بعد أن تبينت لهم خديعة تدمير، ويلاحظ أن النص لايشير إلى من تطبق عليهم المعاهدة من ذريته. وعلى هذا فقد انتهى الوضع الخاص للكورة بعد وفاة تدمير في سنة ٧٣٤م ، وأنزل أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي بهذه الكورة فريقا من الشاميين(٤).

وتروى المصادر اللطينية عن أهل ألمرية (ألبيرة) في أقصى الغرب أن عبد العزيز بن موسى بن نصير أقرهم على حالهم ، وأقام عليهم في سنة ٧١٦م حاكما عرف في هذه المصادر باسم Alboacem iben Mahamet Alhamar iben Tarif ، وربما كان اسمه العربي أبو عاصم

= القاهرة، دار الأنصار، ١٩٧٧م ص٣١٩. أما المُدي والجمع أمداء، فهو مكيال ضخم لأهل الشام ومصر ويقال له ايضا الجريب، والجريب خمسة وأربعون رطلا. ابن منظور: لسان العرب جـ٦ ص ٤١٦٢.

(١) جمع قسط من الأكيال والقسط نصف صاع أو ثلثا قدح مصري. لسان العرب جـ٥ ص٣٦٢٧، وانظر ايضا: محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية ص٣٢٠.

(٢) شراب مطبوخ غير مسكر يتخذ من عصير العنب. ابن منظور: لسان العرب جـ ٤ ص ٢٦٩٩.

(٣) ربما يوجد لبس في تاريخ هذه المعاهدة لأن عبد العزيز بن موسى بن نصير لم يل أمور الأندلس إلا بعد عود أبيه إلى المشرق في سنة ٩٥هـ/٧١٤م.

(4) Simonet: op.200.

(أو أبو القاسم)(١) بن محمد الأحمر بن طريف(٢)، وكان إلى جانبه قومس من القوط يشترك معه فى الحكم، ويدعى أيدولفو Aidulfo ، خلفه فيما بعد ولده أتاناجيلدو Atanagildo ، ثم حفيده تيودو Teodo (أو Theodus)(٣).

وهناك وثيقة تنتسب إلى عبد الرحمن الدخل، مؤرخة فى صفر سنة ١٤٢هـ/ يونية ٧٥٩م، أورد الغزيرى(٤) نصها، ونقلها عنه سيمونيت(٥)، كما ذكرها الذهبى(٦)، وفيا يلى نصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب أمان الملك المعظم عبد الرحمن للبطاركة والرهبان والأعيان والنصارى الأندلسيين أهل قشتالة، ومن تبعهم من ساير البلدان ، كتاب أمان وسلام ، وشهد على نفسه أن عهده لاينسخ ، ما أقاموا على تأدية عشرة الاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من

---

(١) ويذهب سيمونيت إلى ترجيح اسمه بأبى الحسن. Ibid.p.181.nota n°2.

(٢) ونرجح أنه من البربر لأنهم كانوا كثرة المسلمين الوافدين بالثغر الأدنى ثم إن طريفاً كان من الأسماء الشائعة بينهم .

(3) Ibid. pp. 181-183.

ومن المرجح أن القرية هذه لها علاقة بحصنى الأخوين Alafoens اللذين يشير إليهما المواعينى (ت ٥٧٠هـ) فى كتابه "ريحانة الألباب" فيقول "واستفحل أمر المعتضد (بن عباد) وكان لايملك الا جفن اشبيليه وبعض كور بغرب الأندلس، وغزا بيرتقال حصنى الأخوين وهما حصنان متقابلان بينهما مخرم، فظفر بالروم الذين كانوا فيهما، وكانوا معاهدين بعهد موسى بن نصير لآبائهم، وفيهم كثير ممن يتكلم بالعربية وكانوا يزعمون أنهم من ذرية جبلة بن الأيهم الغسانى الذى تنصر من العرب"

Dozy: Scriptorum Arabum loci de Abbadides: Leyden, 1846-1863 Vol. II p. 67.

(4) Op. cit. tomus II. p.104.

(5) Op. cit. Apendice numero VI.

(٦) سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناءوط، نذير حمدان، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م جـ٨ ص٢٢٢-٢٢٣ .

الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال مع ألف درع وألف بيضة، ومثلها من الرماح فى كل عام إلى خمس سنين، كتب بمدينة قرطبة ثالث من صفر عام اثنين وأربعين ومائة" .

انصرف تفكير بعض المؤرخين مثل سانشيث ألبرنوث(١) إلى أن المقصود بقشتالة هنا حاضرة كورة البيرة فى الجنوب، وكانت تدعى عند المسلمين قسْطِلّة Castella ، ويستدلون من شروط المعاهدة على مقدار ما كان يعانيه النصارى من عنت تحت حكم المسلمين.

على أنه من المرجح عدم صحة هذه الوثيقة للأسباب الآتية :

١ - دعى عبد الرحمن الداخل بالملك المعظم، وليس لدينا نص واحد يشير اليه بهذا اللقب.

٢ - المعاهدة طرفاها حاكم المسلمين وقوم من النصارى، وقد جرت العادة على أن يكون طرفا المعاهدة حاكم المسلمين وحاكم النصارى.

٣ - لم يرد فى الوثيقة إشارة إلى شهود للمعاهدة، كما جرى مع تدمير

٤ - ذكر الذهبى - بعد أن أورد نص المعاهدة ـ "ثم كتب لأهل قشتالة ذلك الأمان الذى تقدم، وهو بخط الوزير بشر بن سعيد الغافقى" وليس فى المصادر ذكر لوزير بهذا الاسم لعبد الرحمن الداخل.

٥ - يشير النص إلى واجبات مالية للنصارى، ولايشير إلى حقوق لهم بخلاف ما جرت عليه العادة فى مثل هذه العهود، ومنها عهد تدمير .

٦ - ليس لدى مدينة قسطلة ولاكورة إلبيرة من الموارد ما يجعلها تؤدى هذا المبلغ الضخم .

٧ - لم يرد فى المصادر ما يشير إلى وجود علاقة خاصة بين الحكومة

(1) Livermore : OP. Cit. p. 336.

الإسلامية، وبين أهل إلبيرة، كما أن ما منحه المسلمون من استقلال نسبي للنصارى، فإنما كان في مناطق الثغور، وليس في صميم أرض الأندلس .

وكان على النصارى واجبات مالية، فيؤدون عن أرضهم الخراج وهو ضريبة الأرض ولاتسقط بإسلامهم، وكان مقدار ما يؤخذ من الأرضي الخراجية، أكبر مما يؤخذ من الأراضي العشرية(١). ويحدد دوزي(٢) الخراج بنحو عشرين في المائة من غلة الأرض.أما في الأراضي التي صارت اقطاعا للأجناد العرب، فكان المعاهدون يؤدون لهم ثلث غلة الأراضي، ويختصون أنفسهم بالثلثين، وهو وضع يفضل كثيرا ما كان سائدا في عهد القوط وكان مفيدا للمسلمين والمعاهدين معا .

يقول الطُرطوشي(٣): وسمعت بعض شيوخ الأندلس من الأجناد وغيرهم يقولون: ما زال أهل الأندلس ظاهرين على عدوهم، وأمر العدو في ضعف وانتقاص، لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد، فكانوا يستغلونها، ويرفقون بالفلاحين، ويربونهم كما يربي التاجر تجارته، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة، والأجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه....."

وكان النصارى يؤدون عن تجارتهم نصف العشر، ما دامت قد بلغت نصابا، وهو عشرة دنانير، في حين كان يؤخذ من المسلم ربع العشر(٤).

---

(١) أبو يوسف : الخراج نشر قصي محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٩٦هـ ص١٢٩-١٣٠.

(2) Spanish Islam. p. 235.

(٣) سراج الملوك، القاهرة، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ ص١٠٠.

(٤) مالك : الموطأ جـ٢ ص٢٥٥، سحنون: المدونة الكبرى جـ٢ ص٤٠-٤١.

والسبب في ذلك أن عشور الذمي تؤخذ على أمواله الدائرة في التجارة دون سائر رأسماله، بخلاف المسلم الذى كان يحاسب أيضاً على ما لديه من أموال باطنة(١).

كذلك كان النصارى يؤدون الجزية، مقابل الحماية والاعفاء من الخدمة في الجيش. وقد جانب دوزى(٢) الصواب حين أتى بما ورد عند أبى حنيفة(٣) رضى الله عنه فى هذا الخصوص، لأن القوم في الأندلس كانوا على مذهب الإمام مالك(٤) الذى يقرر على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق (الفضة) أربعين درهماً.

لم يكن مبلغ أربعة دنانير كل عام بالمبلغ الكبير، فنحن نعلم أن راتب المنصور بن عامر فى سنة ٣٥٦هـ، أى فى بداية حياته الوظيفية، كان خمسة عشر دينارا مشاهرة، ارتفع فى سنة ٣٦٧هـ إلى ثمانين دينارا، وهو راتب الحجابة(٥). ومعنى ذلك أن ثلث دينار كل شهر، لم يكن بالأمر العسير على أحد من أوساط أهل الذمة، وفي الوقت نفسه كان يعفى من أداء الجزية النساء والصبيان والشيوخ وذو والعاهات والعبيد والرهبان(٦)، وكان النصرانى إذا

---

(١) عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين القاهرة، ١٩٦٣م ص١٨٦ والأموال الباطنة هى ما يمكن اخفاؤه مثل الذهب والفضة. الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٣٥.

(2) OP. cit. p. 235.

(٣) أبو يوسف : الخراج ص١٣٢، الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٦٣-١٦٤. ومقدار الجزية ٤٨ درهماً للموسر، ٢٤ للوسط ١٢ للفقير.

(٤) الموطأ جـ١ ص٢٧٩.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص٢٥١، ٢٦٧.

(٦) مالك : الموطأ جـ١ ص٢٨٠، ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد جـ١ ص٣٧١.

أعتقه سيده المسلم، لاتؤخذ منه الجزيه، أما إذا أعتقه سيده النصرانى وجب عليه أداؤها(١).

وقد أوردت بعض المراجع الأجنبية أخبارا عن اضطهاد لحق بالنصارى، وتعسف فى جمع الأموال منهم، إبان عصر الولاة ، على أن الحولية المستعربية لسنة ٧٥٤م تثنى على عدد من هؤلاء الولاة مثل يحى ابن سلامة الكلبى ١٠٧هـ/٧٢٦م - ١١٠هـ/٧٢٨م الذى رد للنصارى ظلاماتهم، واشتد على عماله Terribilis Potestator(٢) ، كما تتفق مع الأخبار المجموعة(٣) فى ثنائها على ولاة آخرين، مثل عقبة بن الحجاج السلولى ١١٦هـ / ٧٣٤م - ١٢٣هـ / ٧٤١م وتنوه بعدله(٤).

لم يشع فى الأندلس نظام ضمان الخراج - وهو قريب الشبه بنظام الإلتزام - وكذلك الحال بالنسبة لنظام الإلجاء(٥)، وإذا كان ثمة ضرائب إضافية مثل المعونة، فإن هذه أجازها الفقهاء، إذا عجز بيت المال عن إرزاق الجند(٦). ولم تكن هناك سخرة، كما أن هدايا النوروز لم تكن شائعة فى الأندلس.

---

(١) سحنون : المدونة الكبرى جـ٢ ص٤٢.

(2) Simonet: op. cit. p. 157. nota. n.4.

(٣) ص ٢٥ - ٢٨.

(4) Aschbach: Geschichte der Ommaijaden in Spanien. Wien 1860. SS. 101-102, note n.4.

(٥) التلجئة أن يلجىء الضعيف ضيعته إلى قوى ليحامى عليها، وجمعها الملاجىء والتلاجىء، أو قد يلجىء القوى الضيعة، وقد ألجأها صاحبها إليه" الخوارزمى: مفاتيح العلوم نشر فان فلوتن، ليدن، بريل ١٨٩٥ ص٨٢.

(٦) الونشريشى : المعيار المغرب م ٦ ورقة ٧٨. وانظر أيضاً.

Dozy: Supplément Tome II p. 192.

ومما يجدر ذكره أن الحكومة الإسلامية بالأندلس، كانت تتنزل أحيانا عن بعض مستحقاتها، مثل إسقاط العشور، كما فعل الأمير المنذر ابان عهده القصير(١)، أو اسقاط سدس الجباية، كما فعل المنصور وولده المظفر(٢). ولما اقترح أحدهم على عبد الرحمن الأوسط أن يفرض رسما على الدواب والأحمال التي تعبر قنطرة قرطبة، ليحصل من وراء ذلك على مال عظيم، رفض بشدة، بل عاقبه على اقتراحه(٣)، وفي سنة ٣٥٦هـ عنف الحكم المستنصر عماله على الزيادات التي فرضوها على الرعية وتعسفهم في معاملتهم(٤).

كان أفراد المجتمع الأندلسي - بوجه عام - يؤدون دورهم في دفع الضرائب، وإذا كان الشاميون وحدهم - وهم قلة في العرب - معفيين من العشر، فالسبب في ذلك أنهم كانوا عماد الجيش وسناده، حتى عهد المنصور ابن أبي عامر .

كان للنصارى دور في ادارة الدولة التي درجت على الإستعانة بهم في وظائفها، وجدير بالذكر أن الماوردي(٥) اجاز تقليد الذمي وزارة التنفيذ، وهي التي يتولى صاحبها تنفيذ أوامر الأمام، كما أجاز أيضا أن يكون عامل الفيء ذميا، إذا كانت معاملاته مع أهل الذمة(٦).

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص٢٤.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٣ ص٣.

(٣) ابن سعيد : المغرب جـ١ ص٥١.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص٢٣٩.

(٥) الأحكام السلطانية ص٢٨.

(٦) المصدر السابق ص١٤٨.

وقد عمل سرجون بن منصور الرومي كاتباً لديوان الخراج لمعاوية بن أبي سفيان=

بدأ التعاون بين الدولة وبين النصارى المعاهدين فى فترة مبكرة، فعندما ظهرت نواة المقاومة النصرانية، فى الشمال بزعامة بلاى(١)، أرسل المسلمون جيشا بقيادة علقمة، وصحب الجيش أبّة Oppas أخو الملك غيطشة، وقد توجه أبّة هذا إلى بلاى، يدعوه للاستسلام للمسلمين والإذعان لحكمهم فرفض بلاى ثم دارت معركة(٢)، انتصر فيها النصارى، ووقع أبّة أسيرا فى أيدى مواطنيه ، فعاقبوه على خيانته بالموت(٣).

ويحدثنا ابن القوطية(٤) عن ابن أخ لأبة هو أرطباش الذى كانت تربطه بالولاة المسلمين علاقات وثيقة، وهو الذى أشار على أبى الخطار بتفريق الشاميين فى الكور، وأهدى نفرا من وجوههم جملا من ضياعه. كما صاحب عبد الرحمن الداخل فى بعض غزواته، واستولى الأمير ذات يوم على ضياعه، ثم صفح عنه وولاه القماسة، وكان يستشيره فى أمور كثيرة.

وفى عهد الحكم الأول ، نجد ربيع بن تدلف "متولى المعاهدين" الذى

= وخلفه من بنى أمية حتى عهد عبد الملك بن مروان. الجهشيارى الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة، الحلبى ١٩٣٨م ص٢٤-٤٠، كما كان النصرانى عيسى ابن نسطورس وزيراً للخليفة العزيز بالله الفاطمى ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ٤ ص١١٥-١١٦.

(١) Pelayo وعرف فى النصوص اللاتينية المعاصرة بيلاجيوس Pelagius وهو أول ملوك أشتوريش ٧١٨-٧٣٧م.

(٢) وهى معركة مغارة أونجا Cova de Onga ودعيت عند العرب بالصخرة، وقد وقعت فى عهد ولاية عقبة بن الحجاج السلولى ١١٦هـ/٧٣٤م-١٢٣هـ/٧٤١م. ويعدها الأسبان بداية حركة الاسترداد La Reconquista ومعركة القرون الثمانى La Batalla de ocho Siglos.

(3) Aschbach: OP. cit.s. 46.

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس ص٥٧-٥٨.

اشتط فى فرض المعاون والمغارم(١) علـى المسـلمين، ممـا دفعهـم إلـى الثورة(٢)، وفعل الأمر نفسه مع أبناء أهل الذمة(٣)، مما حمل الأمير فى آخر سنى حكمه على القبض عليه وصلبه، ثم قدم المتظلمون من ربيع إلى قرطبة، يطلبون إنصافهم، وكان عبد الرحمن الثانى قد خلف أباه وجـرى صـدام بينهم وبين الجند قتل فيه بعض هؤلاء المتظلمين(٤).

على أن أشهر من استخدم من المعاهدين فى عصر الامارة، هو قومس ابن أنتنيان بن يليانة مستخرج الخراج(٥) الذى عاون عبيد الله بـن أمية بـن يزيد فى الكتابة للأمير محمد، فلما أصابت عبيد اللـه هذا علـة منعته مـن مزاولة عملـه، أنـاب عنـه قومس، إلى أن مات فأسلم قومـس وخلفـه فـى الكتابة(٦).

ولما توفى القاضى محمد بن سلمة الكلابى فى سنة ٢٩١هـ عزم الأمير عبد الله على تولية أبى الغمر بـن فهد القضـاء، فـانتهز حزمـير قومـس المعـاهدين فرصـة غيـابه فى ضـيعته بقبرة، وأخـذ يدس له عنـد الأمير ،

---

(١) راجع بخصوص المعونة ص١٥٣ ، أما المغرم فهو غرامة تفرض علـى العصاة بعد أن يتم إخضاعهم. أخبار مجموعة ص١٥٤. والمعاون والمغارم يعدان معاً من الضرائب الغير الشرعية.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص١٥.

(٣) لانعرف المقصود بهذا التعبير، فربما كانوا من المولدين، وربما كانوا من المعاهدين، ويذهب الأستاذ عنان إلى أنهم من المعاهدين. دولة الإسلام فى الأندلس ع١ م١ ص٢٥٥.

(٤) النويرى: نهاية الأرب جـ٢٣ ص٣٧٥-٣٧٦، ابن الأثير :الكامل جـ٦ ص١٤١.

(٥) راجع بخصوص هذا المنصب الفصل الثالث من هذا الكتاب ص ٩١.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩٥ - ٩٧.

وما زال به حتى صرف نظره عنه ، واستقضى أحمد بن محمد بن زياد[١].

ولما قامت الخلافة الأموية فى سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م، وعظمت سلطة الدولة، وازداد عدد المسلمين، صار النصارى المعاهدون أقلية، تم احتواؤها فى الاطار العام للمجتمع، وأصبحت معظم أخبارهم تتعلق بدورهم فى سياسة الدولة الخارجية مع ملوك شبه الجزيرة وسائر أقطار أوروبا.

ففى سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م أرسل الناصر سفيره اليهودى حسداى بن اسحق إلى جليقية لعقد الصلح مع رذمير الثانى ٩٣٠-٩٥١م، واطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبى قائده الذى أسر فى وقعة الخندق قبل عامين. ولم يلبث أن ورد إلى الناصر كتاب من التجيبى يسأله توجيه أكابر أساقفة النصارى إلى رذمير، للاتفاق على فدائه، فأرسل الخليفة عباس بن المنذر جاثليق أسقف اشبيليه ويعقوب بن مهران أسقف بجانة وعبد الملك بن حسان أسقف البيرة، ليمثّلوا الحكومة الإسلامية فى مفاوضات الصلح الذى تم عقده بشروط الناصر[٢]، وفى العام التالى أطلق سراح التجيبى وأنفذ إلى قرطبة صحبة حسداى والأساقفة[٣].

كذلك صحب هشام بن كليب (أو هذيل) الجاثليق سفراء قسطنطين امبراطور الروم، الذين جاءوا فى سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨-٩٤٩م بكتابى ديسقوريدس وهُرُشيُش، ليجدد الهدنة ويؤكد المودة وعاد بعد سنتين ومعه رسل من قسطنطين[٤].

---

(١) الخشنى: قضاة قرطبة ص ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) ابن حيان: المقتبس س٥ ص ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق س٥ ص ٤٧٤.

(٤) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٤٣ وانظر أيضا: Lévi - Provençal op. cit vol II p. 150.

وفى سنة٣٤٢هـ/٩٥٣م قدم إلى الناصر رسل أُتُو Otto(١) امبراطور الدولة الرومانية المقدسة (٩٣٦-٩٧٣م) لبحث موضوع القراصنة المسلمين المقيمين فى مستعمرة على الشاطىء الجنوبى لفرنسا(٢). وكان الرسل برئاسة يوحنا أسقف جورتسه، ويبدو أن الكتاب الذى أتى به، وردت فيه عبارات أزعجت الخليفة، فمنع يوحنا من السفر، كما رفض مقابلته. وفى الوقت نفسه أرسل ربيع بن زيد أسقف البيرة، المعروف عند النصارى بريخمندو فقابل أُتُو فى فرانكفورت، ثم عاد إلى قرطبة فى سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، بتعليمات إلى يوحنا، تتضمَّن عقد اتفاقية صداقة مع الخليفة، الذى عدل عن موقفه منه، وأذن له بمقابلته(٣).

ولما نجح ربيع فى مهمته أوفده الناصر فى مهام أخرى إلى القسطنطينية وبلاد الشام، حيث أتى بقطع فنية، جعلها الناصر فى قصره بمدينة الزهراء(٤).

وفى سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م استقبل الحكم المستنصر أردون بن أذفونش المنازع لابن عمه شانجه بن رذمير ملك ليون ، بصحبة جماعة من وجوه

---

(١) ويعرف عند العرب بهوتو أو هوته ملك الصقالبة، ويقصدون بهم الألمان.

(٢) وهى مستعمرة فراكسينتوم Fraxinetum على خليج سان تروبيز Saint - Tropez ووردت فى كتب الجغرافيا العربية باسم جبل القلال. أنظر ابن حوقل: صورة الأرض ص٢٠٤ والاصطخرى: مسالك الممالك نشردى خويه. ليدن، بريل١٩٦٧ ص٧١. وقد استوطن هذه المستعمرة قوم من المسلمين أتى معظمهم من الأندلس، وأزعجوا جيرانهم النصارى باغاراتهم المتكررة عليهم.

(٣) رينو: تاريخ غزوات العرب ص ١٧٧ ـ ١٨٢ وانظر أيضا:
Lévi - provençal: op. cit. vol. III p. 222.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٣١.

النصارى، فيهم وليد بن حيزون القاضى الذى كان يقوم بالترجمة، وعبيد الله ابن قاسم المطران، وأصبغ بن عبد الله بن نبيل الجاثليق، وتم الاتفاق على أن يعاون الخليفة أردون فى استرداد عرشه(١).

وفى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م وفد إلى الحكم المستنصر عدة سفارات من ملوك اسبانيا النصرانية وأمرائها، ومنهم طوطة ابنة رذمير حاضنة رذمير ابن شانجه صاحب جليقية، وكان يقوم بالترجمة أصبغ بن نبيل القاضى، وعيسى بن المنصور الأسقف، ومعاوية بن لب القومس، وعبيد الله بن قاسم مطران اشبيلية(٢).

وفى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م قدم على الحكم رسل طوطة، وبدا فى كلامهم بعض الجفاء، فانكره الخليفة، ونهر المترجم وهو أصبغ بن نبيل، وأقصاه عنه وعزله من وظيفته، ولم يلبث أن صفح عنهم، وعاد رسل طوطة إلى بلادهم ومعهم عبيد الله بن قاسم المطران(٣).

وفى عهد المنصور بن أبى عامر وولده المظفر لم تعد ثمة حاجة إلى سفارات، يسهم فيها النصارى، بل لم تعد حاجة إلى سفارات أصلاً، لأن ممالك الشمال صارت أشبه بولايات تابعة لخلافة قرطبة، على أنه عندما حدث نزاع على الوصاية على ألفونش الخامس ملك ليون، انتدب المظفر قاضى النصارى بقرطبة، وهو أصبغ بن سلمة، لحسم هذا النزاع(٤).

وفى أواخر عصر الخلافة ، أسند إلى بعض النصارى وظائف فى

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٤٥، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٢.

(٢) ابن حيان: المقتبس قطعة الحكم المستنصر ص ٦٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧.

(٤) ابن خلدون: العبر جـ٤ ص١٨١، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٣ ص ١٠ .

الدويلات التي عرفت بدول الطوائف ، ففي الجنوب كان أبو الربيع النصراني كاتباً لباديس بن حبوس ملك غرناطة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م ـ ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، وكان له دور واضح في الخلاف الذي نشب بينه وبين ولده ماكسن(١).

كما شارك النصارى في جيوش الدولة(٢)، وهو ماجرت عليه الحال في المشرق أيضاً(٣). ويذهب دوزي(٤) إلى أن بلج بن بشر القشيري استعان في وقعة أقوة برطورة سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م بعدد كبير من العبيد النصارى الذين يفلحون أراضي العرب والبربر(٥).

وفي عصر الامارة بدأ استخدام النصارى بشكل واضح في جيش الدولة ، ويحدثنا ايولوخيو في كتابه "ذكريات مقدسة "عن مستعربين خدموا في جيش عبد الرحمن الأوسط(٦) . ومنهم أخوه (أي أخو ايولوخيو)

---

(١) الأمير عبد الله الزيري: كتاب التبيان ص ٦٦-٦٨.

(٢) يذهب ابن حزم إلى النهي عن الإستعانة بهم. المحلى جـ ١١ ص١١٢ ـ ١١٣، ولا يعطينا مالك رأيا محددا، ولا يرى ابن القاسم المصري (ت١٩١هـ) بأسا من عملهم نواتية وخدما. سحنون: المدونة الكبرى جـ٣ ص٤٠. ويذهب أبو يوسف ـ وهو حنفي ـ والماوردي ـ وهو شافعي ـ إلى أنه يجوز الإستعانة بهم، ولا يضرب لهم بسهم في الغنيمة وإنما يعطون حسب عنائهم. الخراج ص٢١٤، الأحكام السلطانية ص١٥٨ـ ١٥٩.

(٣) في مراسلات قرة بن شريك والي مصر ٩٠ ـ ٩٦ هـ مع صاحب كورة أشقوه، نجده يطلب منه عمالا وصناعا وملاحين للعمل في دور الصناعة والأسطول، وتشتمل المراسلات على دقائق هذا الطلب من اجور العمال وأقواتهم. سيدة كاشف: مصر في فجر الأسلام القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٤٧ص٩٢.

(4) Spanish Islam.p.144, Isidro de las Cagigas: op.cit. tomo I.P. 92.

(٥) وما يذهب اليه دوزي غير صحيح، فالعبيد الذين استعان بهم بلج في الوقعة، كانوا من العرب البلديين والبربر وقعوا في اساره، وهو ما يتضح من رواية الأخبار المجموعة ص٤٣، وانظر أيضا ابن حيان في المقري نفح الطيب جـ ٢ ص ٥٩ .

(6) Simonet: op.cit.p 368.

الأكبر واسمه يوسف(١).

وفى عصر الخلافة أضحت مشاركة المستعربين فى جيش الدولة أمراً عادياً، فاستكثر المنصور بن أبى عامر منهم، وأجرى عليهم الأرزاق وعاملهم معاملة طيبة، وعندما كان يحدث نزاع بين نصرانى وبين مسلم من جنوده، فإنه عادةً ما كان ينتصف للنصرانى(٢).

أدت الاستعانة بالنصارى فى جيش الدولة إلى اتصالهم أحياناً بأعدائها ففى إحدى غزوات المنصور بن أبى عامر، وقع فى يدى أحد فرسانه شيخ هرم، ادعى أنه حطاب. ولما كان الوقت متأخراً، والجو يكتنفه برد وريح ومطر، شك الفارس فى أمره، ونهض به إلى المنصور، فأمر الصقالبة بتفتيشه، فعثر معه على كتاب من نصارى كانوا يخدمون عند المنصور إلى أصحاب لهم من النصارى الحربيين يدعونهم فيه للمسير إلى مكان معين، يضربون فيه المسلمين، فلما تبيّن المنصور ذلك أمر بضرب أعناق الخونة وضرب رقبة الشيخ معهم(٣).

٢ – علاقات النصارى بعناصر المجتمع الإسلامى بالأندلس:

لم يختلف موقف عناصر المجتمع الإسلامى بالأندلس من النصارى عن موقف الحكومة الإسلامية، فكان المسلمون ينظرون إليهم على أنهم مواطنون، لايختلفون عنهم إلا فى دينهم. ولم يكن العرب - كالقوط - يعيشون بمعزل عن

---

(1) Ibid. p. 368. nota n.3 ، 382

(٢) راجع فى هذا الشأن ماورد فى الحولية الميلوسية والحولية العامة لألفونش العالم.

Simonet: op. cit.p.630. nota n. 1

(٣) ابن حيان فى المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٩٢ ، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

أهل البلاد، فقد انتشروا فى نواحيها، كما عاش البربر على نحو مشابه. ويعلق الحجارى[١] على عود موسى بن نصير إلى المشرق فى سنة ٩٥هـ/٧١٤م "وطاعت الأعاجم، فلاذت بالسلم وبذل الجزية، وسكنت العرب المفاوز، وكان العرب والبربر، كلما مر قوم منهم بموضع، استحسنوه، حطّوا به ونزلوه قاطنين، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس وختل الشرك".

جاور المسلمون الوافدون النصارى، وأنشئوا معهم علاقات ودية، ومع أن بعض العرب وهم الشامية القيسية، كان يغلب عليهم الجفاء والبداوة، إلا أن هذا كان فى بداية الأمر، فضلاً عن أنهم قلة فى العرب الذين كان أكثر م بلدية يمنية.

ولم يعمد المسلمون إلى التعصب فى معاملتهم النصارى، الا فى ظروف طارئة، ومما يجدر ذكره أن المولدين - وهم من أصل إسبانى - كانوا يميلون إلى التعصب، ونستدل على ذلك مما حدث فى هيج الربض، الذى كانوا عنصره الرئيسي، وكان رد الحكومة عليهم حازماً وعنيفاً.

ارتبط المسلمون بعلاقات متعددة مع النصارى، وإذا كان الامام مالك[٢] قد أجاز شركة المسلم للنصرانى بشروط معينة، فإن ابن حزم[٣] أجازها على الاطلاق، كما كان من المعتاد أن يباع لهم ويباع منهم، ولم ينه الشرع إلا عن شراء المسلم من النصرانى خمراً[٤].

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٢٩ .

(٢) سحنون : المدونة الكبرى جـ ١٢ ص ٧٠ .

(٣) المحلى . جـ ٢ ص ١٢٥، الاحكام جـ ٦ ص ٦٤ - ٩٥ .

(٤) سحنون: المدونة الكبرى جـ ٧ ص ١٠٣ .

(أ) علاقات الصداقة والحب بين النصارى والمسلمين :

قامت علاقات بين المسلمين والمعاهدين، تسودها الود والصداقة ففى عصر الولاة، دخل على أرطباش ولد الملك غيطشة عشرة من أشراف الشاميين - بينهم الصميل بن حاتم رئيس القيسية - وجلسوا معه، ثم دخل ميمون العابد - وهو أحد الموالى الشاميين - فقام أرطباش تعظيماً له، ودعاه للجلوس على كرسيه، فأبى الرجل - وكان صالحاً - وجلس على الأرض، فاقتدى به أرطباش، والتمس ميمون منه ضيعة من ضياعه الألف، ليعمرها بنفسه ويؤدى إليه الحق عنها، فأبى أرطباش، إلا أن يحبيه بأزيد مما كان يأمل، فحسده الشاميون وقال الصميل: يا أرطباش!! ما يعجزك من سلطان أبيك الا الانفاذ الطيبة، أدخل عليك وأنا سيد العرب بالأندلس، ويدخل أصحابى هؤلاء، وهم سادات الموالى بالأندلس، فلا تزدنا من الكرامة الا القعود على العيدان!، ويدخل هذا السوال، فتصير من الكرامة إلى حيث صرت!!.

لم يظهر أرطباش استياءه مما قاله الصميل، وعيّره بأميته وقال: يا أبا جوشن(١) أهل ديانتك يخبروننا أن أدبهم لم يخزك، ولو أخزاك لم تنكر على بر من بررت، وإنكم - أكرمكم الله - إنما تكرمون لدنياكم وسلطانكم ، وهذا الذى أكرمته، إنما أكرمته لله عز وجل وقد روينا عن المسيح صلى الله عليه وسلم، أنه قال: من أكرم الله من عباده، وجبت كرامته على جميع خلقه.

فقال له الشاميون: دع هذا وانظر فيما قصدنا له، حاجتنا وحاجة الرجل الذى قصدك وأكرمته واحدة.

---

(١) كنى الصميل بذلك لأن جده هو شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين - رضى الله عنه - فى كربلاء سنة ٦١ هـ .

فقال أرطباش: أنتم ملوك، وليس يرضيكم إلا الكثير.

ووهبهم مائة ضيعة، صار لكل واحد منهم عشر ضياع، منها طُرُش Torrox لأبي عثمان عبيد الله بن عثمان وألفنتين Alfontin لعبد الله بن خالد وعقدة(١) الزيتون بالمَدْوَرْ Almodovar(٢) للصميل بن حاتم(٣).

لما استقر عدد من الشاميين في كورة تدمير، إرتبطوا بعلاقات ودية مع أثناجيلدو ولد حاكمها السابق، وتوسطوا بينه وبين أبي الخطار الكلبي، عندما فرض عليه غرامةً كبيرةً، وما زالوا به حتى عدل عنها(٤).

وكان سعيد بن محمد بن بشير (ت ٢١٠ أو ٢١١هـ) صديقاً لربيع قومس المعاهدين، الذي ترك عنده ذات يوم وديعة، ثم حدث أن قتله الحكم الربضي لعسفه بالرعية، وأعلن أن كل من كان عنده مال لربيع أو وديعة، فلم يظهره بعد ثلاثة أيام، سفك دمه ونهب ماله. لكن ابن بشير أبى أن يخفر ذمته، ويفرّط في أمانته وبعد أن انتهى أجل الأيام الثلاثة، استدعاه الأمير - وقد عزم على البطش به - وأصرّ ابن بشير على موقفه، فأعجب به الحكم وولاه القضاء(٥).

ولما توفي عبيد الله بن يحي بن يحي في سنة ٢٩٧هـ، وكانت سيرته طيبةً بين أهل عصره، بكى عليه عدد من النصارى(٦).

---

(١) أي ضيعة أو مرعى. أنظر ياقوت: معجم البلدان جـ ص ١٩٣.

(٢) المَدْوَرْ حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة لهم فيه عدة وقائع مشهورة. ياقوت: معجم البلدان جـ ٧ ص ٤١٧.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٥٨ - ٦٠ وانظر أيضا المقري: نفح الطيب جـ ١ ص ١٢٥ - ١٢٦.

(4) Simonet: op cit. p. 200.

(٥) الخشني: قضاة قرطبة ص٣٩.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب المصرية جـ ٩ ص ١٢٦.

ويروى ابن حيان أن منذر بن يحى التجيبى ملك سرقسطة (ت ٤٣٠هـ) كانت علاقاته بالنصارى حسنة، حتى أنه جرى بحضرته عقد مصاهرة بعضهم(١).

كما نشأت علاقات حب بين مسلمين ونصرانيات، توّهت بها كتب الأدب، ونستدل على ذلك من قصة الشاعر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد من أهل القرن الخامس (ت ٤٨٠ هـ) مع فتاة نصرانية تدعى جميلة، ودعاها بنويرة، ومن شعره فيها(٢):

عساك بحق عيساك   مريحة قلبي الشاكي

فإن الحسن قد ولاّ   ك إحيائي وإهلاكي

وأولعني بصلبانٍ   ورهبان ونساك

ولم آت الكنائس عن   هوىً فيهن لولاك

وها أنا منك في بلوى   ولا فَرَجٌ لبلواك

ولا أستطيع سلواناً   فقد أوثقت أشراكي

فكم أبكي عليك دماً   ولاترثين للباكي

(ب) المصاهرات بين المسلمين والنصارى :

كذلك ارتبط المسلمون مع النصارى بمصاهرات، اختلف الفقهاء بشأنها(٣)، على أن جمهورهم في الأندلس ، ذهبوا إلى إحلال حرائر أهل

---

(١) في ابن الخطيب الاحاطة جـ ٣ ص ٢٨٥ .

(٢) ابن بسام: الذخيرة ق ١ م٢ ص ٧٠٧ .

(٣) راجع آراءهم في ابن حزم : الاحكام جـ ٣ ص ١٤٦ ـ ١٤٧، المحلى جـ ٩ ص ٤٤٠ ـ ٤٤٩ ويذهب مالك إلى احلال حرائر أهل الكتاب بالنكاح، واحلال امائهم بملك اليمين، لكنه حرمهن بالنكاح. الموطأ جـ٢ ص٥٤٠ -٥٤١ .

الكتاب بالنكاح، وإحلال امائهم بالنكاح وملك اليمين(١). ويذهب سيمونيت(٢) إلى أن كثيراً من النصرانيات كن يتزوجن بمسلمين، ولا يأبهن بمعارضة الكنيسة(٣).

إذا تتبعنا ظاهرة الزواج والتسري بين العرب وأهل البلاد، نجد أبرزها في البداية زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير - والى الأندلس - بإخيلونا Egilona(٤) - ويدعوها العرب أيِلُه أو أم عاصم - وكانت زوجاً لرُذْريق Rudericus آخر ملوك القوط، وأقام معها بكنيسة ربينة Sancta Rufina فى اشبيلية. ويقال أن زوجه هذه حملته على أن يتخذ لنفسه تاجاً من الذهب والجوهر، ويجعل المسلمين يسجدون له، مما أحنقهم عليه، فقتلوه في سنة ٩٧هـ/٧١٦م، بزعم أن تنصر، وبعثوا برأسه إلى سليمان بن عبد الملك بدمشق. أما اخيلونا فلا نعلم مصيرها، بسبب صمت المصادر العربية واللاتينية(٥).

---

(١) ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد جـ ٢ ص ٤١- ٤٢.

(2) OP. cit. p.238.

(٣) يتضح من نازلة لابن زرب (ت ٣٨١) أن الذمية "إذا أرادت النكاح ومنعها أهل دينها لزم السلطان أن يجبرهم على انكاحها، لأن منعهم لها من الظلم، ويجب أن يمنع من ظلم بعضهم لبعض، ولو ذهبت إلى نكاح مسلم، لم يجبرهم على العقد عليها".

الفشتالي: الوثائق. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٠ فقه مالك ورقة ١٨ أ.

(٤) أو إخيلو Egilo.

(٥) وردت هذه القصة مع اختلافات يسيرة في مصادر متعددة، منها أخبار مجموعة ص ٢٠، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٦ - ٣٧، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢١٢ - ٢١٣، ابن قتيبة: الامامة والسياسة تصحيح النعسانى الحلبي: القاهرة، المكتبة المصرية ١٣٢٥ هـ جـ ٢ ص٩٦ - ٩٨، الرقيق القيرواني: =

ويتضح من القصة أن عدداً ممن شاركوا فى قتل عبد العزيز مثل زياد ابن النابغة التميمى، تزوّجوا بدورهم من "بنات ملوكهم" وهو تعبير يقصد به الطبقة النبيلة.

كذلك صاهر عبد الجبار بن نذير مولى مروان بن الحكم تدمير صاحب أوريولة، ورزق من زوجه بولده خطّاب الذى صار واسع الثراء(١).

على أن أشهر حالات الزواج بين المسلمين وبين النصارى المعاهدين هى حالة سارة القوطية، فعندما توفى والدها ألمند بن غيطشة الملك، استولى عمها أرطباش على ضياعها، فتوجهت مع أخوين صغيرين لها إلى دمشق، والتقت بهشام بن عبد الملك، وأنهت إليه بخبرها، وتظلّمت من عمها، فقضى هشام حاجتها، وأنصفها وأخطر بذلك عامله على الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبى.

وقبل عودة سارة إلى الأندلس زوجها هشام بعيسى بن مزاحم، وهو من مواليه، فقدم معها وقبض ضياعها، وأولدها إبراهيم واسحق(٢).

= تاريخ افريقية والمغرب ص ٩٤ ـ ٩٧، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٨ ـ ٩، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٢٣ـ٢٤، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص١٣٢ وانظر أيضاً:
Simonet: o.p. cit. pp. 144 - 152.

(١) العذرى: نصوص عن الأندلس ص١٥، ١٢٢، وانظر أيضاً:
Dozy: op. cit. p. 501.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٣٠ ـ ٣١، وانظر أيضاً: المقرى نفح الطيب جـ ١ ص١٢٤ـ١٢٥. وتهتم المراجع الفرنجية بسارة وأسرتها، ويذهب بعضها إلى الربط بينها وبين عديد من الأسرات العربية والمولدية والنصرانية . أنظر:
Cambridge history of Islam vol. II p. 416.

ويذكر الزبيدى(١) من نحاة الأندلس ولغوييها ثلاثة من حفدة سارة، كما كان من نسلها المؤرخ أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم، المعروف بابن القوطية، ويتجلّى في كتابه ميله إلى أسرة غيطشة وتحمّسه لها.

وفى عصر الامارة تزوج الوزير تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة الثقفى (ت ٢٨٣هـ) بأم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية، وكانت بارعة الجمال، وأنجب منها بنتاً هى أم الوزير الكاتب عيسى بن فطيس(٢)، ولعيسى هذا حفيد هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس، ولى القضاء للمظفر بن المنصور فى سنة ٣٩٤هـ(٣).

ويتضح من الروايات العربية والنصرانية(٤) أن الأمير عبد الله تزوج

---

(١) طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، الخانجى ١٩٥٤م ص٣٢٤ ـ ٣٢٦.

(٢) ابن حيان: المقتبس س٢ ص١٨٢، ابن الأبار: الحلة السيراء جـ١ ص١٤٤ تر ٥٣ .

(٣) القاضى عياض: ترتيب المدارك جـ ٤ ص ٦٧١، ابن بشكوال: الصلة جـ ١ ص ٣٠٩ تر ٦٨٢.

(٤) ينقل ليفى بروفنسال عن المصادر الإسبانية القديمة هذا النص الهام

Ista Onneca. Post ea mortuo viro suo accepit, virum regem Abdalla et ex eo genuit Mahomath yben Abdalla, op. cit. vol 1.p.333. note n°2.

يقول النص أن أونيكا تزوجت بعد وفاة زوجها الأول الملك عبد الله، فأنجب منها محمد بن عبد الله. ويرد فى السفر الخامس من المقتبس ـ وجرى نشره مؤخرا ـ نص هام غفل عنه مؤرخونا فترة طويلة، يأتى به ابن حيان فى معرض حديثه عن غزاة للناصر فى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م ، فقد " وردت عليه رسل الماكرة طوطة (يقصد Teoda الوصية على ولدها غرسية ملك نبرة) ابنه الخنزير، تلوذ بطاعته وتمت بسبب أملاكها بالخلفاء سلفه، وتسأله عقد سلمها وصرف أوجه الخيل عنها" ص٣٣٥.

أونّيكا Onneca(١) ابنـة فُرتون غرسْية Fortún Garcés ملك نبرة ٨٧٠ – ٩٠٥م(٢)، بعد وفاة زوجها الأول، فأنجب منها محمداً والد عبد الرحمن الناصر.

ولا يبعد أن يكون الاسم العربي لجدة الناصر وهو دُرّ، ترجمة لاسمها باللاتينية أو الاسبانية القديمة(٣)، شأنها في هذا شأن أورورا Aurora أم هشام المؤيد، التي أسلمت ودعيت بصبح.

كما تزوج المنصور بن أبي عامر، بابنة شانْجُه بن غرسية Sancho Garcés ملك نبرة ٩٧٠ – ٩٩٤م، وقد أسلمت ودعيت بعبدة وكانت من خير نسائه(٤)، وأنجب منها عبد الرحمن الذي تلقّب فيما بعد بالناصر، واشتهر بشنّجول Sanchuelo وهو تصغير شانجُه.

ومما يجدر ذكره أن المنصور بن أبي عامر، كانت جدته لأبيه ابنة الوزير يحى بن اسحق وزير عبد الرحمن الناصر وطبيبه وهو من مسالمة أهل الذمة(٥).

كانت حقوق الزوجة النصرانية تجاه زوجها المسلم، لاتختلف عن حقوق الزوجة المسلمة، إلى جانب أنه كان يسمح لها بممارسة طقوس

---

(١) دعيت فيما بعد بانيكا Enneca ودونيا انيجا Doña Iñiga .

(٢) ويعرف عند المسلمين بفرتون الأنقر، وقد أسره المسلمون في غزاتهم سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م، فظل أسيرا بقرطبة عشرين سنة، ثم أطلق وعاد إلى بلاده. انظر: ابن حيان: المقتبس س٢ ص٣١٠ .

(٣) يعني الفعل اللاتيني enitere (والفعل الإسباني Enlucir) يتلألأ وهو من صفات الدر.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص٧٦.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب جـ ٣ ص ٤٢ .

دينها(١). ولما توفيت زوجة نصرانية لأحد المسلمين فى أواخر القرن الثالث الهجرى، وتركت بنتين صغيرتين، قرّر أهل الشورى بقرطبة أن الجدة للأم أحقّ بحضانتها، رغماً عن بقائها على دينها، بل هى أحق بالحضانة من الجدة للأب ولو كانت مسلمة(٢).

(١) سحنون: المدونة الكبرى جـ ٤ ص ١٥٧، جـ ٥ ص١٠٦، ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد جـ٢ ص٣٣١ .

(٢) ابن سهل: وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس ص٨٦ .

الفصل السابع

التأثيرات الاجتماعية والثقافية والدينية بين النصارى والمسلمين

١ – التأثيرات الاجتماعية :

كان للصلات الوثيقة بين النصارى المعاهدين وبين غيرهم من عناصر المجتمع الإسلامى بالأندلس، أثرها البالغ فى هذا المجتمع(١)، ويذهب البعض إلى اعتبار الأندلسيين إسباناً، لايختلفون عن غيرهم من أبناء شبه الجزيرة إلا فى كونهم يدينون بالإسلام(٢).

ومن مجالات هذا التأثير أن المسلمين الوافدين، فقدوا نقاوتهم العرقية، فنجد أمراء الأسرة الأموية الحاكمة وخلفاءها أبناء أمهات أولاد(٣) وقد دعى

---

(١) راجع فى هذا الشأن. أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، أثر البيئة الأوربية. عالم الفكر م١٠ ع ٢، ١٩٧٩ص ٣٤٣، ٣٩٤.

(٢) الطاهر مكى: ملحمة السيد.ص ١٠ - ١٣ من المقدمة. وقد فطن ابن بسام إلى هذا التأثير، وأرجعه إلى كونهم بهذا الأقليم ومصاحبتهم لطوائف الروم، وعلى أن بلادهم آخر الفتوح الاسلامية، وأقصى خطى المآثر العربية، ليس وراءهم وأمامهم إلا البحر المحيط والروم والقوط" الذخيرة ق ١ م١ ص ١٤ .

(٣) اريبيرا نظرية تتضمن أن الأندلسيين - بمن فيهم من ينتسب إلى العرب — هم فى حقيقتهم إسبان مسلمون، ولايهم هنا كون الجد الأعلى عربيا ويطبق نظريته هذه على أمراء بنى أمية وخلفائهم. أنظر: أحمد هيكل: الأدب الأندلسى. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩. ص ٣٥ - ٣٦ .

المنذر بن عبد الرحمن الناصر بابن القرشية(١) لانفراده بين أقربائه بكونه قرشي الأب والأم معا (٢) .

يقول ابن حزم(٣) "وأما جماعة بني مروان - رحمهم الله - ولاسيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة، لايختلف في ذلك منهم مختلف، وقد رأيناهم ورأينا من رآهم، من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا أشقر، نزاعا إلى أمهاتهم، حتى صار ذلك فيهم خلقة حاشى سليمان الظافر - رحمه الله - فإني رأيته أسود اللِّمَّة(٤) واللحية".

إقتبس المسلمون من أهل البلاد بعض أسمائهم، مثل فُرتون Fortunio(٥) ولُب Lope(٦) وكان العربي يعرف ـ أحيانا ـ بكنية أعجمية، فعبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن أمية بن الحكم الربضي،

---

(١) وهي فاطمة ابنة الأمير المنذر .

(٢) ابن حيان: المقتبس س ٥ ص ١٠ ، ابن الأبار : الحلة السيراء جـ ١ ص ٢١٠ تر ٨١ .

(٣) طوق الحمامة,ص ٤٨ .

(٤) اللمة شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة. ابن منظور: لسان العرب,جـ ٥ ص٤٠٧٩ .

(٥) من اللاتينية Fortunus و Fortunatus أي سعيد الحظ .

(٦) أو lobo وباللاتينية Lupus أي الذئب. يقول المقري: "وبها (أي الأندلس) سبع يعرف بالقب أكبر قليلا من الذئب في نهاية القحة، قد يفترس الإنسان إذا كان جائعا" نفح الطيب جـ ١ ص١٨٥ ومن الأسماء الأندلسية المشتقة من لب، لُبابة، لُبُّون، لُباج، لُبْزَرْ، لبال، لبس. انظر . Simonet: Glosario pp. 315-316

دعى بالبطْرَشيك، أى الحجر اليابس لبخله(١)، والشاعر الكبير أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى، لقب بـأبى جنيش فعرب بالرمادى (٢). وغلبت الإمالة على الأسماء العربية نفسها، فمن بنات عبد الرحمن الأوسط فطيمة (فاطمة) قسيمة (قاسمة) عتيكة (عاتكة) رحيمة (راحمة) هشيمة (هاشمة)(٣).

الأكثر من ذلك أن المسلمين أضافوا إلى بعض أسمائهم المقطع الإسبانى الذى يتألف من الواو والنون(on) للدلالة على التكبير مثل عبدون(٤)، وأصلها عبد، بل أنهم عندما كانوا يصغرون الاسم بعد تكبيره يقولون عبيدون أو عبيديس(٥)(على وزن فُعيْعيل) وكان ممكنا أن يصغروا الاسم الأصلى فيصير عبيد.

كما استمد المسلمون من التراث الإسبانى القديم مبالغة الإسبان فى الإعتزاز بأنفسهم ووطنهم، وهى سمة صاحبت الشخصية الإسبانية على مر العصور ، وكان لها أثرها الوافر فى أحداث التاريخ الإسبانى(٦). ولايبعد أن

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب،ص ٩٨ ، ابن الابار: الحلة السيراء جـ١ ص ٢١٥ تر ٨٥ والحجر اليابس Petra Sicca وبالإسبانية Piedra Seca انظر: Simonet: op. cit. p.XXII .

(٢) el ceniciento نسبة إلى رماد Ceniza .
جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى،ص ٦٨ .

(٣) ابن حيان المقتبس،ج ٢ ص ٢٤ .

(٤) وخلدون (خالد) حمدون (حامد) غلبون (غالب) حفصون(حفص) زيدون (زيد) فتحون (فتح) حيون (حى) حكمون (حكم) عمرون (عمر) .

(٥) وعلى نهجه حمد يس وأحمد وس .

(٦) راجع ما ورد فى هذا الشأن عند منيندث بيدال فى كتابه:
The Spaniards in their history.trans by walter Starkie. London, Hollis & Carter 1950 . Passim.

هذا الاعتزاز كان عنصرا هاما - إلى جانب عناصر أخرى - في إتخاذ عبد الرحمن الثالث لقب الخلافة، في حين أن دولته، لم تكن تتجاوز الأندلس إلى غيرها من الأقطار الإسلامية[١] .

ونلاحظ في رسالة ابن حزم[٢] في تفضيل الأندلس، أنه عندما فاضل بين علماء الأندلس وبين علماء المشرق، أضاف إلى هؤلاء الأخيرين - مبالغةً في التحدي - علماء المغرب أيضا، وجعل الجميع بإزاء علماء وطنه. ونشعر بهذه النبرة العالية لابن حزم في هذا البيت[٣]

ويا جوهر الصين سُحقاً فقد غنيت بياقوته الأندلس

كذلك تأثر المسلمون بما كان سائدا قبلهم في شبه الجزيرة، فأخذوا بنظام المشيخة الرومانية المعروفة باسم الكوريا Curia[٤] وهم جماعة من أعيان الناس يتولون أمر البلد، وتشاهد عدة مشيخات مثل مشيخة الفقهاء المشاورين الذين يعاونون القاضي .

وأخذ المسلمون أيضا بالتقويم اليولياني ، الذي استخدمه ابن حيان،

---

(١) وعلى النحو نفسه سار معاصره أُردون ملك ليون الذي دعا نفسه بابن الإمبراطور (يقصد أباه ألفونش الثالث الكبير) كما ادعى أنه يحكم إسبانيا بأسرها .

In omni Spania regnatoris. Filius Adefonsi magni Imperatoris. O'callaghan : op. cit. P. 378 .

(٢) المقري: نفح الطيب جـ ٢ ص ١٣٣ وما بعدها .

(٣) طوق الحمامة ص٩١

(٤) كانت المدينة Municipium (أو Civitas) في العصر الروماني تضم النواة Urbe وأقليما ريفيا مترامبا Territorium فيه قرى كثيرة وضياع. وكانت ادارة المدينة منوطة بالكوريا وعدد رجالها مائة يدعون Curiales يختارون من بينهم حكامهم Duumvires انظر O'Callaghan : op. cit. p. 30 .

وكانوا يؤرخون أحيانا بأعياد النصارى، ومن أمثلة ذلك ماذكر عن الشاعر الرمادي، فروى أنه توفي يوم العنصرة سنة ٤٠٣هـ(١) وقيل أن زرياب المغني، لما قدم من المشرق جعل أهل الأندلس يلبسون البياض يوم المهرجان(٢٤ يونية)(٢)، كما ورد أيضا أن المنصور بن أبي عامر تزوج أسماء ابنة القائد غالب في ليلة النيروز سنة ٣٦٧هـ(٣) .

ومن أوضح مجالات تأثر المسلمين بأهل البلاد مشاركتهم أعيادهم ومواسمهم الدينية، وكان ذلك أمرا عاديا في الأندلس، وفي غيرها من الأقطار الإسلامية(٤)، وقد نوهت كتب الأدب إلى ذلك، وكانت الأعمال تتعطل في هذه

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، النهضة المصرية ١٩٤٨ م جـ ٦ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ١١٢ .

(٣) ابن بسام: الذخيرة ق٤م١،ص٦٥ .

(٤) جرت العادة في مصر إبان العصر الفاطمي، على أن يفرق الخليفة الحلاوة والمثارد(طعام يتخذ من الخبز واللحم) بين أهل دولته، عند حلول عيد الميلاد، كما كان يفرق الكسوة يوم النيروز. وكان الناس يلعبون بالنار ويوقدون الشموع، ويصنعون التماثيل البديعة التي تسمى الفوانيس في الميلاد، كما كانوا يتراشون بالماء، ويتراجمون بالبيض، ويتصافعون بالأنطاع، وتتعطل الأسواق في النيروز. وكان انتشار المجون في هذه المناسبات دافعا للدولة إلى أن تمنع الاحتفال بها في بعض الأحيان. المقريزي: الخطط جـ ١ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٩، ٤٩٣ ـ ٤٩٤، القلقشندي صبح الاعشى،جـ ٢ ص ٤١٩. وانظر أيضا المسعودي: مروج الذهب،جـ ١ ص ١٦٤ .

ويشير الشابشتي إلى ما كان يجري في بغداد، لدى عيد الفصح، فكان المسلمون والنصارى يقصدون دير سمالو شرقي المدينة، ويقضون الوقت في لهو وطرب. الديارات. تحقيق كوركيس عواد. بغداد،مطبعة المعارف ١٩٥١ ص ٩ وانظر أيضا القزويني: عجائب المخلوقات،ص٧٨ .

الأعياد والمواسم، التي يترقبها الجميع من مسلمين ونصارى، ويحرصون على الإحتفال بها .

من هذه الأعياد عيد العَنْصَرَة (أو المهرجان) وفيه يقول الوزير حسان ابن مالك بن أبي عبدة(١)(ت ٤١٦هـ) .

أرى المهرجان قد استبشرا   غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الأرض أمواهها   وجللت السندس الأخضرا
وهز الرياح صنابيرها   فضوعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس ألطافه   وسام المقل به المكثرا

كذلك كانت الدولة تشارك رعاياها الاحتفال بالمهرجان وغيره من أعياد النصارى، ومن مظاهر هذا الاحتفال إجراء الخيل وإنشاد الشعراء بعض شعرهم. وعندما أنذر الخليفة الناصر الشعراء بحضور خيل الحلبة في المهرجان، شق على أبي بكر بن هذيل(ت٣١٧هـ) أنه قضى يوما كاملا دون أن ينظم بيتا واحدا استعدادا لهذه المناسبة ولما أوى إلى فراشه في المساء رأى في منامه شخصا يقول له(٢) :

مشاهد يلزمنا حضورها   للخيل حتى تنقضي أمورها

كان احتفال المسلمين بهذه المناسبات، لايلقى تأييدا من أتقيائهم وكان هؤلاء يهرعون إلى المساجد، عند حلول أحد أعياد النصارى ويقضون يومهم في الصوم والصلاة(٣) .

كما تصدى عدد من رجال الدين لهذه (البدع)، فأفتى عبدالملك بن حبيب

---

(١) ابن خاقان: مطمح الأنفس،ص٢٧وانظر أيضا:المقري:نفح الطيب جـ٢ص٣١٤.
(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك. جـ ٤ ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣ .
(٣) العزفي: الدر المنظم في مولد النبي المعظم. ورقة ٥ ظهر .

بأن الإعطاء فى أعياد النصارى مكروه(١)، ولم يجز يحى بن يحى اجراء الخيل ورش الماء واغتسال النساء في المهرجان(٢)، واعتبر محمد بن عمر ابن لُبابة، ما يجرى فى هذا اليوم من الأمور التى ينهى عنها الدين، فضلاً عن خروجها على حدود الآداب العامة(٣) .

على أن أكبر من تصدى لهذه الظاهرة هو محمد بن وضاح (ت٢٨٦هـ) الذى صنف كتابا دعاه "البدع والنهى عنها" اعتمد فيما أورده على القرآن الكريم والسنة، وما أثر عن السلف الصالح ومن جملة فتاويه أن هدايا النيروز بدعة، وأن الإمام الذى يقبلها لايصلى وراءه، ولما سأله معاصره أحمد بن زياد القاضى عما أهدى اليه فى هذه الليلة، أجابه بأن يرد هديته، وأثار إعجابه ما فعله صاحب السوق بقرطبة فمنع الناس من أن يزيدوا على ما فى حوانيتهم فى النيروز(٤) .

كذلك كان فريق من شعراءالمسلمين وأدبائهم يترددون على حانات النصارى وأديرتهم، وقد عرف عنهم هذا فى المشرق، وأفاض الشابُشتى(٥) فى كتابه "الديارات" فى الحديث عن هذه الظاهرة التى تجلت أيضا فى

---

(١) الونشريشى: المعيار المعرب‌م ٦ ورقة ١٦٦ ب .

(٢) المصدر نفسه‌م٦ ورقة ٨٤ ب .

(٣) المصدر نفسه‌م ٦ ورقة ٦٧ ب .

(٤) العزفى: المصدر نفسه ورقة ٤ ظهر، ٥ وجه .

(٥) مثل حديثه عن دير القصير، وكان يغشاه خمارويه بن أحمد بن طولون . ص١٨٥ - ١٨٦، ودير مرمار بسر من رأى، وكان يغشاه الخليفة المعتز . ص ١٠٥ وانظر أيضا: ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار،تحقيق أحمد زكى باشا، دار الكتب المصرية١٩٢٤ جـ١ ص٢٥٤، القزوينى آثار البلاد،نشر فستنفلد جوتنجن ١٨٤٨م ص٢٤٨ .

الأندلس. ونلحظ فى سلوك الوزير أبى عامر بن شهيد مثالا، نستدل منه على وجودها، فقد بات ذات ليلة فى أحدى كنائس قرطبة، وشهد قداسا(١)، عبر عنه فى رسالته "التوابع والزوابع" فى قوله(٢) :

ولرب حـــان قـــد أدرت بـــديره	خمر الصبا مزجت بصفو خمـــوره
والقس مما شـــــاء طول مقامنا	يدعو بـــعود حـــولنا يزبوره(٣)
وترنم الناقوس عنـــد صـــلاتهم	ففتحت من عيني لـــرجع هـــديره
يتنـــــاول الظرفاء فيه وشربهم	لسلافه(٤) والأكـــل من خنزيـــره

٢ - التأثيرات الثقافية :

من مظاهر تأثر المسلمين بأهل البلاد، المام بعضهم باللغة اللاتينية، الأمر الذى حمل بعض المؤرخين المحدثين على اعتبار هذه اللغة، هى اللغة العامة المشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسى(٥) .

---

(١) ابن خاقان: مطمح الأنفس ص ١٨ .

(٢) ابن بسام: الذخيرة ق١م١ ص ٢٦٠، وانظر أيضا: الديوان: تحقيق يعقوب زكى، القاهرة، دار الكاتب العربى د.ت.ص١١٥ - ١١٦ .

(٣) أى مزامير داود عليه السلام .

(٤) "سلاف الخمر وسلافتها أول ما يعصر منها" ابن منظور: لسان العرب جـ ٣ ص ٢٠٦٩ .

(٥) يعتمد هؤلاء على عبارة وردت فى جمهرة ابن حزم(ص٤٤٣) يخرجون منها بأن القاعدة العامة، هى أن يتحدث العرب فى الأندلس باللطينية "وداربلى(قبيلة من قضاعة اليمن) بالأندلس الموضع المعروف باسمهم بشمالى قرطبة، وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم، لايحسنون الكلام باللطينية، لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم ..." انظر تحليلا لهذا النص فى كتابنا "أندلسيات".القاهرة، مدبولى، ١٩٨٦ ص ١٣ - ٢٨ .

دخلت الألفاظ اللاتينية أدب العرب وشعرهم بالأندلس. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، منها أن عبد الرحمن الناصر، جلس يوما ومعه الوزير عبد الملك بن جهور والشاعر أبو القاسم لُب، وأراد أن يسرى عن نفسه فطلب من كل منهما أن يهجو صاحبه، لكنهما امتنعا، فابتدأ الناصر يهجو الشاعر فقال :

لب أبو القاسم ذو لحيـــــة   طويلـــة في طـــولها ميل

فتشجع الوزير واستطرد :

وعرضـها ميلان ان كُمّـــرت(١)   والعقـــل مأفون ومدخـــول(٢)

لـــو إنه احتاج إلى غسلهـــا   لم يكـــفه في غسلها النيـــل

فضحك الناصر وقال للب: أنه سبب لك القول فقل!

فقال لب:

قال أمين اللـه في خلقـــه   لي لحية أزرى بها الطـــول

وابن جهير قال قول الذى   مأكوله القرضيل والفـــول

لولا حيائى من أمير الهدى   لنخست بالمنخس شو

ثم سكت، ولم يكمل البيت الأخير، فقال الناصر: قُلْ

فقال الشاعر: أنت هجوته يا مولاى

فضحك الناصر، وأمر له بصلة(٣).

وتفسير شوقول su culo بعجمية أهل الأندلس "ردفه" ويصير معنى

---

(١) أي ربعت .

(٢) أي مجنون .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٢٧، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٤٦، ٣٤٧ .

البيت الأخير: لولا حياتي من الأمير، لنخست بالمنخس ردفه(١) .

وقد أشار الشاعر أحمد بن دراج القسطلي في مدحه المنصور بن أبي عامر إلى حصن لونة فيقول(٢) .

ولا مثل يوم نحو لـــــونة سرته   وقد قنّعت شمـــس النهــار غياهبه

إلى أن يقول :

فياليت قوطا حين شاد بناءه   رآه وقد خرت إليك جـــوانبـه

وياليت إذ سماه بدرا معظما   رآه وفي كسف العجاج مغاربه

و"لونه" Luna تعني باللاتينية بدراً أو قمراً(٣) .

كما شاع في أشعار الأندلسيين التغزل بالمرأة الشقراء البيضاء(٤) وكثيرا ما كانوا يرمزون اليها بالصبح والنور والشمس .

يقول ابن زيدون(٥)(ت ٤٦٣هـ)

الشمس أنت تـــــوارت   عـــن نـــاظري بالحجـــاب

مـا النور شـــف سنـــاه   على رقيـــق السحــــاب

إلا كـــــوجهـــك لمـــا   أضــــاء تحت النقـــاب

ويقول أيضا : (٦)

---

(١) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي ص ٢١٧ - ٢١٨ .

وأنظر أيضا : Simonet: Glosario. p. XXI nota no2 .

(٢) ديوان ابن دراج تحقيق محمود مكي. دمشق ، المكتب الإسلامي ١٩٦١م ص ٢٥ - ٢٤ .

(٣) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي ص ٣٢٤ .

(٤) جودت الركابي: في الأدب الأندلسي. القاهرة دار المعارف، ص ١٢٢ .

(٥) المقري: نفح الطيب جـ ٢ ص ١٨٥ .

(٦) ديوان ابن زيدون تحقيق كامل كيلاني. القاهرة الحلبي ١٩٣٢م ص ٢٦١.

رأيت الشمس تطلــع من نقـــاب   وغصــن البـــان يرفل في وشاح

وتسربت تأثيرات مسيحية في الأدب الأندلسي، نستطيع أن نتلمسها في كاتب كبير مثل ابن حزم. ويرى دوزي(١) في "طوق الحمامة" أصولا غير عربية، يتضح بعضها من وصفه الرقيق لقرطبة، بعد أن أقدم البربر على نهبها سنة ٤٠٣هـ .

وفي شعر الوزير الكاتب أبي حفص عمر بن الشهيد ونثره كثير من الرموز المسيحية، فضلا عن اقتباساته من موضوعات مسيحية، فيقول في مقامته على لسان رجل مضياف يخاطب ضيوفه(٢):

لــو ان دمي خمـــر لرويتــه بــه   ولو صلحت كبدي شويت لـه كبدي

كما يشير إلى سر الاعتراف وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة وشريعة الحب في قوله(٣) :

ولابـــد من قصي على القس قصتي   عساه مغيث الثائف(٤) المتقــوث

فلـــم يأتهم عيسى بدين قســـاوة   فيقسو على مضن ويلهو بمكرث(٥)

ومما يجدر ذكره أن ما شاهده المسلمون من آثار الفن القديم، وصور مثل تماثيل العذراء مريم وولدها عليه السلام، ترك أثره في أشعارهم، فيصف أحد الشعراء تمثالا منها، كان قائما في حمام بإشبيلية(٦) :

---

(1) Op. cit .p. 580 .

(٢) ابن بسام: الذخيرة ق ١ م٢ ص ٦٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ق ١ م٢ ص٧٠٦ .

(٤) رجل مدنف براه المرض حتى أشفى على الموت. ابن منظور: لسان العرب جـ ٢ ص ١٤٣٢ .

(٥) أي أصابته كوارث .

(٦) المقري: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

ودمية مرمر تزهو بجيد تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن تتيمنا بألحاظ مراض

على أن المؤثرات الأيبيرية تتضح بشكل أقوى فى الموشحات ويذهب ريبيرا إلى الأصل الإسبانى لها، وأن مخترعها(١) اعتمد على بعض الأغنيات الرومانثية القديمة، لأن أغلب البيوت كانت تضم نساء من جليقية، كن يعرفن هذه الأغنيات ويترنمن بها(٢). كما أن الأراجيز التاريخية التى ظهرت فى عصر الإمارة، مثل أرجوزة تمام بن علقمة، ترتبط بأدب قصصى ملحمى سابق عليها، وهو أدب لم يعرفه العرب قبل دخولهم الأندلس(٣) .

ومما يجدر ذكره أن المسلمين اطلعوا على الكتب التى قام المستعربون بترجمتها من اللاتينية إلى العربية، ومن بينهم ابن حزم الذى أفاد منها فائدة

---

(١) يرجح أنه مقدم بن معافى، وهو شاعر ضرير من أهل قبرة، نسبه فى المولدين – أى إسبانى الأصل - عاش فى أواخر القرن الثالث، ويذهب البعض إلى أنه أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد. راجع: ابن بسام الذخيرة ق١ م١ ص٤٦٩، الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ص٣٣٤، السيوطى: بغية الوعاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، الحلبى، ١٩٦٤ جـ ٢ ص ١٣٨ تر ١٦٤٢ .

(٢) أحمد هيكل: الأدب الأندلسى ص ١٤٨، ويتضح هذا التأثير أيضا فى طريقة نظم الموشحة واستخدام الخرجة وهى القفل الأخير منها وغالبا ما تكون أعجمية، إجتزأها الوشاح من أغنية قديمة، وجعل موشحته على وزنها. انظر: عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس، القاهرة، معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧م ص٢ - ٦ .

(٣) غرسية غومس: الشعر الأندلسى ترجمة حسين مؤنس القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٦ ص ٣٤، كراتشكوفسكى: الشعر العربى فى الأندلس،ترجمة محمد منير مرسى، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧١ ص ٧٢ .

جمة فى كتابه "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" وخاصة فى عرضه لعقائد النصارى الأندلسيين .

ومن أهم الكتب التى نقلها نصارى الأندلس إلى العربية كتاب"التاريخ" لباولوس أروسيوس[١] الذى عرف عند المسلمين بهروشيش، وصار مرجعا أساسيا للمؤرخين الأندلسيين، ابتداء بأحمد بن محمد الرازى (ت٣٤٤هـ) وانتهاءً بابن خلدون (ت٨٠٨هـ)[٢] .

ويرجح أيضا أن ابن حيان كان ينقل مادته الخاصة بتاريخ إسبانيا النصرانية عن الحوليات التى أنشأها معاصروه من المستعربين، أو أنه كان ينقل عن هؤلاء رواية (٣) .

٣ - التأثيرات الدينية :

كان للإسلام والمسلمين تأثير واضح على نصارى الأندلس المعاهدين، فقد أسلم كثير منهم. ويرجع بعض المؤرخين الفرنج انتشار الإسلام فى الأندلس إلى أسباب مادية، فيذهب سيمونيت[٤] إلى أن النبلاء أسلموا من أجل الحفاظ على أملاكهم، أو هربا من الجزية التى ترمز إلى المهانة، أما عامة الشعب من فقراء ورقيق، فأسلموا من أجل تحسين أحوالهم التى كانت مترديه،

---

(١) توافرت لدينا ماثنا نسخة من الأصل اللاتينى لتاريخ أروسيوس، وتوجد نسخة واحدة فقط من الترجمة الأندلسية له مخطوطة بمكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك برقم x, 893 . 712.h. وقام الأستاذ عبد الرحمن بدوى بتحقيق هذه المخطوطة ونشرها مع مقدمة ودراسة شارحة ومقابلة مع النقول عنها فى كتب التاريخ الأسلامى وبخاصة ابن خلدون، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٢م .

(٢) أحمد مختار العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس،ص ٣٥٩ .

(٣) المرجع السابق،ص٣٦،محمود مكى: المقتبس،س٢،ص ١٠٣-١٠٤من المقدمة.

(4) op.cit. p. 238 .

كما أن عددا من النصارى أسلم، لاعتقاده أن انتصار المسلمين، معناه صحة عقيدتهم ووهن عقيدة من سواهم .

ليس هناك ما يدل على صحة هذه الأسباب التى أوردها سيمونيت فقد انفض عن عمر بن حفصون الكثرة الغالبة من صحبه المولدين، عندما جاهر بنصرانيته وعوده إلى دين آبائه، كما حفل تاريخ الأندلس بطائفة كبيرة من المسلمين الذين ينتمون إلى أصول إسبانية، وكان عطاؤهم الوافر فى الثقافة الإسلامية يوازى عطاء غيرهم من المسلمين ، ويضاهيه فى أحيان كثيرة، بل إن ابن حيان[١] يرد ابن حزم إلى أصول إسبانية، وينفى تحدره من أرومة فارسية.

كذلك نلاحظ أنه لم تكن ثمة ضرورة مادية ملحة، لأن يفارق أحد من النصارى دين آبائه، لأن المسلمين أبقوهم على أحوالهم التى كانوا عليها، بل إن هذه الأحوال تحسنت إلى حد كبير. فقد سمح لهم المسلمون بأن ينظموا أنفسهم، وفق ما تقضى به شرائعهم، بل سمحوا لهم أحيانا بقدر من الاستقلال فى مناطق الثغور، وأجازوا لهم تملك الأرض، وشغل عدد منهم مناصب كبيرة فى الدولة، ولم يتعسفوا معهم فى جباية الأموال، ولم يفرضوا عليهم قيودا معينة فى لباسهم، ولم نسمع عن كنيسة تهدمت أو حولت إلى مسجد إلا فى أحوال نادرة.

وليس من شك فى أن العامل الدينى هو العامل الأساسى فى إسلام النصارى، يضاف إلى ذلك عوامل أخرى، من بينها المناخ العام الطيب الذى صحب مقدم المسلمين ، فقد عرف غالب حكامهم حتى نهاية عصر الخلافة

---

(١) يقول ابن حيان "فقد عهده الناس خامل الأبوة مولد الأرومة من عجم لبلة (Niebla) جده الأدنى حديث عهد بالإسلام لم يتقدم لسلفه نباهة" ابن بسام: الذخيرة ق١ م١ ص١٧٠ .

بالعدل والتسامح والسعي فى خير الرعية، ثم إن جمهور الوافدين من المسلمين، عقدوا مع النصارى علاقات تتسم بالمودة، ودخلوا معهم فى صداقات ومصاهرات وخالطوهم وشاركوهم أعيادهم ومناسباتهم الاجتماعية، وكانوا يقصدون كنائسهم ودياراتهم، بل إن كثيرا من المسلمين كان يحسن اللاتينية .

صاحب ذلك عنصر آخر هو التعريب الذى كان ظاهرة عامة تصاحب الإسلام وتسبقه فى بعض الأحيان، فقد انتشرت اللغة العربية وتداخلت فى حياة الناس، حتى أصبحت جزءا من نسيجها. وكان النصارى يمارسون بها شعائر دينهم، بل إن بعضهم الذى صار خارج السيادة الإسلامية فى عصر ملوك الطوائف ظل يتحدث بها .

وقد سعى المسلمون من جانبهم إلى نشر الإسلام، وكان للتابعين دور واضح فى هذا الشأن، بعد استمراراً لدورهم فى إفريقية. ويذكر ابن حبيب(١) أنه قدم إلى الأندلس من التابعين سوى من لايعرف نحو من عشرين رجلا، ويذهب ابن بشكوال(٢) إلى القول بأنهم ثمانية وعشرون .

كما يسر فقهاء الأندلس مهمة التعريف بالإسلام لمن لايحسن العربية، فأجاز ابن حزم(٣) تفسير القرآن بالأعجمية، وإن منع من تلاوته بها، وأجاز غيره ترجمة الفتوى إلى الأعجمية(٤) ، ولا يفرق

---

(١) محمود مكى: مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى.مجلة معهد الدراسات الإسلامية. مدريد م٥ ع١ - ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) المقرى: نفح الطيب.جـ ١ ص ١٣٥ .

(٣) الإحكام.جـ ٢ ص ٨٨ .

(٤) ابن فرحون: تبصرة الحكام.جـ١ ص ٢٣٥ ..

الشاطبي (١) بين من يفهم الشرع باللسان الأعجمي وبين من يفهمه باللسان العربي .

وكان وضع الذين دخلوا الإسلام في الأندلس، أفضل من غيرهم في أقطار أخرى، ولم يعرف أن العرب فرضوا الجزية على من أسلم في الأندلس، في حين أنهم حاولوا فرضها أحيانا في إفريقية والمشرق. وكان السبب المباشر لثورة البربر الكبرى في أواخر عهد هشام بن عبد الملك هو سعي عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة إلى تخميس البربر(٢) .

وكان النصراني لدى إسلامه ينتقل وضعه إلى وضع المسلم، فحين عزل أسلم بن عبد العزيز عن القضاء في سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢٢، كان من جملة من رشح إلى هذا المنصب رجل كان أبواه نصرانيين(٣)، ويستدل

---

(١) الموافقات،تحرير الوركتلي. تونس، مطبعةالدولةالتونسية ١٣٠٢هـ جـ٤ص ٨١.

(٢) اجتمعت لدى البربر في عهد ولاية عبيد الله بن الحبحاب افريقية والمغرب ١١٦هـ - ١٢٣هـ عدة أسباب تدفعهم إلى الثورة، فقد تعصب للعرب والقيسية منهم، وعسف بمن سواهم، واعتبر البربر - رغما عن إسلامهم - فيئا للمسلمين مما يسر للخوارج مهمتهم في نشر أفكارهم المناهضة للدولة، وبخاصة في الأنحاء القاصية من البلاد. وتفجرت الثورة بزعامة ميسرة السقاء في سنة ١٢٢هـ/٧٣٩ م بعد أن مضى عمر بن عبد الله المرادي في تخميس البربر، ودامت هذه الثورة ثلاث سنوات وانتهت في سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م. كما إنها امتدت أيضا إلى الأندلس وكان لها أثرها البالغ في اضطراب أمور البلاد في أواخر عصر الولاة.

انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب،ص ١٠٩، ابن الأثير: الكامل،جـ ٥ ص ٧٥، ابن عذاري: البيان المغرب جـ ١ ص ٥١ - ٥٦ .

(٣) الخشني: قضاة قرطبة،ص ١٠٩ .

دوزى(١) من ذلك على تسامح الناصر .

ومع أن النصرانية كانت الديانة السائدة فى الأندلس قبيل مقدم المسلمين، إلا أنه كانت توجد معاقل للوثنية، أشير إليها فى قرارات المجامع بطليطلة، من عبادة للينابيع والأحجار والأشجار، بل وجد أيضا من يعبد الشيطان، ورغما عما ورد فى هذه القرارات من عقوبات تتراوح بين المصادرة والجلد والاسترقاق، فإنه لم يتغير من الأمر شئ(٢)، بل أن البشكنس — فيما يرجح — ظلوا وثنيين حتى أوائل القرن التاسع الميلادى(٣) .

كان لموقف الكنيسة من الشعب الإسبانى، واتحادها مع الدولة وانفرادها بالإمتيازات، أثره في نفور الشعب منها، ومما زاد فى هذا النفور الخلافات العقائدية بين الكهنة، كما أن الأريوسية لم تكن قد اختفت بعد من البلاد، وكان لما ذهبت إليه من بشرية المسيح عليه السلام، أثره فى تقريب مسافة الخلف بين النصارى وبين المسلمين .

ولاشك أنه كان من العوامل التى أعانت على انتشار الإسلام عتق الرقيق، فكان العبد النصرانى لسيد نصرانى يعتق على الفور عند إسلامه بل إن العبد النصرانى لسيد مسلم، كان لايدفع الجزية عند عتقه ويقول دوزى(٤) إن العبيد لم يكونوا يعرفون الكثير عن المسيحية، وكانت غوامض الإسلام عندهم ، مثل غوامض المسيحية، ولكن الذى كانوا يدركونه جيدا هو كراهتهم للقساوسة .

(1) op.cit. p. 391.
(2) King: op. cit. pp. 145 - 147،Dozy. op. cit. p. 237.
(3) O'Callaghan: op. cit. p. 107.
(4) op. cit. p. 237.

كما إن قتل عدد من النبلاء ابان الفتح، وهرب عدد آخر أزال عقبة كبيره امام انتشار الإسلام، بل إن بعضهم أسلم وحسن إسلامه، ولعب دورا هاما في الدفاع عن المسلمين في مناطق الثغور.

لم تمدنا المصادر بمعلومات وافية عن بدء انتشار الإسلام، على أنه من الثابت بأن عدد من دخل في الإسلام من النصارى كان قليلا في البداية، ولا نلحظ لهم دورا واضحا في حروب العصبيات التي دبت بين العرب والبربر، ثم بين القيسية (والشامية) وبين اليمنية (والبلدية).

ويروى الخشني(١) عن عقبة بن الحجاج السلولي والي الأندلس أنه "كان صاحب جهاد ورباط، وذا نجدة وبأس ورغبة في نكاية المشركين، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حينا، ويرغبه فيه ويبصره بفضله، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه فيذكر أنه أسلم على يديه بتلك الفعل ألفا رجل".

ومن أوائل من اعتنق الإسلام في هذه الفترة قسّي Casius قومس الثغر، وهو من النبلاء، فعبر البحر إلى المشرق غداة الفتح، وأسلم على يدي الوليد ابن عبد الملك بدمشق، وأضحى من مواليه. ويذهب ابن حزم (٢) إلى أن عصبية بني قسي فيما بعد للمضرية، مصدرها هذا الولاء الأموي.

أما العبيد، فيحدثنا دوزي(٣) عن خالد بن زيد كاتب يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس، أن أباه كان من الأرقاء النصارى، ثم أسلم وتسمى زيدا وأعتقه مولاه، وولد خالدا الذي برع في العربية، واتخذه يوسف كاتبا له، وكان ذا تأثير قوي عليه، أثار حسد العرب أنفسهم، وأنفذه رسولا إلى عبد الرحمن

---

(١) قضاة قرطبة ص ٩، وانظر أيضا ابن عذاري: البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٩.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٢.

(3) op. cit pp. 182 - 183.

الداخل في بداية الصراع معه، وصار فيما بعد كاتبا له(١).

ويذهب ساقدرا(٢) في حديثه عن يليان صاحب سبتة الذى أعان العرب في فتحهم للبلاد، أن ولده ويدعى بلكايش أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه، ويؤيد هذا القول المصادر العربية التي تحكي عن أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش بن أليان القوطي، من أهل قرطبة، وكان فقيها يميل إلى الحجة، ولا يرى التقليد، وتوفي سنة ٣٢٦هـ (٣) .

ويذكر الخشنى (٤) ضمن قضاة قرطبة قاضيا يدعى مهدى بن مسلم من مسالمة أهل الذمة، استقضاه عقبة بن الحجاج السلولى والى الأندلس فكان أول قضاة الجند بها. ويقول الخشنى أن مهديا هذا اشتهر بالعلم والدين والورع، وجعله عقبة يكتب عهده له بنفسه، وكان لهذا العهد من الأهمية، بحيث انتحله بعض بنى الاغلب فيما بعد .

ولما قامت الامارة الاموية فى سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، واستقرت الأحوال فى البلاد، ازدادت اعداد المسلمين، وكثر انشاء المساجد وإذا كان المسلمون عقب الفتح، قد شاطروا نصارى قرطبة كنيستهم الجامعة فإن عبد الرحمن الداخل باع منهم نصيبهم فيها، وأنشأ الجامع الكبير الذى اكتملت عمارته في عهد المنصور بن أبي عامر(٥) .

---

(١) أخبار مجموعة.ص ٧٩ – ٨٠ .

(2) op. cit. p. 48 .

(٣) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس.جـ ١ ص ٨٦ – ٨٧ تر ٢٧٠.

(٤) قضاة قرطبة .ص ١٢ وما بعدها .

(٥) راجع بخصوص هذا المسجد ومراحل بنائه التي استغرقت أكثر من قرنين السيد عبد العزيز سالم. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس.ص ٣٧٧ ـ ٣٩٧ .

كذلك بنى أمراء بنى أمية فى مدائن الأندلس عددا من المساجد من أشهرها مسجد اشبيلية الذى أقامه عمر بن عدَبَّس قاضى المدينة بأمر من عبد الرحمن الأوسط، ويحدد نقش وصل الينا تاريخ إنشائه بسنة ٢١٤هـ/٨٢٩(١) ، ولما أنشأ الامير محمد مدينة مجريط حوالى سنة ٢٥٢هـ، أقام بها مسجدا جامعا(٢) ، كما جدد جامع استجه وجامع شذونة(٣) .

كذلك قام عدد من الأتقياء ببناء المساجد، فبنى حنش بن عبد الله الصنعانى(ت١٠٠هـ) وهو من التابعين مسجد إلبيرة، وقد وسعه الأمير محمد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م (٤). كما أنشأ حنش مسجدا آخر فى سرقسطة ، عرف بالمسجد الأبيض دفن فيه(٥)، وفى سنة ٢٤٢-٨٥٦م أمر موسى بن موسى القسوى بالزيادة فيه، مع الاحتفاظ بمحرابه على كان عليه(٦) .

وفى عهد الفتنة الكبرى،عندما نزع عدد من ثوار الأندلس إلى الإستقلال، انصرفوا إلى بناء مساجد، فبعد أن جدد إسماعيل بن موسى القسوى مدينة لاردة(٧)، بنى فيها مسجدا جامعا سنة ٢٨٨هـ (٨)، وعندما بنى عبد الرحمن

(1) Lévi – Provençal : Inscriptions. p. 198.

(٢) الحميرى: الروض المعطار.ص١٨٠، وانظر أيضا: جوميث مورينو: الفن الإسلامى. ص ٢٦١ .

(٣) ابن حيان: المقتبس.ص٢ ص٢٢٤ .

(٤) الحميرى: الروض المعطار.ص ٢٠٩، ابن الخطيب: الإحاطة جـ١ ص ٩٢ .

(٥) الحميرى: الروض المعطار.ص ٩٧ .

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب.جـ ٢ ص٩٥-٩٦، وانظر أيضا: جوميث مورينو: الفن الإسلامى.ص١٦ .

(٧) "لاردة بالراء مكسورة والدال المهملة، مدينة مشهورة بالأندلس شرقى قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طركونة منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون". ياقوت معجم البلدان.جـ ٧ ص ٣١٣ .

(٨) الحميرى: الروض المعطار.ص ١٦٨.

ابن مروان الجليقي في سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥ م مدينة بطليوس جعل فيها مسجدا جامعا(١) .

وقد أسلم في عصر الأمارة عدد كبير من النصارى، نخص بالذكر منهم أبا الفتوح نصر الخصي، الذي لمع نجمه في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان أبوه من أهل ذمة قرمونة، وكان لنصر ـ الذي يعرف أحيانا بنصر الصقلبي(٢) ـ منزلة كبيرة عند أميره، ويصفه ابن حيان(٣) بأنه "خليفة الأمير عبد الرحمن بن الحكم المقدم على جميع خاصته المدبر لأمر داره، المشارك لأكابر وزرائه في تصريف ملكه" وكان له دور هام في أحداث الشهداء النصارى بقرطبة(٤)، كما قاد جيوش الدولة في حربها ضد المجوس(النورمان)(٥) .

---

(١) المصدر نفسه.ص ٤٦، ابن حيان: المقتبس س ٢ ص ٣٤٥ .

(٢) ابن حزم: نقط العروس.تحقيق شوقي ضيف. مجلة كلية الآداب م ١٣ جـ ٢ ١٩٥١ م ص ٧٢ ، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس.جـ ٢ ص ١٥٧ تر ١٤٩٣ .

(٣) المقتبس.س٢ ص٨ .

(٤) في كتابه "ذكريات مقدسة" يصف ايولوخيو نصرا بأنه سيطر على إسبانيا كلها Nazar, Clavicolario, proconsule, qui eo tempore totius rei publicae in Hispanis administrationem gerebat. Simonet: op. cit.p. 387 . nota n'l.

(٥) أو الفايكنج Wikingos ، وهم من شعوب الشمال الوثنية، وقداجتاحوا غرب أوروبافي القرنين الثامن والتاسع الميلاديين وتطرقوا إلى إسبانيا عدة مرات في عهد عبد الرحمن الأوسط والأمير محمدوعهدالحكم المستنصر ، ودعاهم المسلمون بالمجوس وأحيانا بالأردمانيين .

ويمدح الشاعر عثمان بن المثنى بلاء نصر في حربه ضدهم فيقول:

يقولون إن الأردمانيين أقبلوا   فقلت إذا جاءوا بعثنا لهم نصرا

ابن سعيد:المغرب.جـ١ ص ٤٩ تر ٢ ، ابن عذارى:البيان المغرب.جـ٢ ص ٨٨،٨٧.

على أن نصرا شارك فى مؤامرات البلاط فى أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط، واتخذ جانب طروب فى سعيها لجعل ولدها عبد الله بدلا من أخيه محمد ولى عهد أبيه، وبعث فى طلب الحرانى الطبيب، وأعطاه ألف دينار على أن يجهز له سما يقدمه للأمير على أنه دواء، وكان قد اعتل فى آخر أيامه علة طويلة، وعلم الأمير بما يدبره له نصر، وأجبره على أن يتجرع السم، فكان ذلك سبب موته فى سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م(١) .

وفى عهد الأمير محمد كان قومس بن أنتنيان بن يليانة مستخرجا لخراج الذمة، ثم عاون عبيد الله بن أمية بن يزيد فى الكتابة للأمير، فلما أقعدت عبيد الله هذا علة عن الركوب أعواما، قام قومس بعمله إلى أن مات، فقال الأمير: لو أن قومسا كان مسلما ما استبدلناه فأسلم قومس وولى الكتابه، وعلا شأنه، مما أثار حفيظة الوزير هاشم بن عبد العزيز، وجعل يدس عليه(٢) .

وعند وفاة قومس أشاع هاشم بن عبد العزيز انه مات على النصرانية وسعى لدى الأمير كى يضم تركته إلى بيت المال، ولكن القاضى سليمان بن أسود تصدى له، وأكد حقيقة إسلام قومس، وعلى ذلك قسمت التركة بين ورثته(٣) .

ولقومس هذا ولد يدعى عمر ولى الكتابة كوالده وتوفى سنة ٢٩٨هـ/٩١١م(٤)

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩٦ - ٩٧ ، ابن حيان : المقتبس س٢ ص ٨ – ١٥ .

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٩٥ - ٩٦ .

(٣) الخشنى: قضاة قرطبة ص ٧٦ – ٧٧ .

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ١٤٨ .

وابن أخ يدعى أحمد بن عبد الله بن أنتيان ، روى عن ابن وضاح وغيره[١] .

وفي أواخر عصر الامارة كان اسحق الطبيب النصراني ذا نفوذ عند الأمير عبد الله والأمير عبد الرحمن الثالث، وأسلم ولده يحى الذى ورث صناعة الطب عن أبيه وألف فيه، وبلغت منزلته عند الناصر أنه كان يعالج كرائمه وحرمه، وصار وزيرا وولى الولايات والعمالات وعهد إليه بالقياده في بطليوس[٢]، وكان له دور واضح فى المفاوضات بين الناصر وبين عمر بن حفصون فى سنة ٣٠٣هـ وتزوجت إبنته محمد بن عبد الله بن ابى عامر، فأنجبت منه عبد الله أبا الحاجب المنصور[٣] .

وتذكر المراجع النصرانية من جملة من أسلم فى هذه المرحلة صمويل أسقف إلبيرة[٤] .

وقد برع عدد ممن أسلم من النصارى فى علوم المسلمين، ومنهم عبد الله ابن عمر بن الخطاب بن أنجلين ، ويقول عنه ابن الفرضى[٥]: "كان من مسالمة الذمة، فملأ أشبيلية علما وبلاغة ولسانا ، حتى شرفت به العرب"، على أنه قتل فى سنة ٢٧٦هـ فى غمار الصراع بين المولدين والعرب للسيطرة على هذه المدينة .

---

(١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس،جـ ١ ص ٣٠ تر ٩٢ ، ابن الأبار: التكملة(طبعة الفرد بل وبن شنب) الجزائر ، المطبعة الشرقية ١٩١٩م ق١ ص١٤ تر١٣.

(٢) ابن جلجل:طبقات الأطباء والحكماء،ص ١٠٠ – ١٠١ ، القفطى: تاريخ الحكماء لايبتسج ١٩٠٣م ص ٣٥٩ .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب،جـ ٢ ص٢٥٧ .

(4) Dozy: op. cit pp. 325 - 326 .

(٥) تاريخ علماء الأندلس،جـ ١ ص ٢١٦ تر ٦٤٩ .

هكذا تزايدت أعداد المسلمين ، وبخاصة على عهد عبد الرحمن الأوسط وولده الأمير محمد. ويعزو ليفي بروفنسال(١) هذه الظاهرة إلى تعسف الأمراء الأمويين مع النصارى ، ومن المرجح أنه يقصد فتنة الشهداء بقرطبة، وما يذهب إليه غير صحيح، فالمسلمون لم يتعسفوا مع النصارى، ويضطهدوهم اضطهاد يدفعهم إلى الإسلام .

لم تكن فتنة الشهداء سببا فى إقبال النصارى على الإسلام، وإنما كانت نتيجة له، لأن المحرضين عليها، ساءهم انتشار الإسلام بين النصارى فعمدوا إلى افتعال الفتنة، ليحولوا دون هذا الانتشار .

على أن الفتنة الكبرى التى عمت أقطار الأندلس فيأخريات القرن الثالث، كان لها أثرها الواضح فى انتشار الإسلام، لأن هذه الفتنة التى اشتعلت لأسباب اجتماعية، لم تلبث أن تحولت على يدى عمر بن حفصون إلى فتنة ذات طابع دينى، وانصرف عدد من أتباعه إلى التعصب ضد المسلمين، فأدى ذلك إلى ظهور تعصب مضاد، كان له أثره فى تحول عدد كبير من النصارى إلى الإسلام.

وعلى هذا أضحت بلاد الأندلس فى القرن الرابع الهجرى(العاشر الميلادى) دولة إسلامية بها أقلية نصرانية .

---

(1) Histoir de l'Espagne Musulmane. vol. p. 75 .

الباب الرابع

نصارى الأندلس ودورهم فى الحركات المناهضة للدولة

تمهيـــــــــد :

الفصل الثامن : حركة شهداء قرطبة النصارى .

الفصل التاسع : النصارى والفتنة الكبرى .

الفصل العاشر : نصارى الأندلس والصراع بين المسلمين وبين ممالك إسبانيا النصرانية .

تمهيـــــد

كان للنظـام الإجتمـاعي الـذي أوجـده المسلمون فـي الأندلس أثره في تحسين حـال الجماعـة النصرانيـة، علـى نحـو أفضـل ممـا كـانت عليـه حـال الجماعة الإسلامية في ممالك الشمال، بل إن النصارى فـي الأندلس، تمتعوا بحقوق لم يظفروا بها فـي بعض الأقطـار الإسـلامية ويعترف الكثيرون من كتاب الفرنج ومؤرخيهم بهذه الحقيقة .

ولا يدنى من ذلك، ما أوردته المصادر النصرانية عن ثورة قام بها عدد من النصارى المعاهدين في فترتعود إلى سنة ٧١٦م، أي عقب الفتح مباشرة.

تقول الراوية النصرانية أن أكويـلا (أو أكيـلا) Aquila ولـد الملـك غيطشـة، وهـو وقلـة (أو رمُلُـه) عنـد العـرب، كـان يعيـش فـي طَرَكُونَة[1] Tarragona ثم داعبه الأمل فـي استعادة ملك القوط فثار بهذه المدينة، وحاصره المسلمون عدة سنوات، إلى أن استسلم على يدي عنبسة بن سحيم الكلبي، وانتقل إلى طليطلة حيث استعرب ولـده، وأضـحى حفيده البعيد حفص بن البر قاضيا للنصارى[2] .

لايعد ما قام به أكويلا ثورة، إنما هو طمـوح فردي لمغامر من البيت القوطي ، استغل نأي طركونه عن الحضرة، وحاول أن يستعيد ملـك آبائـه ، ولاتشير المصادر النصرانية إلى سبب مباشر لهذه الثورة. وإذا كان أكويلا قد

---

(١) "بالأندلس بينها وبين لاردة خمسون ميلا وطركونة مدينة أزلية ... وهـي مبنية على ساحل البحر الشامي" الحميري" الروض المعطار،ص ١٢٥ _ ١٢٦، وانظر أيضا ياقوت: معجم البلدان،جـ ٦ص٤٤

(2) Simonet: op. cit. pp. 170 - 171 .

استعان ببعض النصارى، فإن هؤلاء استجابوا له، لأنهم لم يكونوا قد تبينوا بعد الفارق بين حكم القوط وحكم العرب .

على أن المصادر العربية تشير إلى ثورة أخرى، وتنسبها إلى عُرْوَة بن الوليد في عهد يوسف الفهرى (١٢٩هـ/٧٤٧م ـ ١٣٨هـ/ ٧٥٦م) آخر ولاة الأندلس .

يقول ابن حيان[١] "ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم، فملك اشبيلية، وكثر جمعه، إلى أن خرج له يوسف فقتله".

لم تسهب المصادر في الحديث عن هذه الثورة، ويتضح من رواية ابن الأثير[٢] في أحداث سنة ١٢٩هـ، أن عروة ليس من أهل الذمة، وإنما هو عربي استعان في ثورته بهم وبغيرهم(أي بالمسلمين) .

---

(١) المقرى: نفح الطيب جـ٢ص٦٢، وانظر أيضا ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢ ص٣٨ .

(٢) الكامل جـ ٥ ص ١٥٢ وانظر أيضا Dozy: op. cit. p 235.

الفصل الثامن

حركة شهداء قرطبة النصارى

في أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط، وأوائل عهد ولده محمد، جرت في مدينة قرطبة حادثة، تعرف عند الكتاب الفرنج "بحركة الشهداء" وقد أفرد لها سيمونيت(١) قسما كبيرا من كتابه، أما المصادر العربية التي وصلت إلينا فقد خلت تماما منها .

يقول ليفي بروفنسال(٢) إنه من العبث البحث في المصادر العربية عن أية اشارة إلى هذه الحادثة، وهذا صحيح، فابن حيان الذي يحرص على سرد أحداث الحياة اليومية، لايذكر شيئا عن(الشهداء)، شأنه في ذلك شأن الرازي، وهو متقدم عنه(ت٣٤٤هـ) وأقرب إلى عصر(الشهداء) .

ومما يجدر ذكره أننا نقف في كتب النوازل مثل "الأحكام الكبرى" لأبى الاصبغ عيسى بن سهل الجياني(٣) (ت٤٨٦هـ) على أخبار عن مسلمين تنصروا وطبق عليهم الحد، ونصارى نقضوا العهد، وطبق عليهم الحد كذلك، لكن هذه الأخبار ترجع جميعها إلى أواخر القرن الثالث الهجري، أي بعد مضي أكثر من خمسين سنة على انتهاء عصر الشهداء .

---

* آثرنا استخدام تعبير شهداء قرطبة ـ رغما عن تحفظاتنا عليه ـ لأنه صار تعبيراً اصطلاحيا في الكتابات التاريخية وبخاصة الغربية منها.

(١) الفصول من الثالث عشر إلى الحادي والعشرين PP.357 - 501

اما ليفي بروفنسال فيخصص لهذه الحادثة فقرة من الفصل الأول من الباب الثالث (الخاص بعصر عبد الرحمن الأوسط) . PP. 225- 239.

(2) Ibid. Vol. I.p.225 .

(٣) وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ص ٤٣ـ ٤٧ ، ٧٠ ـ ٧٣ .

على أننا ـ مع ذلك ـ لانستطيع أن نجـزم بأن المؤرخين المسلمين، لم يذكروا شيئا عن هذه الحادثة،ومن الجائز أنهم ذكروها، لكنها لم تصل الينا بعد.

وقد وردت فى التقويم القرطبى أخبار عن احتفال النصارى بأعياد شهدائهم، ومن بينهم بعض(شهداء قرطبة)، ولدينا أيضا نص أورده العذرى فى معرض حديثه عن بعض أجداده البعيدين فيقول(١) "وتزل زغيبة وياسين بقرية دلاية(٢) على شباريه ديو وعلى ملاط العجميين" ومن المرجح أن شباريه ديو هذا هو Spera - in - doe أستاذ إيولوخيو، وقد عاش فى الفترة نفسها التى عاش فيها جدا العذرى .

ونستطيع أن نقرر إن حادثة (الشهداء) لم تكن ذات خطر كبير، كما ذهبت المصادر النصرانية، بل اعتبرها الأندلسيون حادثة عارضة، ومن ثم أغفلوها وعلى ذلك سنتحرى(الحقائق) عن(شهداء) قرطبة من المصادر النصرانية وحدها(٣) .

---

(١) نصوص الأندلس ـ ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٢) Delias قرية بالأندلس من عمل المرية" الحميرى: الروض المعطار ص٧٧ وانظر أيضا: ياقوت معجم البلدان جـ٤ ص ٦٧ .

(٣) آثرنا أن نلخص ـ بأمانة ـ ما ورد فى المصادر النصرانية، رغما عما بها من مبالغة، وفى الفقرة التالية نعلق عليها .

والمصدر الأصلى للحادثة كتابات كنسية لايولوخيو وألبرو وغيرهما، وعنهم ينقل المؤرخون المحدثون، ومعتمدنا هنا دوزى ثم سيمونيت وايسيد رودى لاس كاخيجاس الذى يأتى بثبت بأسماء الشهداء وملخص لحياتهم ، مرتبا حسب السنين، وذلك فى الفصل الرابع من الباب الخامس من كتابه.

١- الرواية النصرانية لحادثة الشهداء :

تقول الرواية النصرانية أن المسلمين عاملوا النصارى بقدر من التسامح في البداية، لكنهم بعد أن شعروا بقوتهم غيروا هذه السياسة، وصار الإستبداد الإسلامي شديد الوطأة على ضمائر النصارى وأموالهم وكرامتهم، وكان يتصاعد مع انتصار يحرزه نصارى الشمال، أو ثورة يشعلها نصارى طليطلة(١) .

وكان عامة الشعب من المسلمين يعايرون النصارى ويشتمونهم، وعندما يشاهدون قسا في الطريق يهزأون به، أويزدون أغنيةتسخر بالصليب أو يقذفه الصبية بالحجارة، ويمطرونه بالاقذار، ولدى مرور جنازة لأحد النصارى يطلق السابلة"عسى الله ألا يريه رحمة" وعندما تدق أجراس الكنائس يهزون رءوسهم، ويتحسرون على النصارى الحمقى الذين يخدعهم قساوستهم(٢)

.إلى جانب ذلك كان النصارى يتملكهم الأسى، حين يرون مدينتهم العظيمة قد أضحت مستقرا للسلطان الذي يصدر من حين لآخر قرارات تجرح شعورهم، مثل اجبارهم على الختان، شأنهم شأن المسلمين، مما جعلهم يعتقدون أنهم صاروا أقل شأنا من بني جلدتهم نصارى الدويلات الصغيرة في شمال إسبانيا(٣) .

لم يكن النصارى وحدهم هم الذين تعرضوا للمعاناة، فهناك أيضا المولدون الذين عرف ايولوخيو بعضهم باسم النصارى السريين Christiani Occulti وهم الذين أسلم أسلافهم هربا من دفع الجزية، أو خوفا من عقاب قاض نصراني، وكان المولدون - بوجه عام - يعيشون في أوضاع سيئة،

---

(1) Simonet: op cit. p. 358 ff.
(2) Dozy: op. cit p. 271
(3) Ibid. p. 269 .

فالعرب ينظرون اليهم بعين الشك، ولايسندون اليهم وظائف كبيرة، وكثيرا ما يدعونهم بالعبيد، رغما عن انتماء بعضهم إلى أصول عريقة(١) .

ولما اشتد عسف المسلمين بنصارى قرطبة، عمدوا إلى نضالهم خارجها، وبخاصة في المدن البعيدة، أما في العاصمة، فإنهم لم يجدوا وسيلة غير(الاستشهاد)، وكان رائدهم في هذا الشأن القساوسة أنفسهم(٢) .

شاعت عند رجال الدين أفكار زائفة عن الإسلام(٣)، كما ذاعت بينهم أفكار أخرى عن أسلاف لهم هلكوا على أيدي الوثنيين، وصاروا يرجون أن يقوموا بعمل مجيد مثلهم(٤) .

وفي أوائل القرن التاسع الميلادي، ظهر أول المحرضين على(الإستشهاد) ودعى في الكتابات الكنسية باسبيرا - إن - ديو أي، "الأمل في الله" ويعد الأب الروحي لشهداء قرطبة، وكان يقيم في دير شويلش قرب العاصمة(٥) .

كان لاسبيرا - إن - ديو تلميذان، أحدهما قسيس هو ايولوخيو، والآخر علماني هو ألبرو، وقد انحدر ايولوخيو من عائلة نبيلة، وكان له أربعة أخوة، عمل اثنان منهم - وهما ألبرو وايسيدور - في التجارة، واشتغل الأخ الأكبر - وهو يوسف - في قصر السلطان ، أما أخته - وتدعى أنولونا Anulona - فقد ترهبت. وكانت الأسرة جميعها معروفة بكراهتها للاسلام وتعصبها للنصرانية، وزاد من هذا التعصب عند ايولوخيو، ميله إلى العزلة فترهب في فترة مبكرة، وصار كاهنا لكنيسة القديس شويلش(٦) .

---

(1) Ibid. pp. 240 - 241 .
(2) Ibid. p. 272.
(3) Ibid . pp. 269 - 270 .
(4) Ibid.p.273.
(5) Simonet: op. cit. p. 340 .
(6) Ibid. pp. 381-382 .

أما أليرو فهو شاب ثرى، يقال أنه ينتمى إلى أصل يهودى، وقد تعرف على ايولوخيو فى مجلس إبجيرا - إن - ديو، وتأثر بأفكار الأستاذ التلميذ معـاً، ووصلت الينا عدة من كتبه ورسائله، منها ترجمته لحياة إيولوخيـو Vita Eulogii وهى مصدر أساسى لمعلوماتنا عن(حركة الشهداء)(١) .

أثمرت دعايات إيولوخيو وصحبه، وفى سنة ٨٥٠ م ، دخل قسيس من كنيسة شوبلش يدعى برفكتو Perfectus فى نقاش مع بعض المسلمين حين سألوه عن رأيه فى محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام، فأساء الحديث عن نبى الإسلام، وجئ به إلى القاضى الذى أمر بإعدامه فى يوم يحدده نصر الخصى وفى يوم الفطر سنة ٢٣٥هـ/١٨ أبريل ٨٥٠م ثم إعدام برفكتو وسط حشد من المسلمين، ودفن فى المقبرة التى تضم عظام القديس شوبلش(٢) .

بعد عام تكرر التهجم على النبى الكريم من تاجر يدعى يوحنا(خوان) فأحضر إلى القاضى الذى أمر بجلده، وطيف به على حمار فى شوارع المدينة بينما المنادى يصيح " هذا جزاء من يجترئ على السخرية بالنبى" وألقى به فى السجن، ولم يلبث أن أعدم(٣).

وكان ثالث (الشهداء) راهب من أسرة نبيلة يدعى إسحق، كانت إجادته للعربية، سببا فى تعيينه كاتبا عند الأمير ، لكنه لم يلبث أن هجر القصـــــر والتحق بدير تابانوس وترهب، ثم عاد إلى قرطبة، وقابل القاضى، وتفوه فى حضرته بألفاظ فيها إساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وحسب القاضى فى بداية الأمر، أنه مخمور أو فقد عقله، وكاد أن يكتف بحبسه، لكنه لم يجد

(1)Ibid. p. 113
(2) Dozy: op. cit. pp. 278-281. Simonet: op. cit. pp. 385 - 388 .
(3) Dozy: op. cit. PP. 282 - 283, Simonet:op.cit pp. 389 - 390 .

ازاء اصراره، إلا أن يأمر بقتله فقتل وعلقت جثته، ثم أحرقت ورمى برمادها فى النهر(١) .

أثارت هذه الأحداث استياء غالبية النصارى الذين قالوا"إن السلطان يسمح لنا بمزاولة شعائر ديننا ولايضطهدنا، فلماذا إذن هذا المسعى التعصبى، إن هؤلاء الذين تدعونهم شهداء ليسوا كذلك، إنما هم انتحاريون يحفزهم الزهو وهو أصل الخطايا كلها، وإذا هم طالعوا الإنجيل يجدون فيه(٢): أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم"...(٣)

لما انتشرت هذه الأفكار بين النصارى، وكادت تحدث أثرها، انبرى إيولوخيو للرد عليها فى كتاب دعاه 'ذكريات مقدسة" Momriale Sanctorum فدافع عن (الشهداء)، وتعرض للمضايقات التى صادفها النصارى والقساوسة منهم، واقتبس من الكتاب المقدس وأباء الكنيسة، ما يؤكد أن (الاستشهاد) عمل من أعمال التقوى يستحق التقدير والثناء(٤) .

نتج عن ذلك أن امتدت عدوى (الاستشهاد) إلى نفر من المسلمين، بعضهم من المولدين، وأشهرهم فتاة تدعى فلورا Flora ، مات أبوها وهى صغيرة، وتأثرت بأمها النصرانية فتنصرت، وذهبت سدى جهود أخيها المسلم فى حملها على العدول عن نصرانيتها، ثم اصطحبها إلى القاضى الذى أشفق عليها، واكتفى بضربها، وأعادها مع أخيها إلى دارها، لكنها هربت إلى أحد

---

(1) Dozy: op. cit. pp. 283 - 285, Simonet: op. cit. pp. 391 - 394 .

(٢) متى: اصحاح ٥ آية ٤٤ .

(3) Dozy: op. cit. p. 286.

(4) Ibid. pp. 286 - 287 .

ويخصص سيمونيت الفصل الخامس عشر من كتابه لدفاع ايولوخيو عن الشهداء .

معارفها النصارى، والتقت عنده بـإيولوخيو الذى أعجب بها وحفزها على الاستشهاد، فتوجهت إلى كنيسة شوبلش لتصلى، وشاركتها فى الصلاة فتاة أخرى من أصل مسلم مثلها تدعى مارية، وخرجت الفتاتان من الكنيسة إلى القاضى، وأقرتا بنصرانيتهما، وللمرة الثانية أشفق القاضى عليهما، واكتفى بحبسهما، وفى الحبس تجدد اللقاء بإيولوخيو، وتجددت دعوته إلى الاستشهاد، وللمرة الأخيرة استدعى القاضى الفتاتين، حيث أصرتا على ادعائهما، وفى يوم ٢٤ نوفمبر سنة ٨٥١ م، تم اعدامهما، وألقيت جثتاهما فى النهر(١) .

بعد خمسة أيام من هذا الحادث أطلق سراح إيولوخيو وغيره من المقاومة، لكنه - وألبرو - لم يتوقفا عن الحض على (الاستشهاد)، وتتالى اعدام النصارى، ووصل الأمر إلى أن اقتحم اثنان منهم المسجد الكبير (جامع قرطبة) وأثارا مشاعر المسلمين، فقبض عليهما ثم أعدما فى ١٦ سبتمبر سنة ٨٥٢ م(٢) .

بذلت الحكومة الإسلامية جهدها لحسم الفتنة، فأمر عبد الرحمن الأوسط بعقد مجمع كنسى رأسه ريكا فريدو Recafredo مطران اشبيلية، وكان يمثله فى المجمع قومس بن أنتنيان الذى يصفه إيولوخيو بأسوأ النعوت وفى هذا المجمع بسط قومس الموقف، وحدد النتائج التى يمكن أن تحدث للذين يسيئون إلى الإسلام، وأنهم يستحقون الحرمان، لاالتقديس، لأنهم يعرضون اخوانهم النصارى لخطر الاضطهاد، ودعا الأساقفة إلى اصدار قرار يشجب سلوك هؤلاء (الشهداء)، ويحول دون سلوك غيرهم السبيل نفسها وفى المقابل دافع شاعول أسقف قرطبة عن(الشهداء) . واتخذ المجمع حلا وسطا يرضى

(1) op. cit. capitulo .n.xvl. Dozy: op. cit. pp. 274 - 276, 291 - 293 .
(2) ibid .p.294 .

الطرفين، فاعترف بمن قتلوا(الشهداء)، لكنه في الوقت نفسه قرر إدانة من يقدم على(الاستشهاد) مستقبلا، ودعا إلى حبس المحرضين من القساوسة(١).

بعد أيام قليلة من انفضاض المجمع توفى عبد الرحمن الأوسط في ٣ ربيع الثانى٢٣٨هـ/٢٣ سبتمبر ٨٥٢م. ويزعم ايولوخيو أن اجله وافاه، بينما كان جالسا في شرفة قصره، يشاهد النصارى الذين علقت جثثهم في المكان الذى عرف فيما بعد(بحديقة الشهداء) el Jardín de los Mártires (٢)

لما ولى الأمير محمد أمر باقصاء النصارى من وظائف الدولة، كما أمر بهدم الكنائس المستحدثة، وزعم ايولوخيو أنه أمر بقتل رعاياه النصارى وهتك أعراض نسائهم وبناتهم، لكن وزراءه، نصحوه بالعدول عن ذلك(٣).

توالت حركة(الاستشهاد) في عهد الأمير محمد، وكان من جملة من قتل راهبة من أصل عربي تدعى أوريا، Áurea في ١٧ يوليو سنة ٨٥٦م(٤).

وفى سنة ٨٥٨ م توفى وستريميرو Wistremiro مطران طليطلة، واختار الأساقفة إيولوخيو مطرانا، لكن الأمير رفض أن يقره في منصبه(٥).

وفى هذه الأثناء هربت فتاة متنصرة تدعى ليوكريتيا Leocritia إلى إيولوخيو الذى أعجب بها، لأنها تذكره بفلورا، وآواها في دار أخته أنولونا، واكتشفت الشرطة الأمر، وقبضت على الفتاة وإيولوخيو، وفى ١١ مارس سنة ٨٥٩ تم إعدام ايولوخيو، ودفن في كنيسة شوبلش، وبعده بأربعة أيام، أعدمت ليوكريتيا، ودفنت في كنيسة خنيس، وفى سنة ٨٨٤ م نقلت عظامهما

---

(1) Ibid . pp. 287 - 292 .
(2) Lévi - Provençal: op. cit . vol . II p. 130 .
(3) Dozy: op. cit. p. 299 .
(4) Isidro de las Cagigas. op. cit. tomo. I. pp 219 - 220 .
(5) Ibid. tomo. I.p. 156 .

إلى أُبيَط Oviedo في الشمال وسجلا قديسين(١)، وبعد موت ايولوخيو بسنتين أعدم ألبرو وهدأت (فتنة الشهداء).

٢ - دراسة تحليلية لحادثة الشهداء :

إذا أنعمنا النظر فيما أوردته المصادر النصرانية عن حادثة (شهداء قرطبة) يتجلى لنا ما يأتي :-

(أ) إن النصارى المعاهدين كانوا يعيشون حياة طيبة في إطار الجماعة الإسلامية بالأندلس، وكانت أحوالهم العامة لاتختلف عن أحوال اخوانهم المسلمين .

(ب) لم يذكر إيولوخيو في حديثه عن الاضطهاد الذي لحق بالنصارى على أيدي المسلمين ما إذا كان قد حدث قبل أن تبدأ(حركة الاستشهاد)، أم بعد أن بدأت بالفعل(٢)، لأنه في الحال الأخيرة يعد ما فعله المسلمون رد فعل على موقف النصارى تجاههم .

(ج) بذلت الدولة من جانبها جهدها لحسم الفتنة، فعقدت لذلك مجمعا، إتخذ قرارا، دون تدخل منها، واتسم هذا القرار بالإعتدال .

(د) يعد النصارى ورجال دينهم بوجه خاص مسئولين عن إثارة هذه الفتنة، فقد تهجم فريق منهم على الإسلام ونبيه الكريم، كما اتخذ بعضهم من أمثال إسبيرا - إن - ديو وتلميذيه ايولوخيو وألبرو من الأديرة مراكز للحض على(الاستشهاد)(٣).

---

(1) Simonet: op. cit. p. 486 .
(2) Waltz: op. cit. p. 226.

(٣) يتردد ذكر هذه الأديرة كثيرا ابان حركة الشهداء، وتخص منها أرملاط، تابانوس، شوبلش، خنيس، فرشتويل، أجلج .

أما عن الدافع لإشعال فتنة الشهداء، فنستطيع أن نرجعه إلى ضيق بعض القساوسة من إتساع نطاق الإسلام، وإقبال كثير من أبناء جلدتهم عليه مما حفزهم إلى (الاستشهاد) والتحريض عليه، حتى يثيروا الحماسة النصرانية عند أبنائها .

واتجه هؤلاء القساوسة فى دعايتهم إلى الشباب، ومن ينحدر منهم من آباء مسلمين وأمهات نصرانيات، واستخدموا معهم أسلوب الايحاء، والمعروف أن النساء وصغار السن من الجنسين أكثر قابلية للإيحاء من غيرهم(١)، وهذا يفسر أن كثيرا من (الشهداء)، كانوا من النساء والشبان .

لم يكن الاقبال على الإسلام وحده سببا فى تذمر القساوسة وإنما ساءهم أيضا تسرب بعض الأفكار التى تتصل ببشرية المسيح عليه السلام إلى أصول عقيدتهم، والتى عبرت عنها حركة إليباندوس عشية فتنة(الشهداء)(٢).

ويتصل بحركة(الشهداء) موقف فريق من المولدين من الإسلام، فيتضح لنا أن بعضهم أسلم لدوافع مادية .

ولدينا مثال واضح فى بنى قسى بالثغر الأعلى، فقد أنكح موسى بن موسى بن فرتون بن قسى ابنته وبنات أخيه إلى بعض ملوك نبره، وتزوجت حفيدة بعيدة له فرويلة الثانى بن أذفونش ملك ليون ٩١٠ ـ ٩٢٥ م ، فولدت له رذمير واردونى، كما تنصر أربعة من بنى قسى(٣).

على أن غالبية المولدين أسلموا عن عقيدة خالصة وإيمان عميق، وقد

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية ص ٨٦ .

(٢) راجع عرضنا لهذه الحركة فى الفصل الخامس الخاص بالحياة الثقافية للنصارى.

(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٢ – ٥٠٣ .

عاصر ابن حزم(١) بعضهم وقال عنهم: "إننا شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لايحصى عددهم أسلموا وحسن اسلامهم" .

ولدينا أمثلة عديدة تؤيد ابن حزم فيما ذهب إليه. منها أبو المعلى الالبيرى(ت ٢٩٣هـ) الذى عاصر(فتنة الشهداء)، وكان نصرانيا فأسلم وشغف بكتب عبد الملك بن حبيب، وفاق أهل عصره في الزهد والورع(٢) بل ان ابن حزم - كما يذكر ابن حيان - كان من أصل نصراني - وله مكانة كبيرة بين فقهاء المسلمين وعلمائهم .

أما عن موقف الدولة من(حركة الشهداء)، فقد رأت أن تعاملهم بما تقضى به قوانينها، فقد تهجموا على الإسلام، وحرضوا المسلمين على الارتداد عن دينهم، فاستجاب لهم بعضهم (٣) .

---

(١) الفصل،جـ صـ ٢٠٣ .

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة،جـ ٤ ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) أجمع الفقهاء - والمالكية منهم - على أنه لاتجوز لمن أساء إلى الإسلام ونبيه الكريم توبة، ويتساوى هذا المسلم والذمى. أما المرتد فقد اتفق جمهورهم على أنه لا تجوز له أيضا توبة شأنه في هذا شأن الزنديق، وماله لجماعة المسلمين .

سحنون: المدونة الكبرى جـ ٤ ص ١٦٧، ابن رشد (الحفيد) بداية المجتهد،جـ ٢ ص٣٣١. يحى بن عمر: الأحكام،ورقة ٦٩ ظهر، ابن فرحون: تبصرة الحكام،جـ١ ص١٤٠، جـ ٢ ص ٢٠٤-٢٠٥، الونشريشى: المعيار المغرب،م١ ورقة ٤٧ ب، ابن حزم: المحلى،جـ ١١ ص ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٥ . وانظر أيضا أبو عبيد: الأموال ،جـ ٢ ص ٢٦٠، الماوردى: الأحكام السلطانية،ص ٦٠ - ٦١.

وعندما ذكر نصرانى - فى مصر - رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز كتب قاضيها المفضل بن فضالة ١٦٨ - ١٧٠هـ يسأل إمام دار الهجرة فأمره بقتله فقتل، أما الحارث بن مسكين - قاضى مصر أيضا ٢٣٧-٢٤٦هـ فإنه لم يكتف بقتل نصرانى أتى هذه الفعلة، وإنما جلده قبل أن يقتله. الكندى:كتاب الولاة وكتاب القضاة،ص٣٨١ و ٤٧٠.

ولم تكن الدولة تفرق فى تطبيق الحدود بين مسلم وذمى، فقد قتل ابن أخى عجب حظية الأمير عبد الرحمن الأوسط، لتطاوله على الدين، ولم تشفع له مكانة عمته من الأمير(١). وكذلك كانت حال ابراهيم بن احمد بن عبد العزيز بن العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان، الذى ارتد إلى النصرانية فقتل(٢)، ولم يشفع له أن كان من أبناء الأسرة الأموية الحاكمة وأن عمه أحد وزرائها .

ومما يجدر ذكره أن فقهاء المسلمين وقضاتهم بالأندلس، اتسموا بالمرونة فى تطبيقهم الحدود، بل تلمسوا أحيانا(للشهداء) أعذارا كالجنون، كما كانوا يمهلون المرأة التى تجاهر بنصرانيتها، حتى ترجع عن غيها، ويكتفون بتعزيرها(٣).

عاصر (فتنة الشهداء) من قضاة الجماعة اثنان، أولهما سعيد بن سليمان الغافقى(ت٢٤٠ هـ) وعنه يقول ابن وضاح"ولى القضاء أربعة، فاتصل العدل بهم فى آفاق الأرض، رحيم بن اليتيم بالشام، والحارث بن مسكين بمصر، وسحنون بن سعيد بالقيروان، وأبو خالد سعيد بن سليمان بقرطبة" ويصفه ابن لبابة بالخير والتواضع، ومات غير معزول(٤).

---

(١) الخشنى: قضاة قرطبة،ص ٥٩ ــ ٦٠، ابن سهل فى الونشريشى: المعيار المغرب م ١ ورقة ١٧٨ ب وانظر ١٧٨ ب وانظر أيضا: Lévi - Provençal: op. cit vol. I. p. 230 .

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب،ص ١٠٨ .

(٣) أى تأديبها، والتعزيز أمر اجتهادى يترك تقديره للامام. عبد الكريم زيدان أحكام الذميين والمستأمنين ص ٢١٤ – ٢١٦ .

(٤) الخشنى: قضاة قرطبة،ص ٦١ – ٦٤، ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٢ تر ٤٧٧ .

وثانيهما أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمى(ت٢٥٥هـ) وعنه يقول الخشنى(١) "فسار بخير سيرة وأجملها، فكان بطلا صالحا صحيح المذهب حسن السيرة"واستمرت ولايته نحو عشرة أعوام، أى أنه حضرنهاية الفتنة.

مجمل القول أن(فتنة الشهداء) كانت حادثا عابرا فى تاريخ الأندلس ومن ثم فقد أغفلتها المصادر العربية، وسارت الأمور سيرها الطبيعى بعد انتهائها، واستمرت الدولة فى سياستها التى تنطوى على التسامح مع رعاياها النصارى، وسمحت لهم بالإحتفال بأعياد(شهدائهم)، وبينهم عدد من(شهداء قرطبة)(٢).

---

(١) قضاة قرطبة ص ٦٥ .

(٢) القديس برفكتو فى ٣٠ أبريل، إسحيرا - إن - ديو فى ٧ مايو، القديس إمولیان فى ١٥ سبتمبر، أنولفوروخوان فى ٢٧ سبتمبر، أفررو فى ٧ نوفمبر .

راجع الصفحات ٤٨، ٥٣، ٨٨، ٩١، ١٠٣ النص اللاتينى من تقويم قرطبة لعريب ابن سعد وربيع بن زيد .

الفصل التاسع

النصارى والفتنة الكبرى

١ – مقدمات الفتنة الكبرى *:

لم يكد يمضي عشرون عاما على اخماد فتنة الشهداء بقرطبة، حتى اندلعت في بلاد الأندلس ثورة، عرفت بالفتنة الكبرى، استغرقت نحو ستين سنة من جهد الدولة. وقد بدأت أحداثها بهرب عبد الرحمن بن مروان الجليقي من قرطبة في سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥ م، وعصيانه بعد ذلك بمدينة بطليوس Badajoz (١) وانتهت باقتحام جيوش عبد الرحمن الناصر طليطلة في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢ م .

شاركت في هذه الفتنة عناصر المجتمع الأندلسي، واتسع مداها حتى شملت جميع البلاد، وأضحى سلطان الدولة لايتعدى في أحيان كثيرة أسوار الحضرة وأتيحت الفرصة لممالك الشمال النصرانية لأن تتوسع على حساب المسلمين .

---

* لم يطلق على هذه الفتنة في مصادرنا تعبير محدد، ولما كانت قد عمت أقطار الأندلس، وشملت عناصر السكان جميعها، وإستطالت نحو ستين سنة، فقد آثرنا أن نقتبس تعبير "الفتنة الكبرى" وهو تعبير سبقنا إليه الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه "دولة الإسلام في الأندلس"

(١) "بطليوس بفتحتين وسكون اللام وباء مضمومة وسين مهملة، مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة، على نهر آنة غربي قرطبة ولها عمل واسع ..." ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص ٢١٧ .

ومما يجدر ملاحظته أن أغلب المؤرخين الأندلسيين، لم يمدونا بمعلومات وافية عن أسباب هذه الثورة التى انفرد ابن الخطيب(١) بتوضيحها فيقول:

"والثوار في دول بنى أمية متعددون، شقيت بهم الملوك، وتنغصت بهم الخلفاء، واضطروا إلى مسالمتهم تارة، ومحاربتهم تارة أخرة، وجعلوا رسم الوفاء لمن عاهدوه منهم سياسة، لولاها لجل الخطب، ولم يخلص الملك. والسبب فى كثرة الثوار بالأندلس يومئذ، ثلاثة وجوه الأول منعة البلاد وحصانة المعاقل، وبأس أهلها، بمقاربتهم عدو الدين فهم شوكة وحد، بخلاف سواهم. والثاني علو الهمم وشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة، إذ كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافا، يأنف بعضهم من الاذعان لبعض. والثالث: الاستناد عند الضيق والاضطرار، إلى الجبل الأشم والمعقل الأعظم، من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض. فكان الأمراء من بني أمية، يرون أن اللجاج في أمورهم يؤدى إلى الأضلولة، وفيها فساد الأموال وتعذر الجباية، وتعريض الجيوش إلى الانتكاب، وأولياء الدولة إلى القتل، ولا يقوم السرور بغلبة الثائر، بما يوازيه من ترحة هذه الأمور".

على أننا نستطيع أن نقف من النصوص التى وردت فى بعض المصادر على أسباب هذه الثورة .

شهدت بلاد الأندلس خلال القرن الثالث، وبخاصة عهد الأمير محمد سنوات متتالية، سادها القحط واضطراب عناصر الطبيعة، مما ترتب عليه هلاك كثير من الناس أو هجرتهم من البلاد .

---

(١) أعمال الأعلام. ص٣٥-٣٦ .

يقول ابن حيان(١) في حديثه عن سنة ٢٦٠ هـ" وفيها أصابت البلاد مجاعة شديدة، أردفت الأعوام الجداعة(٢)، التي توالت عليها في عقدة الخمسين، فأثرت عليها وعزت الخلق فمات أكثرهم، وجرى المثل بها على ألسنة الناس دهرا سنة ستين" .

كانت سياسة الدولة تجاه الأزمات الاقتصادية التي واجهتها في عهد الأمير محمد لا تتم عن الحرص على معالجتها وتخفيف وطأتها، وكان لهذه السياسة تأثير بالغ على المولدين والنصارى المعاهدين، لأنهم كانوا أكثر افراد المجتمع الأندلسي المنتجين .

يقول ابن القوطية(٣) "ووافقت مجاعة سنة ستين وليد بن غانم والي المدينة، وكانت سنة لم يزرع فيها الناس حبة ولا رفعت(٤)، فأوصله محمد إلى نفسه فقال له: العشور ما ترى فيها. قال: إنما يؤخذ العشور بسبب الزراعة والرفع، ولم تزرع رعيتك ولا رفعت، فأنفق من أهرائك وبيوت أموالك، فلعل الله أن يأتي في العام المستقبل بخير. فزأمه(٥) فقال: لاوالله لاتقلدت(٦) تحريك حبة واحدة منه.

"واتصل الخبر بالناس وما دار فيه، فرفع حمدون بن بسيل المعروف بالأشهب، وكان من الطغاة البغاة، فسأله ولاية المدينة، على أن يتضمن إيراد

---

(١) المقتبس،س ٢ ص ٣٤٣ .

(٢) "سنة جداع السنة الشديدة تذهب بكل شئ كأنها تجدعه"

ابن منظور: لسان العرب،جـ ١ ص ٥٦٧ .

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس،ص ١٠٠ .

(٤) أي جنيت .

(٥) أي نهره .

(٦) أي توليت .

المشور، حتى هتك الستور، وضرب الظهور، وقتل الأنفس بالتعليق، ففر الناس إلى الله عز وجل منه، وأماته الله بغتة، وقبضه إلى سخطه .

"فاتصل الخبر بمحمد، وما نال الناس منه، فأوصل إلى نفسه وليد بن غانم، واعتذر إليه، وسأله أن يرجع إلى المدينة، ليصلح ما أفسد الميت قبله. فقال: أما وقد صرت عندك في محل من يبدله حمدون بن بسيل أو مثله، فلا والله لاخدمتك في المدينة أبدا. فولى غيره، فاضطربت الأحوال في آخر أيامه...." (١) .

على أن أكبر من أساء إلى صورة الدولة إزاء أهل البلاد من مولدين ومعاهدين، هو هاشم بن عبد العزيز(٢)، وزير الأمير الأثير عنده، وتتفق النصوص في حملتها عليه، وتذهب إلى سوء سيرته في غير موضع .

يقول ابن القوطية.(٣) ثم ولي الأمير محمد ـ رحمه الله ـ وكان من أهل الأناة وقلة العجلة، والتنزه عن العقوبة، مكرما لأعلام الناس من أهل العلم والموالي والأجناد، متخيرا لعماله، إلى أن ولي أمره هاشما، فأفسد عليه،

---

(١) كانت سياسة الدولة في عهد عبد الرحمن الأوسط الذي دعيت أيامه "بأيام العروس" على النقيض من سياسة ولده محمد، فعندما حدثت مجاعة في سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م سعى إلى الحد منها بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة، ابن حيان المقتبس،س٢ ص٩٣ . وفيما بعد واجه عبد الرحمن الناصر مجاعة سنة ٣٠٣هـ/٩١٥ - ٩١٦م التي شبهت بمجاعة سنة ٢٦٠هـ بأن كثرت صدقاته وصدقات أهل دولته على المساكين. ابن حيان: المقتبس،س ٥ ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) وهو شقيق القاضي أسلم بن عبد العزيز الخالدي الذي ولي قضاء مرتين ٣٠٠-٣٠٩هـ، ٣١٢-٣١٤هـ.

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس،ص٨٦، وانظر أيضا: ابن سعيد: المغرب،جـ ١ ص٥٢-٥٣، جـ٢ ص ٩٤ .

فترك طريقة اختياره العمال من الكهول والشيوخ، ومال إلى الأحداث، وشاطرهم أرباحهم، فكان العمال يسمون المناصفين، ففسد بذلك الأمر....." .

زاد الأمر سوءا موقف القبائل العربية من الأجناد، وبخاصة أهل إلبيرة، وكثرتهم شامية قيسية، فقد تذمر هؤلاء لانصراف الدولة عنهم إلى غيرهم من الأجناد المرتزقة والصقالبة. وفي الوقت نفسه لم يعد ثمة مبرر لأن يحصلوا من أهل البلاد على ثلث أموالهم، خاصة بعد أن انتشر الإسلام بينهم، وهكذا دخل العرب في صراع ضد الدولة، وضد المولدين والمعاهدين جميعا(١) .

وقد عبر عمر بن حفصون عن موقف المولدين والمعاهدين من الدولة والعرب بقوله "طال ما عنف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وأنا أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم"(٢).

ومن بين الأسباب التي أدت إلى الفتنة الكبرى، موقف الفريق الناقم من النصارى المعاهدين الذين أشعلوا (فتنة الشهداء) بقرطبة، فقد كانوا يتحينون الفرصة لإثارة الصعاب في وجه الدولة، والإشتراك في الحركات المناهضة

---

(١) يعبر عن ذلك الشاعر الفارس سعيد بن جودي رئيس العرب فيخاطب الدولة

يابني مروان جدوا في الهرب ... نجم الثائر من وادي القصب

يا بني مروان خلوا ملكنا ... إنما الملك لأبناء العرب

ابن حيان: المقتبس. س٣ ص ٣ .

ويخاطب المولدين والمعاهدين :

ورثنا الملك عن آباء صدق ... وإرثكم بني العبدان ذل

وأخضعنا رقابكم فذلت ... فليست ما حييتم تستقل

س٣ ص٦٦

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب.جـ ٢ ص ١١٤ .

لها، فقد انحاز شبرتّد بن حجاج - وهو ولد قومس قرطبة ـ إلى عمر بن حفصون، وشاركه غاراته على أحواز الحضرة، ولما ظفرت به خيل المسلمين، قتل واحتزت رأسه، كما صلب أبوه. وعاود قومس قرطبة الجديد ـ وهو حزّمير - التواطؤ مع عمر بن حفصون فحبس وعذب إلى أن مات .

كذلك لم يتوان ملوك النصارى فى إعانة الثوار الخارجين على الدولة الإسلامية بالأندلس، وبخاصة فى مناطق الثغور، بل ارتبطوا مع بعضهم بصلات المصاهرة، واستفادوا بدورهم من هذا كله، فاتسعت رقعة دولتهم الأمر الذى دفع ألفونش الثالث الكبير el magno إلى أن يتخذ لنفسه ـ فيما يروى - لقب إمبراطور.

٢ – دور النصارى فى الفتنة الكبرى :

يذهب سيمونيت (١) إلى تغليب العامل الدينى على الفتنة الكبرى، ويرى أن بعض الثوار الذى يحملون أسماء عربية هم فى الحقيقة من المستعربين، وليسوا من المولدين، وكذا كانت حال كثير من الجنود. وينوه أيضا(٢)بما كان للاحساس الدينى من أثر، فى بعث الروح القومية والوطنية فى شبه الجزيرة ضد مضطهدى الشعب الإسبانى.

وما يذهب إليه سيمونيت فيه كثيرمن المبالغة.فالفتنة الكبرى اندلعت لأسباب اجتماعية، وليس لأسباب دينية، كما أن زعماءها كانوا فى البداية من المسلمين(٣) ، أما النصارى فقد قاموا بدور الشريك الأصغر فى مناطق

(1) op. cit. p. 504 .
(2) Ibid. p. 520 .

(٣) راجع قائمة الثوار فى ابن حيان: المقتبس،س٣ ص٩-٣٢، وانظر أيضا: ابن عذارى: البيان المغرب،جـ ٢ ص ١٣٣-١٣٨ .

الثغور، حيث كانت الزعامة للمولدين، ثم تجاوزوا هذا الدور في جنوب الأندلس بعد عدة سنوات من اشتعال الفتنة، بحيث صاروا أغلب جنودها، وأكثر العناصر تأثيرا فيها، ولم تلبث الثورة أن تحولت على يدى عمر بن حفصون، فأضحت ذات طابع ديني.

يذهب دوزى(١) إلى أن أهل طليطلة - وهي قاعدة الثغر الأوسط - ثاروا على الأمير محمد، بزعامة القومس سندولا Sindula(٢) وتقدموا بجيشهم في سنة ٢٤٠هـ/ ٨٤٥ م، وهددوا العاصمة نفسها، مما أسفر عن حملة، قادها الأمير بنفسه، وأوقع بأهل طليطلة، والقوات التي قدمت لنجدتهم من ليون في معركة وادى سليط .

وقد أساء دوزى فهم الرواية العربية عن هذه المعركة، فسندولا - والصحيح شندلة - ليس اسما لكونت نصراني، وإنما هو اسم نهير قريب من طليطلة توافت إليه جيوش المسلمين(٣) .

على أن طليطلة استطاعت، قبل أن ينته عهد الأمير محمد أن تحقق استقلالها عن الدولة، ووضعت نفسها تحت حماية ملوك ليون(٤)، وقد لعب نصارى هذه المدينة دورا هاما في هذا المضمار(٥) ، بل إنهم أعانوا أذفونش

---

(1) op. cit. pp. 300-301.

(٢) ويجعله دوزى مرادفا للاسم القوطي Swintila أو Chintila .

(٣) ابن حيان: المقتبس،س٢ ص ٢٩٣-٢٩٤ .

(4) Dozy: op. cit p.311.

(5) Simonet : op. cit. pp. 504-506 .

الثالث(الكبير) فى تعمير مدينة سَمُّورة Zamora(١) .

ومما يجدر ذكره أن ما حدث فى طليطلة نجد له شبيها فى الثغر الأدنى، فيتضح من رواية ابن حيان(٢)عن بعث هاشم بن عبد العزيز إلى بطليوس أن جيش عبد الرحمن بن مروان الجليقى الثائر بها ضم كثرة من المولدين، إلى جانب عدد من النصارى المعاهدين .

بيد أن مشاركة النصارى فى الفتنة الكبرى، تبدو على نحو واضح فى جنوب الأندلس، حيث كان يتزعمها عمر بن حفصون "رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها، وركن العصبية للعجم والمولدين(٣)" .

بدأت ثورة عمر بن حفصون - مثل غيرها من ثورات المولدين - كثورة اجتماعية، تنقم على الدولة سياستها، إزاء ما واجهته من أزمات اقتصادية على أن الطابع الدينى لهذه الثورة، أخذ يتضح بعد سنوات قليلة، ففى سنة ٢٧٨هـ/٨٩١ م دارت معركة بلاى بينه وبين الأمير عبد الله، وكان الفقهاءالمسلمون يرتلون خلالها آيات من القرآن الكريم، بينما كان القسيسون

---

(١) ابن حيان: المقتبس،س٣ ص ١٠٩، ابن الأبار: الحلة السيراء،جـ ٢ ص٣٦٨-٣٧٠ تر ١٩٩ .

"سمورة هى دار مملكة الجلالقة على ضفة نهر كبير جدا .. وبين سمورة وبين البحر ستون ميلا، وسمورة مدينة جليلة قاعدة من قواعد الروم، وعليها سبعة أسوار من عجيب البنيان" . الحميرى: الروض المعطار ص ٩٨، وانظر أيضا ياقوت معجم البلدان جـ ٥ ص ١٣٣ .

(٢) المقتبس،س ٢ ص ٣٦٢-٣٦٣ .

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء،جـ ١ ص ١٥٩ تر ٥٧ .

النصارى يرتلون آيات من الإنجيل(١). ويشير الشاعر والكاتب المعاصر أحمد بن عبد ربه إلى الطابع الديني لهذه المعركة، وإلى عيد الفصح الذى حل فى ذلك الوقت(٢) .

كأن بلايا والخنازير حولهـــــا مقطعة الأوصـــال أنيابها كُلّـحٌ(٣)
ديار الذين كذبوا رسل ربهـــــم فلاقوا عذابا كان موعده الصبـــح
أقمنا عليها اللهو فى يوم عيدهـــم فكم لهم فصحانه(٤) قطع الفصـــح

وفى سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩ م أعلن عمر بن حفصون النصرانية وتسمى بصمويل، وكذا فعلت زوجه كولومبا Columba(٥)، وكان أبوه قد تنصر منذ سنوات، وتبع ذلك تنصر بعض أتباعه، وعلى رأسهم سعيد بن ناصح بن مستنة فى كورة باغه Priego (٦) ويصفه ابن حيان(٧) بأنه "صاحب عمر بن حفصون، وتاليه فى التمرد واللعنة" .

وقد أوردت المصادر أسماء بعض قواد حفصون فى صيغة عربية مما يجعلنا نميل إلى القول بأنهم كانو مسلمين(مولدين) ثم تنصروا مثل حفص بن

(1) Dozy: op. cit p. 363 .

(٢) ابن حيان: المقتبس س٣ ص٩٧-٩٨ .

(٣) "الكلوح والكُلاح بدو الاسنان عند العبوس" ابن منظور: لسان العرب جـ٥ص٣٩١٤ .

(٤) "يوم مفصح لاغيم فيه ولا قر" المصدر نفسه جـ٤ ص٣٤٢٠

(5) Simonet : op. cit. p. 507 .

(٦) "باغة مدينة بالأندلس من كورة البيرة بين المغرب والقبلة (الجنوب) منها وفى قبلى قرطبة. منحرفة عنها يسيرا... وبين باغة وقرطبة خمسون ميلا ياقوت: معجم البلدان. جـ٢ص٤٢ .

(٧) ابن حيان : المقتبس س٣ ص ٢٧ .

المرة الذى قتل فى غزاة سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣ م(١)، وابى الشهلاء الذى قتل فى غزاة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م(٢) . كما أوردت أسماء بعضهم فى صيغة أعجمية، مما يدل على أنهم كانو نصارى أصلا، مثل تسريل العجمى الذى قتل فى غزاة سنة٢٩٧هـ/ ٩١٠م(٣) ورذمير "صاحب حربه" الذى قتله سليمان بن عمر بن حفصون، لدى تآمره عليه فى سنة ٣١١هـ/٩٢٣م(٤) .

تبع دخول عمر بن حفصون فى النصرانية إنشاء عديد من الديارات والكنائس فى المناطق التى يسيطر عليها، وتأسست فى ببشتر أسقفية تقلدها جعفر بن مقّسم Maximus، ومما يجدر ذكره أن المصادر العربية تشير إلى جنود الدولة الذين توجهوا لمحاربة عمر بن حفصون بأنهم مسلمون، أما جنود عمر بن حفصون فتشير إليهم بالنصارى أو النصرانية أو العجم .

على أن تنصر عمر بن حفصون، لم يتبعه تنصر سائر المولدين فطالب ابن مولود صاحب حصن أقوط Luque(٥) رفض أن يتنصر ويتزوج ابنة عمر بن حفصون، وإن استمر فى خروجه على طاعة الدولة(٦) .

كما أن يحيى بن زكريا بن أنتلهAnatolio غادره فى جماعة من المسلمين(٧)

---

(١) ابن حيان: المقتبس ق٣ ص ١٠٨ .

(٢) ابن حيان: المقتبس ق٥ ص ٨١ .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٤) ابن حيان: المقتبس ق٥ ص ١٤٠-١٦٨ .

(٥) "منت أقوط بالقاف حصن من نواحى باجة بالأندلس"ياقوت: معجم البلدان جـ ٨ ص ١٧١ .

(٦) ابن حيان: المقتبس ق٣ ص ١١٥ .

(٧) ابن حيان: المقتبس ق٣ ص١٢٨ .

ولم يلبث أن التحق فيما بعد بخدمة عبد الرحمن الناصر وشارك في غزوات الدولة ضده، وأنزل عبد الرحمن بن عمر بن حفصون عن حصنه طرش Torrox (١) في سن ٣٠٧ هـ (٢) .

ويذهب (٣) دوزي إلى أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي انتحل ببطليوس دينا جديداً بين النصرانية والإسلام، وما يذهب إليه غير صحيح، ويفهم من عبارة ابن القوطية(٤) أن ابن مروان مسلم ثار على الدولة، وتحالف مع نصارى الشمال ضدها، لكنه لم يلبث أن فارقهم بعد أن أسرفوا في قتل المسلمين(٥).

يؤيد حقيقة إسلام الجليقي ما يذكره البكري(٦) من أنه كتب إلى الأمير عبد الله، يطلب معونته في بناء مسجد ببطليوس، فأجاب طلبه وأرسل اليه بعض العمال، ويؤكد الحميري(٧) كلام البكري، ويضيف أنهم قاموا ببناء عدة مساجد إلى جانب هذا المسجد .

---

(١) طرش بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضا وآخره شين معجمة، ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى/ياقوت: معجم البلدان،ج ٦ ص ٤١ .

(٢) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص ١٥٥، مدونة تاريخية مجهولة المؤلف، تحقيق ليفي بروفنسال، غرسية غومس، مدريد، غرناطة ١٩٥٠ م ص ٦٢.

(3) op. cit p.312., Lea: op. cit vol.1, p.50

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس،ص١٠١، وانظر أيضا ابن حيان:المقتبس س٣ ص ١٥.

(٥) المصدر السابق،س ٣ ص٣٩٥-٣٩٧ .

(٦) جغرافية الأندلس وأوروبا،ص١٢١-١٢٣.

(٧) الروض المعطار،ص٤٦ .

٣ - موقف الدولة من ثورة النصارى المعاهدين :

كان موقف الدولة تجاه نقض النصارى عقد الذمة(١) يتراوح بين الشدة واللين، فيما يتعلق بحركة عمر بن حفصون، وغيره من زعماء الفتنة، عمدت إلى القضاء على مقومات حياتهم، وقتل الأسرى الذين لايستأمنون قبل أن تنته المعركة، ولما أسر الرامي العجمي أبو نصر في سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م ــ وكان قد اغتال كثيراً من المسلمين - أتى به إلى باب السدة بقرطبة، وأمر الناصر بصلبه في مشهد حافل من الناس(٢). وبعد افتتاح مدينة ببشتر - معقل الفتنة ــ زارها الناصر في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، وأمر بنبش قبر عمر بن حفصون، وأتى بعظامه إلى قرطبة، فرفعت على باب السدة في أعلى الجذوع، إلى جانب ولده المصلوب قبله سليمان(٣) .

على أن الدولة - من ناحية - أخرى - كانت تعمد إلى معاملة المستأمنين من الثوار باللين، بل تمنحهم بعض العطايا، فلما استسلم عبد الرحمن بن حفصون في سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م وسلم حصن طرش، وقدم إلى قرطبة وسع عليه الناصر(٤)، كما أن جعفر ــ آخر الحفصونيين ــ صار من خاصته واصطحبه في حروبه ضد مملكة ليون(٥) .

لم يقتصر الأمر على قادة الثور، بل تعداه إلى جنودها أنفسهم فعندما

---

(١) راجع أراء الفقهاء في هذا الشأن في القرطبي: الجامع.جـ٨ ص ١١٤، القرافي: الفروق.جـ ٣ ص ١٩، وانظر أيضا الماوردي: الأحكام السلطانية.ص ١٦٥

(٢) ابن حيان: المقتبس.س ٥ ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر نفسه.س٥ ص٢٢١، ٢٢٢، مدونة مجهولة.ص ٧٦-٧٧ .

(٤) ابن حيان: المقتبس.س٥ ص ١٥٤-١٥٥، مدونة مجهولة.ص ٦٢.

(٥) المصدر نفسه.ص ٧٥، ابن الخطيب:اعمال الاعلام.ص٣٤ .

استعاد الناصر حصن طرش في سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م(١) ، طلب أهله الأمان فأمنهم، وألحق بعضهم في ديوان الجند، كما عامل أهل حصن منت روى فى العام التالي بالمعاملة نفسها(٢).

كذلك سمحت الدولة للمستأمنين من النصارى المعاهدين، أن يصطحبوا عند نزولهم قرطبة، من لديهم من الأرقاء المسلمين، حتى ولو كانوا أحرارا فى الأصل، وهو أمر كان يعارضه بعض الفقهاء .

ولما استجارت إمرأة حرة مسلمة، كانت عند أعجمي أنزل من بعض الحصون المخالفة بالقاضي أسلم بن عبد العزيز، أظهر ميله إلى إنصافها، غير أن الحاجب بدر بن أحمد أرسل اليه كتابا، يطلب فيه رد المرأة إلى الأعجمي، لكنه أصر على رأيه بإطلاق المرأة، وكان - كما يذكر الخشني -(٣) "صارما صليبا، لاهوادة عنده لظالم، ولا مداهنة مع مبطل" .

كما كانت الدولة - في الوقت نفسه - تضرب بين ابن حفصون وبين حلفائه وبذا انحل الحلف بينه وبين ابن حجاج صاحب اشبيلية .

٤ - ثورة عمر بن حفصون :

لقيت ثورة عمر بن حفصون اهتماما خاصا من المؤرخين الفرنج(٤)، وعدها بعضهم ثورة دينية وطنية ضد غزاة ، عملوا على استعباد الشعب

---

(١) وكان الحفصونيون قد عاودوا الاستيلاء عليه .

(٢) ابن حيان: المقتبس-س٥ ص ١٧٣، ١٧٩-١٨٠ .

(٣) قضاة قرطبة ص١٠٧، وقد أورد دوزي هذه الحكاية، ويستدل منها على تسامح الناصر .op. cit. pp. 390-391 كما يأتي بها سيمونيت op . cit. 583

(٤) يفصل كوندي - وقد ألف كتابه في سنة ١٨٢٠م - صفحات عديدة لهذه الثورة ومع أنه اعتمد - كما يذكر - على مصادر عربية فإن روايته غير دقيقة، وتختلط فيها أحداث ثورة ابن حفصون في الجنوب، بأحداث ثورة بني قسي في الثغر الأعلى، ومعظم =

الإسباني. وهذا الإدعاء يجانبه الصواب، لأن هذه الثورة، نتجت عن أسباب ،لازلة لاتعود في أصولها إلى قيام الدولة الإسلامية، وكانت شخصية عمر بن حفصون عنصرا هاما في إضرامها، وحددت وفاته بداية النهاية لها.

ينتمي عمر بن حفصون إلى أسرة من أصل قوطي، ويروي ابن عذاري(١) - عن ابن حيان - نسبه، فيقول هو عمر بن حفص (المعروف بحفصون) بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان (أودميان) بن فرغلوش بن أذفونش، من مسالمة أهل الذمة. ويذكر سيمونيت(٢) أن جده الأعلى - أذفونش Adefonso - نبيل قوطي، لقبه العرب بالفونس، وظل أبناؤه نصارى لثلاثة أجيال، وفي عهد الحكم الأول أسلم ابن شتيم Septimio ودعا نفسه بجعفر، وعلى ذلك عرف بجعفر الإسلامي(٣)، وكانت ذريته تدين بالإسلام، لكنهم كانوا يسرون النصرانية .

تذكر الرواية العربية أن عمرا نشأ سيئ الخلق، ثم عبر البحر إلى المغرب، وأقام بتيهرت فترة، لكنه ما لبث أن عاد إلى الأندلس في سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٠ - ٨٨١ (٤) .

حضوره يتركز على ولده ويدعوه بغالب Caleb، وليس لعمر ولد بهذا الاسم، ويجعل مسرح الأحداث يتراوح بين سرقسطة وطليطلة وببشتر، وغيرها من مناطق الثغور، وهو غير صحيح، ويمتد بأحداث الرواية إلى أواخر عصر عبد الرحمن الناصر، وهو أيضا غير صحيح، ثم هو يقطع هذه الأحداث فجأة.راجع

History of the dominion of the Arabs in Spain. p. 301 ff.

(١) البيان المغرب.جـ ٢ ص ١٠٦، وانظر أيضا ابن خلدون: العبر.جـ٤ص ١٣٤

(2) op. cit. p. 513

(٣) ابن الخطيب : أعمال الإعلام.ص ٣١

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس.ص١٠٣-١٠٤، ابن حيان: المقتبس. س٣ص٤٠٠

كانت كورة ريه Rejio وقتذاك تضطرم بالثورة ضد الحكومة بسبب تعسف عاملها في مطالبة أهلها ببقايا الخراج، فانتهز عمر الفرصة واستمالهم اليه، وارتحل ببعضهم إلى جبل ببشتر[١] Bobastro واستقر بحصن روماني قديم، يقع على مقربة من السهل الكبير الذي يمتد حتى مدينة قرطبة[٢] . وتشير المصادر العربية في غير موضع إلى مناعة هذا الحصن[٣].، وقد زاره بعد فترة طويلة ابن سعيد [٤] الذي قال عنه أن من أقام فيه لايخشى إلا من الأجل .

لما فشل عمال الدولة في مواجهة عمر بن حفصون، توجه إليه الوزير هاشم بن عبد العزيز في سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣، ونجح في انزاله من الحصن، وقدم به إلى قرطبة، وعفا عنه الأمير محمد، لما رأى من شجاعته وبسالته، وألحقه بحاشيته، وأرسله مع ولده المنذر في محاربة بني قسي في الثغر الأعلى، وبعد عودة عمر إلى الحضرة، عومل معاملة سيئة من صاحب المدينة، وهو محمد بن وليد بن غانم، فغادر سرا إلى ببشتر وعاود العصيان[٥] .

ارسل الأمير قوة بقيادة ولده المنذر، فحاصر عمرا في مدينة الحامة Alhama ، لكنه اضطر إلى رفع الحصار، عندما علم بموت أبيه في سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م، فخرج عمر من المدينة، وبسط سيطرته على كورة ريه كلها،

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٣٩٣-٣٩٥

(2) Dozy: op. cit. p.318.

(٣) الإدريسي: صفة المغرب ص٢٠٤، الحميري: الروض المعطار ص٣٧.

(٤) المغرب ج١ ص٥٣ تر ٤

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٤ - ١٠٥، ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص١٠٥ .

ودانت له حصونها، وأثار في الأهلين من مولدين ومعاهدين روح العصبية ضد العرب(١) .

وفى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٨٧ خرج الأمير المنذر إلى ابن حفصون وفتح عددا من حصونه، ثم أعاد الكرة عليه فى العام التالى حتى أجهده فأظهر ميله إلى الطاعة، لكنه نكث فعاود الأمير حصاره، وفي هذه الأثناء مرض المنذر، وما لبث أن توفى، وخلفه أخوه عبد الله الذى أنتقل إلى قرطبة، مصطحبا معه رفات المنذر(٢) .

يرتبط عهد الأمير عبد الله بازدياد خطر الفتنة، فقد عم الانتقاض بلاد الأندلس ، حتى أن سلطان الدولة ، لم يكن يتجاوز قرطبة وأحوازها يقول ابن الخطيب(٣) "وتصيرت إليه الخلافة(٤) ، وقد تحيف النكث أطرافها واقتسمها الثوار ، وكلب عليها الأشرار ولم يبق منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها، وساءت الظنون، ولم يدر عبد الله إلى أين يصرف وجهه" .

وجه الأمير عبد الله إهتمامه إلى إخماد حركة ابن حفصون الذى لم يكتف بكورة ريه وما جاورها، إنما كان هدفه أن يدخل قرطبة ويقضى على دولة بنى مروان ، ومن أجل ذلك ضم إلى جانبه الثوار المولدين فى كور ريه وإلبيرة وجيان ، واتصل بنصارى قرطبة المعاهدين ، وأتاه ولد

---

(١) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٠٦ ، ١٠٤-١١٥ .

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٠٧، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ١١٦-١١٧ .

(٣) أعمال الإعلام ص٣٠وانظر أيضا ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص١٢١.

(٤) الصحيح الإمارة وإنما قال الخلافة مجازا .

قومسها شريند بن حجاج، الذى استعان به فى العبث بأرباض المدينة[١] .

وبلغ من خطورة ابن حفصون أنه سعى إلى الإتصال بالخلافة العباسية عن طريق ابراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦١هـ/٨٧٥م-٢٨٩هـ/٩٠٢م) أمير افريقية ، رغبة فى أن يضفى على ثورته طابع الشرعية[٢] ، بيد أن اضطرب الأمور بافريقية شغل الأغالبة عن تلبية رغبة ابن حفصون[٣].

أما عن موقف الأمير عبد الله، فإنه أعد عدته للتصدى لابن حفصون فاتبع سياسة تنطوى على التودد إلى أهل قرطبة ونواحيها، فأسقط بعض الضرائب عنهم، كما عمل على تحسين حال الفقراء والعامة[٤]، وأظهر ميله إلى العرب ، وأقر سعيد بن جودى على كورة إلبيرة ، وقمع ثورة المولدين باشبيلية، وخلصت المدينة لإبراهيم بن حجاج، وهو من العرب البلديين .

وفى السنوات الأولى لولاية الأمير عبد الله دارت بينه وبين عمر بن حفصون عدة مناوشات ، تبادل الاثنان خلالها مدينة إستجة[٥] الهامة[٦] ، التى تعد مفتاح العاصمة، وجعل الأمير معسكره فى شقنده جنوبى قرطبة ، واستطاع أصحاب ابن حفصون أن يصلوا إليها ، ويحرقوا خيمته بها[٧] . ويعلق دوزى[٨] على ذلك ، بأنه كان من الممكن أن تسقط قرطبة

---

(١) ابن حيان: المقتبس س ٣ ص ٩٢.

(2) Dozy: op. cit. pp. 356-357 .

(٣) ابن حيان: المقتبس س٣ ص ٩٣، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٣ ص ٣٩٥ .

(٤) ابن حيان: المقتبس س٣ ص ٣٣-٣٥ .

(٥) تبين القبلة والغرب من قرطبة ، بينهما مرحلة كاملة، وهى مدينة قديمة" الحميرى: الروض المعطار ص ١٤ ، وانظر أيضا: ياقوت: معجم البلدان جـ ١ص ٢٢٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس س ٣ ص ٥٠-٥١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص٢٨.

(٧) أخبار مجموعة ص ١٥١، ابن حيان: المقتبس س٣ ص ٩٣-٩٤.

(8) op. cit. p. 355 .

فى أيدى الثوار، لأن النصارى لم يكونوا قد نسوا بعد شهداءهم الذين فقدوهم قبل أربعين سنة .

وقعت المعركة الأساسية عند حصن بُلاى Polei(١) فى ٢ صفر سنة ٢٧٨هـ/ ١٦ مايو ٨٩٠ م ، وكان أحمد بن محمد بن أبى عبدة يقود جنود الأندلس الذين بلغ عددهم ثمانية عشر ألفا، بينما كان مع ابن حفصون ثلاثون ألفا ، وأسفرت المعركة عن هزيمة الثائر ، وتراجعه إلى حصن بلاى ، لكنه وجد معظم أصحابه قد انفضوا عنه، ففارق الحصن وانسحب جنوبا ، فاقتحمه المسلمون ، وقتلوا عددا كبيرا من أهله ، ثم قصد الأمير استجة واستردها، وطارد ابن حفصون إلى معقله ببشتر، ثم عاد إلى قرطبة وفى عودته تعقب ابن حفصون مؤخرة جيشه ، لكن الأمير أحبط خطته وقتل عددا من أصحابه(٢) .

تجلى الطابع الدينى لثورة عمر بن حفصون فى معركة بلاى ، فكان معه قسيسون يحرضون جنوده، كما كان مع الأمير عبد الله فريق من الفقهاء الأجلاء ، مثل عبيد الله بن يحى بن يحى ، وعندما هرب ابن حفصون من حصن بلاى تعلق ببرذون هجين بعض نصارى أصحابه ولما اقتحم المسلمون الحصن قتلوا من فى أيديهم من أسرى نصارى(٣) .

ومع ما كان لمعركة بلاى من أثر طيب فى نفوس المسلمين، إلا أنها لم تمنع الثائر من المعاندة عدة سنوات، وواصل المسلمون توجيه صوائفهم إليه،

(١) "ومن حصن بلاى إلى مدينة قرطبة ٢٠ ميلا" الادريسى: صفة المغرب ص ٢٠٦ ويدعى اليوم Aguilar de la Frontera Simonet : op.cit. p. 554

(٢) ابن عبد ربه:العقد الفريد جـ٣ص٢٠٧، ابن عذارى:البيان المغرب جـ٢ ص١٢٣.

(٣) ابن حيان : المقتبس س ٣ ص ٩٥-٩٦ .

وظل الفريقان يتحاربان دون نتيجة حاسمة. ومن مظاهر هذا النضال أن هدم المسلمون في صائفة سنة ٢٨٠هـ/ ٨٣٩م كنيسة كان والد عمر بن حفصون قد بناها على مقربة من ببشتر، كما قتلوا حفص بن المرة النصراني أحد كبار أعوانه(١).

عمد ابن حفصون إلى تأليب البلاد على الأمير عبد الله، فاتجه في سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨ إلى التحالف مع بني قسي أصحاب الثغر الأعلى، واتفق مع محمد بن لب القسوي على الإجتماع في بعض أطراف جيان ، لكن الحرب التي نشبت بين ابن لب وبين أبي عبد الرحمن التجيبي جعلته يرسل ولده لبا بدلا منه، ولما بلغ هذا الأخير موت أبيه على أبواب طليطلة آثر العودة من حيث أتى(٢) .

لم يمض عام واحد، حتى طرأ تطور على الصراع بين الحكومة الإسلامية في الأندلس وبين عمر بن حفصون. يقول ابن حيان"(٣) فيها أظهر اللعين عمر بن حفصون النصرانية، وباطن العجم نصارى الذمة، واستخلصهم(٤) بالكلمة، وأيدهم وفضلهم، وتعصب على المسلمين ، وأساء الظن بهم" .

بعد أن أعلن ابن حفصون تنصره اتصل بملك ليون،كما اتصل بالأدارسة بالمغرب الأقصى(٥) ، وخطب لابراهيم بن القاسم بن إدريس صاحب

---

(١) المصدر نفسه س٣ ص ١٠٨-١٠٩ .

(٢) المصدر نفسه س ٣ ص ١٢٧ .

(٣) المصدر نفسه س ٣ ص ١٢٨ .

(٤) أي اختارهم - ابن منظور : لسان العرب جـ ٢ ص ١٢٢٧ .

(٥) تأسست دولة الأدارسة على يدي إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، وزالت في سنة ٣٦٤هـ/٩٤٧م، ويرجح أن ابن حفصون اتصل بالأدارسة عندما يئس من عون الخلافة العباسية له .

البصرة(١) ، على أن العون الحقيقى جاءه من إشبيلية .

كان ابراهيم بن حجاج قد استطاع أن يستقل باشبيلية(٢) ، وساءت علاقاته بالأمير عبد الله ، لأنه رفض أن يطلق سراح ولده الذى أخذه رهينة، كما أن ابن حفصون من ناحيته وجد فى التحالف مع ابن حجاج سبيلا ، لأن يعيد ثقة المسلمين به(٣) ، غير أن الهزيمة التى حلت بالحليفين فى العام التالى، واطلاق الأمير عبد الله ولد ابن حجاج أنهيا هذا التحالف(٤) .

كذلك عمدت الدولة إلى توجيه جهودها فى السنوات التالية إلى الثوار الذين حالفوا ابن حفصون ، وارتدوا إلى النصرانية ، مثل سعيد بن مستنة وسعيد بن هذيل، وسعت فى الوقت نفسه إلى استعادة ما فقدته من نفوذ فى مناطق أخرى من الأندلس مثل سرقسطة(٥).

عندما صعد نجم الفاطميين فى بلاد المغرب وبدت نذر الصراع بينهم وبين الأمويين فى الأندلس اتجه ابن حفصون إليهم، لمديد العون له فصارت

---

(١) ابن حزم: نقط العروس،ص ٧٥ "والبصرة أيضا بلد فى المغرب فى أقصاه قرب السوس خربت" ياقوت: معجم البلدان،جـ ٢ ص ٢٠٧.

(٢) بعد قمع ثورة المولدين باشبيلية، اقتسم السلطة بها ابراهيم بن حجاج وكريب ابن خلدون، مع الاعتراف بالطاعة للأمير عبد الله، على أن ابن حجاج قتل كريبا وابن أخيه خالد، وانفرد بحكم المدينة فى سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م،ولم يلبث أن ضم إليها قرمونة.

انظر العذرى: نصوص عن الأندلس ص ١٠٠-١٠٤، ابن خلدون: العبر ،جـ٧ص ٣١٨ .

(3) Dozy: op. p. 375.

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس،ص ١٢٠-١٢١، ابن حيان: المقتبس ق٣ ص ١٢٩-١٣٠ .

(٥) راجع هذه التفصيلات فى ابن حيان: المقتبس،ق٣ ص ١٣٩-١٤٣ .

تبحر سفنهم من العدوة إليه ، الأمر الذى دفع عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٠١هـ/٩١٤ م إلى الترصد لها ، واحراق عدد منها ، كما شحن مراكبه بالأسلحة والعدد والنفط ، وجعلها تتجول قرب الساحل ، لمراقبة ما يأتى من البر الآخر(١) .

قاد عبد الرحمن الثالث فى أعقاب ولايته سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م حملة لمحاربة عمر بن حفصون ، توجه بها إلى كورة إلبيرة ، واستولى على نحو سبعين حصنا من حصونه وحصون أصحابه(٢) . وسار فى العام التالى إلى كورة رية ، والتقى بابن حفصون قرب طرش ، وهزمه وجال فى أنحاء الجزيرة الخضراء وشذونة وقرمونة(٣) .

وفى سنة ٣٠٢هـ/٩١٥م حدثت مجاعة بالأندلس ، جعلت الأمير يرجئ الغزو إلى العام التالى ، لكنه قبل أن يتخذ أهبته، كان ابن حفصون قد أظهر ميله إلى السلم، فأرسل إلى عبد الرحمن يتودد إليه ويذكره بصنيعه مع أبيه محمد ، حين خرج على جده الأمير عبد الله فآواه وأكرمه(٤) ، وتدخل فى الوساطة عدد من أصدقاء ابن حفصون من الوزراء ، مثل يحى بن اسحق الطبيب - وهو من أصل نصرانى - والحاجب بدر بن أحمد ، كما تدخل فى

---

(١) الرازى فى ابن حيان: المقتبس س٢ ص ٨٧-٨٨ .

(٢) ابن حيان: المقتبس س٥ ص ٦٠-٦٧، مدونة مجهولة ص ٣٧-٣٨ .

(٣) ابن حيان : المقتبس س٥ ص٨٥ - ٩٣ ، مدونة مجهولة ص ٤٢-٤٣ .

(٤) كان محمد أكبر أبناء الأمير عبد الله، ووقع صراع بينه وبين أخيه المطرف على ولاية العهد، ثم أوجس خيفة من أبيه وهرب إلى ابن حفصون ثم عفا عنه أبوه، لكنه لم يلبث أن قتله بتحريض من المطرف فى سنة ٢٧٧هـ/٨٩١م على أن الأمير عبد الله ندم على فعله ذلك وقتل المطرف فى سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م وجعل عبد الرحمن بن محمد ولى عهده. انظر ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص ١٥٦ وما بعدها .

الوساطة أيضا عدد من رجال ابن حفصون مثل جعفر بن مقسم أسقف ببشتر، وتم عقد الصلح، وبلغ عدد الحصون التي دخلت في أمان ابن حفصون مائة واثنين وستين حصنا(١) .

هيأت فرصة السلم لعبد الرحمن الثالث، أن يواصل توجيه الغزوات لنصارى الشمال، كما أخمد حركات بعض الثوار. وقد وفى ابن حفصون لأول مرة بعهوده، فلما نقض ولده سليمان شروط الصلح في العام التالي، واستولى على أبَّذة Ubeda، حاربه والده، ورد الحصن إلى الأمير عبد الرحمن، وعندما عاود سليمان الغدر واسترد الحصن، حاربه أبوموظل يحاصره حتى أصيب بمرض، فعاد إلى ببشتر حيث توفي في شعبان ٣٠٥هـ/ يناير ٩١٨م(٢).

كان عمر بن حفصون قد اشتد عليه المرض في أيامه الأخيرة، وصار يختلي إلى نفسه بكنيسة ببشتر للتعبد، ومات نصرانيا، ودفن تبعا لطقوس أجداده(٣).

---

(١) ابن حيان : المقتبس ج٥ ص ١١٣-١١٦ .

(٢) ابن حيان: المقتبس ج٥ ص ١٣٠-١٣١ .

(3) Lévi - Provençal: op. vol II p. 15.

وينظر الإسبان إلى عمر بن حفصون، على أنه أول بطل قومي منذ فيرياتوس Viriathus الذي قاد ثورة لتحرير بلاده من الرومان، ويطلقون عليه خوسيه ماريا القرن التاسع، وهو بطل إسباني دوخ الجيوش الفرنسية إبان الحروب النابليونية Dozy:op. cit. pp. 320, 392 ويذهب سيمونيت فيزعم أنه تحول من زعيم عصابة Ratero إلى زعيم أمة Caudillo 518 op. cit. وما يذهب إليه هؤلاء غير صحيح، وكان ابن حفصون يسر النصرانية، ثم جهر بها بعد أن قوى أمره، وأسرف في عدائه للمسلمين، وغلب الطابع الديني على ثورته، بعد أن انحاز إليه النصارى المعاهدون، وصاروا "أعز الفريقين عنده" وسعى إلى إعادة إسبانيا إلى حظيرة النصرانية وطرد المسلمين منها .

أنجب عمر بن حفصون أربعة من البنين هم جعفر وسليمان وعبد الرحمن وحفص، وبنتا هي أرخنتيا Argéntea(١) فأقام جعفر في ببشتر، وسليمان في أبذة وعبد الرحمن في طرش. وبعد شهور استرد الأمير أبذة، وأسر سليمان وجاء به إلى قرطبة، فجعله في رجاله(٢)، أما عبد الرحمن الذي كان على خلاف مع أخيه سليمان، فقد راسل الأمير عبد الرحمن يستأمنه ومن معه، فأجابه ولحق بالحضرة، وصار فيما بعد وراقا(٣).

لم يكد جعفر يخلف أباه، حتى أعلن العصيان، وعزل ابن مقسم أسقف ببشتر، وأبعده إلى أحد الديارات. وتذهب بعض الروايات إلى أن جعفر كان يسر الإسلام، وعلى هذا فقد تآمر عليه أصحابه بزعامة قائده رنمير، وقتلوه في سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. ومن المحتمل أن تكون لأخيه سليمان المقيم بقرطبة يد في اغتياله، لأن القتلة استدعوه، فخرج من المدينة مستخفيا، واتخذ مكان أخيه، وأظهر الطاعة في البداية، ولم يلبث أن نكث واستولى على طرش(٤).

وجه الأمير عبد الرحمن جيشه لمحاربة سليمان بن حفصون ببشتر في سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م واسترد طرش وغيرها من الحصون الهامة، كما أنزل بني سعيد بن مستنة من حصونهم في كورة باغة(٥).

عاود عبد الرحمن الثالث التضييق على سليمان، فسير إليه في عام ٣١٤هـ/٩٢٦م عبد الحميد بن بسيل الذي ظفر به خارج ببشتر، وقتل وصلب

---

(١) أي الفضية ويعني الفعل الإسباني Argentar يفضض.

(٢) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص ١٤٠-١٤١.

(٣) مدونة مجهولة،ص ٦٢، ابن عذارى: البيان المغرب،جـ ٢ ص ١٧٥.

(٤) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص١٤٠، ١٦٨-١٦٩، مدونة مجهولة،ص ٦٤-٦٥.

(٥) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص ١٧٣، مدونة مجهولة،ص ٦٧-٧٢.

على خشبة عالية على باب السدة(١). ومما يجدر ذكره أن البلاد كانت تعاني من القحط في هذا العام، ثم نزل الغيث، يوم رفع جثة سليمان بن عمر بن حفصون، فقال أحد الشعراء(٢) .

سماء بمور(٣) الغيث متهاوديمة(٤) ... دماء العدى تهمي(٥) به وتمورُ

غياثان فينا وأكفان من الحيا ... ولكن ذا رجس وذاك طهور

وذاك نجيع ليس يقبله الثرى ... وذا ناجع يسري به ويغور

تدنست الدنيا به فتطهرت ... بطون لها من رجسه وظهور

خلف حفص أخاه سليمان في ببشتر، وفي ربيع الأول سنة ٣١٥هـ/ مايو ٩٢٧م سار الأمير بنفسه، ومعه ولده الحكم، وشدد الحصار على المدينة، وبنى حصنا تجاهها، جعل عليه سعيد بن المنذر القرشي، وجال بين الحصون المجاورة، ثم عاد إلى قرطبة(٦) .

ضاق حفص بالحصار، وكتب إلى عبد الرحمن يستأمنه، على أن يخرج من الجبل، فوافق واقتحم المسلمون المدينة في٢٣ ذي القعدة سنة ٣١٥هـ/١٧ يناير ٩٢٨م، ولما قدم حفص إلى قرطبة، صفح عنه الأمير وصيره في حاشيته(٧)، ثم أرسل إلىأقطار الأندلس كتابا بالفتح أمربقراءته فيالجوامع(٨).

---

(١) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص ٢٠٤-٢٠٥، مدونة مجهولة،ص ٧٣.

(٢) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) سال وجرى، ابن منظور: لسان العرب،جـ ٦ ص ٤٢٩٧-٤٢٩٩.

(٤) مطر يكون مع سكون، ابن منظور: لسان العرب جـ ٢ ص ١٤٥٧ .

(٥) سال وجرى، ابن منظور: لسان العرب،جـ٦ ص ٤٧٠٥ .

(٦) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص ٢٠٩-٢١٢ .

(٧) المصدر السابق،س٥ ص٢١٢-٢١٣، مدونة مجهولة،ص ٧٣-٧٥ .

(٨) ابن حيان: المقتبس،س٥ ص٢٢٦-٢٣١ .

وفى ١٩ محرم سنة ٣١٦هـ/١١مارس ٩٢٨م زار الخليفة الناصر لدين الله، ويصحبته ولده الحكم ببشتر، وعمل على إزالة آثار الثورة بها، ودخل مسجدها القديم المهجور، وصلى فيه، وأمر بإقامة الصلوات به، كما هدم الكنائس التى كان ابن حفصون قد أقامها، وأتى بعظامه من قبره، لترفع إلى جانب أشلاء سليمان على باب السدة(١) .

أما أرخنتيا ابنة عمر بن حفصون، التى ترهبت فى حياة أبيها، وأقامت فى دير أنشأه داخل ببشتر فقد ثالت نفسها إلى الإستشهاد، فاستفزت السلطات، وفعلت ما سبق أن فعلته فلورا ومارية وليوكريتيا، فأعدمت فى ١٣ مايو سنة ٩٣١م ودفنت فى كنيسة القديسين الثلاثة Iglesia de los tres Santos بقرطبة، ورسمها النصارى قديسة(٢) .

---

(١) المصدر نفسه ج٥ ص ٢١٥-٢١٨ .

(2) Simonet: op. cit. pp. 596-598.

الفصل العاشر

نصارى الأندلس والصراع بين المسلمين وبين ممالك إسبانيا النصرانية

شارك عدد من النصارى فى النضال الذى حدث بين المسلمين وبين نصارى الشمال، واتخذوا جانب اخوانهم فى الدين، الأمر الذى يعد نقضا لعقد الذمة .

ومن الثابت أن فريقا من النصارى المعاهدين هاجروا من الأندلس إلى ممالك الشمال النصرانية، ويروى بعض المؤرخين أن سبب هذه الهجرات يرجع إلى ما تعرض له النصارى من عسف المسلمين واضطهادهم،وهذا الزعم لاتؤيده الأحداث، فالذين هاجروا فى أعقاب الفتح عاد معظمهم بعد أن اطمأنوا إلى تسامح المسلمين وعد لهم(١).

وإذا كان فريق آخر من النصارى المعاهدين هاجروا فى عصور تالية،فإنهم أرادوا أن يلتحقوا بأرض يسكنها نصارى، ويخضعون لحكم غير إسلامى، ويؤكد هذا أن هجراتهم كانت ترتبط بإنشاء الأديرة، بحيث يمكننا أن نقرر أن معظم الأديرة التى بنيت فى إسبانيا النصرانية، يعود الفضل فى انشائها إلى قوم قدموا من الأندلس(٢) .

---

(1) Lévi - provençal: op. cit. vol.I p. 47

(2) Altamira: A history of Spain. p. 135.

من هذه الأديرة دير ساهاجون Sahagún ودير سان ميجيل دى اسكالادا San Miguel de Escalada ودير سان مارتين دى كاستانييدا San Martín de Castañeda، ونشاهد فى الوثائق الليونية والقشتالية أسماء كهنة مثل مالك وهشام وهلال(١) .

ومن العوامل التى حملت المعاهدين على الهجرة فى بعض الأحيان إلى ممالك الشمال النصرانية، تآمرهم ضد الدولة الإسلامية، واضطرارهم إلى الفرار بعد احباط مؤمراتهم، فابان احتدام الفتنة الكبرى، هاجر عدد منهم(٢) .

كما كان لتشجيع الملوك النصارى لهم أثر كبير فى حفزهم على القدوم إليهم، ليستفيدوا من مستواهم الحضارى المرتفع، فى تعمير الأراضى التى استولوا عليها من المسلمين، والتى كان قد حل بها الخراب .

وكان النصارى المهاجرون يحصلون على براءات من الملوك تتضمن حق الحيازة، والسير وفق أعرافهم وقوانينهم، وعدم التبعية لأحد سوى الملك نفسه(٣) .

قام هؤلاء المستعربون(٤) بدور هام فىالصراع بين المسلمين وبين نصارى الشمال ، فكانوا يشاركون في هذا الصراع على نحو مباشر مثلما حدث فى سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م عندما غدر رذمير الثانى ٩٣٠-٩٥١م ملك ليون

---

(1) Lévi - provençal: op. cit vol III pp. 216 - 217 .

(2) Livermore:op. cit. p. 327 .

(٣) تتردد أسماء هؤلاء المعاهدين فى السفارات التى توجهت من ممالك الشمال النصرانية إلى الأندلس فى عصر الخلافة. ابن حيان: المقتبس ق٥ ص٤٦٥ - ٤٦٧، ٤٧٥-٤٧٧، قطعة الحكم المستنصر ص٢٤١-٢٤٢ .

(٤) وهو الاسم الذى كان يطلق على المعاهدين المهاجرين فى إسبانيا النصرانية .

بالمسلمين، واجتمع مع صهره غرسية بن شانجة ٩٢٦-٩٧٠ صاحب بنبلونة، وقصدا تطيلة Tudela[١]، دارت حرب عظيمة، استشهد فيها عدد من المسلمين ثم رد الله الكرة للمسلمين عليهم، فانهزموا وقتل منهم أبو المنذر قومس شُنْت إشْتِيبَن San Esteban de Gormaz (غُرْماج[٢]).

كذلك كان يستعان بالمستعربين في بناء المعاقل والمدن الحصينة في مناطق التخوم، مثل مدينة سمورة، التي أنشأها أذفونش الثالث في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، واتخذت مركزا هاما للتصدي للمسلمين، مما دفع أحد أبناء البيت الأموي، وهو أحمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن هشام الرضي المعروف بابن القط، لأن يحشد بعض المتطوعة، لمعاونته في الإستيلاء عليها سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، لكن محاولته فشلت وهزم، واحتزت رأسه وعلقت على بابها[٣]. ودارت قرب أسوارها معركة الخندق المشهورة، التي هزم فيها عبد الرحمن الناصر، وكاد يفقد حياته ولم يتمكن المسلمون من اقتحام هذه المدينة، حتى فتحها المنصور بن أبي عامر في سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، ودعا المسلمين إلى استيطانها في سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩[٤].

---

(١) " مدينة بالأندلس في جوفي وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ويطيف بجنات تطيلة نهر كالش، وهي من أكرم تلك الثغور تربة" الحميري : الروض المعطار ص ٦٤. وانظر أيضا: ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص ٣٩٢ .

(٢) ابن حيان: المقتبس س٥ ص ٤٨٤، أشتين حصن بالأندلس على يسار الطريق تحت أسفل جبل ممتنع لايدركه لمقاتل طمع بني عليه بعض الملوك حصونا كثيرة" الحميري: الروض المعطار ص ٢٢ .

(٣) ابن حيان: المقتبس س ١٣٣-١٣٧ .

(٤) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٨١ .

وإلى جانب المعاهدين المهاجرين، فإن عددا من المعاهدين المقيمين بالأندلس، دخلوا في الصراع الدائر مع نصارى الشمال، فأعانوا شارلمان(١) في حملته على الأندلس(٢) وبعد فشل الحملة، أجبرهم المسلمون على الهجرة، حيث عوملت جالياتهم معاملة سيئة على أيدي اخوانهم نصارى الشمال(٣).

وإبان الصراع بين المسلمين والفرنجة، بعد إنشاء الثغر الإسباني (أو القوطي) في سنة ١٨٥هـ/٨٠١م(٤) جرى اتصال بين نصارى ماردة وبين لويس التقي(٥) Ludovico pío ابن شارلمان(٨١٤-٨٤٠م) فأرسل لويس إليهم

---

(١) ويعرف في الحوليات العربية بقارْلُه وهو تعريب للاسم اللاتيني Carolus .

(٢) انتهز شارلمان فرصة خروج بعض المسلمين بالثغر الأعلى على عبد الرحمن الداخل، لبسط سلطانه عليها، فقام بحملته الشهيرة في سنة ١٦١هـ/٧٧٨م ، لكن هذه الحملة تعثرت على أبواب سرقسطة، فارتد شارلمان بجيشه عائدا إلى بلاده، وفي عودته فتك المسلمون والبشكنس بمؤخرته في شعب رونسسفال Roncesvalles بجبال البرت ويتردد صدى هذه المعركة في أغنية رولان Chanson de Roland التي ذاع صيتها في زمن الحروب الصليبية، انظر . عبادة كحيلة: صقر قريش. الفصل السابع .

(٣) رينو: تاريخ غزوات العرب.ص ١٢٢، توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام. ص ١٥٩ .

(٤) لم تهدأ أطماع الفرنجة في بلاد الأندلس، بعد فشل حملة شارلمان، وعاودوا التحالف مع الثوار المسلمين، ومنهم بعض أفراد الأسرة الأموية كما جرى اتصال مع الخلافة العباسية، وفي سنة ١٨٥هـ/٨٠١م سير شارلمان ولده لويس في جيش كبير حاصر برشلونة، ومنع الأمداد عنها، إلى أن سقطت في يديه وصارت قاعدة للثغر الإسباني الذي أضحى بعد إتساعه نواة لإمارة قطالونيا .

(٥) ويعرف عند المسلمين بلُودْويق وهو تعريب لاسمه اللطيني Ludovicus .

سنة ٨٢٨م ردا على خطاب أرسلوه إليه، وقد تضمن الرد ما يعانيه هؤلاء من الضرائب والأموال التى يؤدونها إلى الأمير(كذا!) ووعدهم بأنهم إذا ثاروا على المسلمين، ودخلوا فى طاعته، أعاد إليهم حريتهم وتركهم يسيرون وفق أعرافهم وقوانينهم، وفضلا عن ذلك، فقد ابدى استعداده، لإرسال جيشه لقتال عبد الرحمن الأوسط إذا توجه إليهم، وأوضح لهم أن كل من يرغب فى الهجرة، فإنه سيجد الأمان والملجأ عنده(١).

ومما يجدر ذكره أن خطاب لويس هذا وجه "إلى الأساقفة والشعب فى ماردة" مما يؤكد أن نصارى هذه المدينة وحدهم، هم الذين طلبوا عونه .

على أنه يتضح مما ترويه المصادر العربية أن النصارى من أهل ماردة، انتهزوا فرصة عصيان عدد من المسلمين بهذه المدينة، وانشغال عبد الرحمن الأوسط(٢) بهم، فتآمروا ضد الدولة، وحثوا ملك الفرنجة على غزو الأندلس، غير أن الغزوة التى قام بها لويس باءت بالفشل وتوالت بعوث المسلمين إلى بلاد الفرنجة وهاجرعدد من أهل ماردة النصارى إلى الشمال(٣).

وفى عهد الفتنة الكبرى، شارك نصارى طليطلة فى وضع مدينتهم تحت حماية ملك ليون، وظلت على هذه الحال، حتى تمكن عبد الرحمن الناصر من إعادتها إلى الطاعة فى سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م(٤) .

---

(1) Lévi-provençal : op. cit. vol. I. pp. 228-229.

(٢) فى سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م ثار بماردة رجل من المولدين يدعى سليمان بن مرتين، وآخر من البربر يدعى محمود بن عبد الجبار بن راحلة، وقد أخمدت الثورة، وقتل ابن مرتين، وهرب ابن راحلة إلى الفونش الثانى ملك جليقية ، الذى رحب به فترة، ثم اختلف معه وقتله. ابن الأثير: الكامل.جـ ٦ ص ١٥٦. ابن سعيد: المغرب.جـ١ ص ٤٨ .

(3) Livermore: op. cit. p. 380 .

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب.جـ ٢ ص ٢٠٦-٢٠٨ .

ويذكر بعض الكتاب(١) أن عمر بن حفصون، تحالف مع فرتون غرسية ملك نبرة ٨٧٠-٩٠٥م، وأن ولده غالب تحالف مع شانجه الأول غرسية ٩٠٥-٩٢٦م، غير أنه لم يرد في المصادر، ما يؤيد ذلك، فلم يتحالف ابن حفصون مع ملك نبرة، كما أنه لم يكن له ولد يدعى غالب .

ويشير سيمونيت(٢)، إلى أنه جرى تحالف بين عمر بن حفصون وبين أذفونش الثالث ملك ليون، وأن هذا التحالف تم بعد تنصره في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، ولكن بعد المسافة، جعل هذا التحالف، لايسفر عن شئ .

وإذا نحن عاودنا مصادرنا الأصلية، نجد نصا به قطوع أورده ابن خلدون(٣) جاء فيه "فلما.......وثمانين.... عمر بن حفصون، وخالص ملك الجلالقة(٤)، فنبذ إليه أمراؤه بالحصون عهده" ونستطيع أن نقرأ النص كما يلي "فلما كانت سنة ست وثمانين ومائتين، تنصر عمر بن حفصون، وخالص ملك الجلالقة، فنبذ إليه امراؤه بالحصون عهده" .

يتبين مما سبق ذكره أن ثمة حلفا، وقع بين زعيم الثوار من النصارى المعاهدين، وبين ملك ليون، ولم يترتب على هذا الحلف عون مباشر لابن حفصون، وربما كان السبب في ذلك، ما جرى داخل مملكة ليون، في أواخر عهد أذفونش الكبير، من نزاع على العرش، أفضى إلى اعتزاله في سنة ٩١٠م .

---

(١) عبد الرحمن الحجي: أندلسيات . بيروت، دار الإرشاد، ١٩٦٩م ص ١٢٣ .
(2) op. cit. p. 569 .
(٣) العبر جـ ٤ ص ١٣٥ وابن خلدون هو المصدر الوحيد بين مصادرنا الذي يشير إلى وقوع هذا الحلف .
(٤) أي صالحه . ابن منظور: لسان العرب جـ ٢ ص ١٢٢٨ .

على أنه مما لاشك فيه أن مملكة ليون النصرانية، أفادت مما جرى فى الأندلس، فى هذه الحقبة المضطربة، فامتدت حدودها فى عهد أذفونش الثالث، وعبر هذا الملك نهر دويره، وغزا أراضى المسلمين غير مرة، ولقب - فيما يزعمون - بالامبراطور، وعلى النهج نفسه سار ولده أردون الثانى ٩١٠-٩٢٥م، وفى المرحلة نفسها نجح شانجه الأول غرسية ٩٠٥-٩٢٦م فى أن يجعل من إمارة نبرة مملكة عاصمتها بنبلونة، كما انفصل ويفريدو Wifredo(١) ٨٧٣-٨٩٨م ببرشلونة عن الدولة الكارولنجية وجعلها إمارة مستقلة(٢).

كل ذلك دفع عبد الرحمن الثالث(الناصر) بعد انتهاء الفتنة الكبرى، إلى توجيه غزواته إلى ممالك إسبانيا النصرانية، وتابع خلفاؤه سياسته، ووصلت هذه السياسة إلى ذروتها فى عهد المنصور بن أبى عامر. وتحولت هذه الممالك فى أحيان كثيرة إلى ممالك معاهدة تؤدى الجزية، وتشارك فى حروب الخلافة .

لم يقم النصارى المعاهدون بأى نشاط فى هذه الأثناء، على أنه حدث فى إحدى غزوات المنصور العامرى أن تخابر بعض النصارى المعاهدين من جنوده مع إخوانهم النصارى الحربيين، ولما وصلت إليه هذه الأخبار أمر بضرب أعناقهم .

• • •

(١) ويعرف بالكثيف الشعر el Velloso .

(2) O'Callaghan : op. cit. PP. 114 -115 .

لما سقطت الخلافة الأموية بقرطبة فى عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م، حافظ النصارى المعاهدون على وجودهم كأقلية، تعيش فى سلام مع إخوانهم المسلمين، وواصل حكام المسلمين الذين دعوا بملوك الطوائف سياستهم فى استخدامهم، فاتخذ المقتدر بن هود ملك سرقسطة٤٣٨هـ/١٠٤٦م-٤٧٤هـ/١٠٨١م ابا عامر بن غند شلب Gundisalvo وهو من المستعربين وزيرا له(١) .

كان بعض المستعربين يقدرون حسن معاملة المسلمين لهم، فوقفوا منهم موقفا وديا، ابان المحن التى أصابتهم عند تفرق أمر الأندلس، فكان شِشْنَنْد Sisenando وزير ألفونش السادس ملك ليون - وهو من المستعربين - حسن السياسة مع المسلمين بعد سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م(٢) .

على أن البعض الآخر اتخذوا موقفا عدائيا من المسلمين عندما رجحت كفة النصارى فى الصراع الدائر على شبه الجزيرة، ويبدو هذا بوضوح فى غزوة ألفونش المحارب el Batallador ملك أرغونة١١٠٤-١١٣٤م للأندلس فى سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، فقد اخترقها من أقصاها إلى أدناها، ووصل إلى ساحل البحر الرومى (المتوسط) فيما يلى غرناطة ، وقد أيده المعاهدون بعدة آلاف من خيرة مقاتليهم، وأخفق المرابطون فى التصدى له(٣).

---

(١) محمد عبد الله عنان: دول الإسلام فى الأندلس، دول الطوائف.ص٤١٢ .

(٢) ابن بسام: الذخيرة.ق٤ م١ ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب.جـ ٤ ص ٦٩-٧١، ابن الخطيب: الإحاطة.ص ١٠٨-١١٤، وكان يتزعم المعاهدين رجل تدعوه مصادرنا العربية بابن القلاس، ولانعلم اسمه اللاتينى .

نتج عن نقض المعاهدين عهد الذمة أن هرب عشرة آلاف منهم صحبة ملك النصارى فى عوده شمالا(١)، وأفتى ابن رشد(الجد) بتغريبهم إلى بلاد المغرب(٢)، فارتحل معظمهم إلى هناك، حيث عمل بعضهم فى حرس أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠هـ/١١٠٧م ٥٣٧هـ/١١٤٣م) الذى أحسن معاملتهم، كما أسلم بعض آخر(٣).

ولما استولى الموحدون على أزِمَّة الحكم فى المغرب، بعد سقوط دولة المرابطين سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، عاد عدد من النصارى إلى الأندلس، وسمح لهم بالإستقرار فى وادى تاجة(٤) وصاروا يشكلون عنصرا من عناصر السكان فى مملكة غرناطة(٥) وأسلم بعضهم، ثم عاد معظمهم إلى دين آبائهم بعد سقوط المدينة فى سنة٨٩٧هـ/١٤٩٢م وانتهاء دولة الإسلام بالأندلس .

---

(1) O' Callaghan: op. cit. p. 221.

وقد اختص سيمونيت حملة الفونسو المحارب بالفصل التاسع والثلاثين من كتابه.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة جـ ١ ص ١١٣-١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٢ .

(٣) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام بالأندلس، عصر المرابطين والموحدين ق١ ص ٢٤٢ .

(4) O' Callaghan: op. cit. p. 286

(٥) وهى مملكة بنى نصر أو بنى الأحمر ٦٢٩هـ/١٢٣٢م-٨٩٧هـ/١٤٩٢م .

خاتمـــة

أسفر فتح المسلمين بلاد الأندلس عن ظهور سبعة عناصر رئيسية ؛هى العرب ، البربر، الموالي، المولدون، النصارى المعاهدون، اليهود، العبيد.

ومع أن هذه العناصر، كانت تتفاوت على نحو ما فى أصولها العرقية، فإنها لم تكن تتفاوت كثيراً فى أوضاعها الاجتماعيـة، فكانت الفرصـة متاحةً، لكل من أظهر نباهةً، وأبدى امتيازاً فى ناحية من النواحى، أن يحقق ما يصبو إليه، ويظفر بالمكانة المناسبة له فى مجتمعه.

وإذا كان ثمة تمييز فى البداية بيـن الشامية القيسية مـن العرب، وبيـن غيرهم من عناصر المجتمع الأندلسى، فإن هذا التمييز لم يلبث أن خفت حدتـه مع استعانة الدولة بالأجناد المرتزقة والصقالبة.

ومن التغييرات التى طرأت علـى المجتمـع، ويرجـع للمسلمين الفضـل فيها، تحسن أحوال العبيد، وعدم جواز الفصل بين أفراد الأسرة الواحدة منهم، والتشجيع على عتقهم.

وبناءً على ذلك أسـهمت عنـاصر المجتمـع الأندلسـى فـى إدارة الدولـة، وشاركت فى الحياة السياسية وفى الحياة العقلية، ونشأت بين بعضهـا علاقـات تسودها المودة والرحمة.

أما فـى ممـالك اسبانيا النصرانيـة، فقد استمر التقسيم الطبقـى القديم، وأضيف إليه عنصر جديد، قوامـه المسلمون الأسرى، وكـانوا يعـاملون فـى معظمهم - وبخاصة فى الصدر الأول - معاملة العبيد.

استطاع المعـاهدون مـن نصـــارى الأندلـس أن يعيشـوا حيـاة طيبـة، لايختلفون عن غـيرهم مـن العنـاصر، وسـمحت الدولـة لهم بـأن يسيروا فـى

حياتهم وفق المنهج الذى يلائمهم، ولم تتدخل فى أمورهم الخاصة، فاحتفظوا بكنائسهم ودور عباداتهم، وحقهم فى إقامة شعائرهم وعقد مجامعهم. ولم تضع قيوداً عليهم فى لباسهم، أو علامات يتميزون بها، كما لم تسع لإرغامهم على تغيير دينهم، ولم تتعسف فى جمع الأموال منهم.

كذلك أتاحت الدولة للنصارى أن يختاروا حكامهم، ومن يمثلهم لديها، وأتاحت لهم أيضاً أن يكون لهم قضاتهم، يقضون بينهم وفقاً لكتاب القوانين الموروث من عهد القوط، والذى تمت ترجمته إلى العربية، ولم تعمل على إلزامهم بأحكامها.

وكانت الدولة تستعين بالنصارى فى وظائفها، وأجرت عليهم الأرزاق، كما استخدمتهم فى جيوشها، ومنحت بعض من أقام منهم فى مناطق الثغور قدراً من الاستقلال.

وكان النصارى يرتبطون بالمسلمين بعلاقات طيبة ومصاهرات، مما ترتب عليها فقد المسلمين تفاوتهم العرقية، والتباسهم بعض عادات أهل البلاد، فضلاً عن إلمامهم بلغتهم اللاتينية.

كذلك كانت الحال بالنسبة للنصارى، فقد تأثروا بالمسلمين، وصاروا يتحدثون بلغتهم العربية، ويؤلفون بها كتبهم، ويتدارسون نصوص دينهم، بل إن منهم من نظم شعراً عربياً.

على أن أوضح مجال لهذا التأثير هو انتشار الإسلام بين النصاري بحيث أوضحت بلاد الأندلس فى مطلع القرن الرابع الهجرى دولةً إسلامية بها أقلية نصرانية.

وليس أدل على تحسن أوضاع النصارى بالأندلس من أن المهاجرين منهم إلى الشمال، كانوا يشكلون عنصراً أرقى حضارياً بين عناصر السكان،

فساد فنهم هناك، كما تجلى نشاطهم فى كتابة حوليات تاريخ إسبانيا فى العصور الوسطى.

على أن هذا كله لم يمنع بعض النصارى من أن يستغلوا تسامح الدولة معهم على نحو سيء، وبخاصة فى فترات الضعف فينزعون إلى مناهضة المجتمع الأندلسي، وهو مايتضح فى حادثة الشهداء النصارى بقرطبة، وسعيهم إلى فتنة بعض المسلمين عن دينهم، كما يتضح أيضاً من دورهم فى الفتنة الكبرى، وما قام به عمر بن حفصون من اضفاء الطابع الدينى عليها، وبلغ من خطورة حركته أن كادت قرطبة نفسها تسقط فى يديه.

كذلك سعى عدد من المعاهدين إلى الاتصال بنصارى الشمال، ومعاونتهم فى الصراع الذى كان سجالاً بينهم وبين المسلمين.

نجحت الدولة فى أوائل القرن الرابع الهجرى فى إحباط هذه المساعى جميعها، غير أنه لما زالت الخلافة وتفرق أمر المسلمين، عاود المعاهدون نقض العهد، فأعانوا ألفونش المحارب ملك أرغونة فى حملته الشهيرة التى انتهى فيها إلى قاصية الجنوب، ونتيجة لذلك صدرت الفتوى بتغريبهم إلى العدوة. فأسلم بعضهم وهلك بعض آخر.

يتضح لنا من دراسة أوضاع النصارى أن المسلمين فى علاقاتهم بأهل الذمة، كانوا على قدر كبير من التسامح، فقد استطاعوا أن يستوعبوا فى دولتهم أقليات منهم، عاشت فى سلام، واحتلت مراكز مرموقة.

كما يتضح أيضاً أن التسامح مع الاقليات الدينية فى الدولة الإسلامية لايكفى وحده لضمان ولاء هذه الأقليات، فلابد أن يصحب هذا العنصر عنصر آخر، وهو قوة الدولة التى تعد الضمان الحقيقى لولاء رعاياها جميعهم مسلمين وغير مسلمين.

وقد شاهدنا ما قام به بعض النصارى بعد انقضاء الخلافة الأموية من الاتحاد مع إخوانهم في الدين، "نصارى الشمال" ضد إخوانهم في الوطن "المسلمون".

ومن الأمور التي تسترعي النظر، ذلك الخطأ الذي وقع فيه بعض المستشرقين بخصوص انتشار الإسلام في الأندلس، فقد أرجعوا ذلك الانتشار إلى أسباب مادية، كما فسروا حادثة الشهداء من النصارى بقرطبة بأنها نتيجة لاضطهاد المسلمين لهم، وادعوا أن اللغة اللاتينية كانت اللغة العامة المشتركة بين عناصر المجتمع الأندلسي.

وإذا كان من المتفق عليه بين الباحثين، أن الأندلس كانت معبراً عبرت عليه الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وأسهمت فيما عرف - بعد - بالنهضة Renaissance، فإنه يتضح من دراستنا أن هذا العبور بدأ في فترة باكرة، وأتى نتيجة لهجرات النصارى المتتابعة إلى الشمال، فنقلوا معهم طرز المسلمين الفنية، وألفاظاً من لغتهم العربية، وبعض علومهم العقلية والنقلية، فضلاً عن عاداتهم وأنماط حياتهم.

• • •

أمراء بني أمية وخلفاؤهم بالأندلس

عبد الرحمن الأول (الداخل) ١٣٨هـ/٧٥٦م – ١٧٢هـ/٧٨٨م

هشـــام الأول (الرضى) ١٧٢هـ/٧٨٨م – ١٨٠هـ/٧٩٦م

الحكـــم الأول (الربضي) ١٨٠هـ/٧٩٦م – ٢٠٦هـ/٨٢٢م

عبد الرحمن الثاني (الأوسط) ٢٠٦هـ/٨٢٢م – ٢٣٨هـ/٨٥٢م

محمـــد الأول ٢٣٨هـ/٨٥٢م – ٢٧٣هـ/٨٨٦م

عبد اللـــه (٢٧٥/٨٨٨ – ٣٠٠/٩١٢) — المنـــذر ٢٧٣/٨٨٦ – ٢٧٥/٨٨٨

محمـــد

عبد الرحمن الثالث (الناصر) ٣٠٠/٩١٢ – ٣٥٠/٩٦١

سليمان — الحكم — سليمان (المستعين) ٤٠٠/١٠٠٩ (مرة أولى) ٤٠٣/١٠١٣– ٤٠٧/١٠١٦ (مرة ثانية)

عبد الملك — محمـــد — هشام الثالث (المعتد بالله) ٤١٨/١٠٢٧–٤٢٢/١٠٣١ ؛ عبد الرحمن الرابع (المرتضى) ٤٠٨/١٠١٨

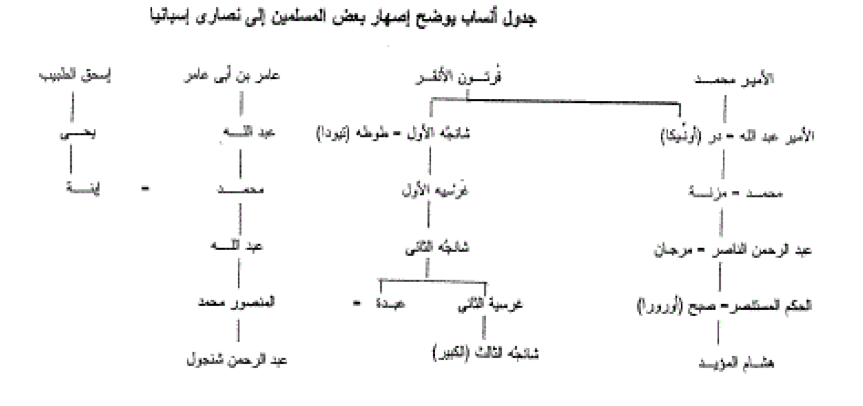
عبد الجبار — هشـــام — عبد الرحمن الخامس (المستظهر) ٤١٤/١٠٢٣–١٠٢٤ ؛ محمد الثاني (المهدي) ٣٩٩/١٠٠٩–٤٠٠/١٠٠٩ (مرة أولى) ٤٠٠/١٠١٠ (مرة ثانية)

عبيـــد الله — عبد الرحمن — محمد الثالث (المستكفي) ٤١٤/١٠٢٤– ٤١٦/١٠٢٥

الحكم الثاني (المستنصر) ٣٥٠/٩٦١–٣٦٦/٩٧٦ — هشام الثاني (المؤيد) ٣٦٦/٩٧٦–٣٩٩/١٠٠٩ (مرة أولى) ٤٠٠/١٠٠٩–٤٠٣/١٠١٣ (مرة ثانية)

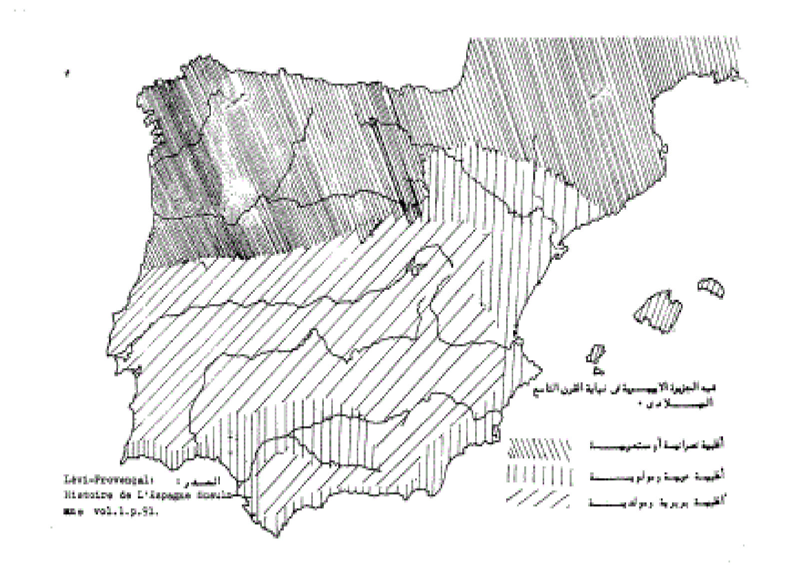
*تخلل هذه القائمة عدد من خلفاء بني حمود الأدارسة هم علي بن حمود٤٠٧/١٠١٦–٤٠٨/١٠١٨، القاسم بن حمود٤٠٨/١٠١٨–٤١٢/١٠٢١يحيى ابن علي بن حمود ٤١٢/١٠٢١–٤١٣/١٠٢٣،القاسم بن حمود(مرة ثانية)٤١٣/١٠٢٣–٤١٤/١٠٢٣يحيى بن علي بن حمود (مرة ثانية) ٤١٦/١٠٢٥.

جدول أنساب يوضح إصهار بعض المسلمين إلى نصارى إسبانيا





الأندلس وممالك اسبانيا النصرانية
في القرن الرابع الهجري



شبه الجزيرة الايبيرية في نهاية القرن التاسع
الميلادي .
أغلبية نصرانية أو مستعربية
أغلبية عربية ومولدية
أغلبية بربرية ومولدية
المصدر :
Levi-Provencal:
Histoire de L'Espagne musulm-
ane vol.1.p.91.



تخطيط لمدينة قرطبة في القرن العاشر الميلادي ·
ويقع حي المجاهدين الى الشرق · بينما يقع حي
اليهود في وسط المدينة قرب قصر الخلافة ·

المصدر : Lévei-Provençal : L'Espagne Musulmane au xéme siécle p. 365.

المصـادر والمراجـع

المصــــادر :

أ - مصــادر مخطوطــة :

١ - **الذهبـي** : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)
سير أعـلام النبلاء (١١ مجلداً) مصـورة بدار الكتـب المصريـة برقم ح١٢١٩٥عن نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩١٠-١٣.

٢ - **ابن السّـيد** : عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ).
المسائل والأجوبة. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم١٠٩ معالم تيمور.

٣ - **العَزَفـي** : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٦٧٧هـ)
الدر المنظم فى مولد النبى المعظم. مخطـوط بـالمتحف البريطـانى برقم٩١٩.

٤ - **الونشريشـي** : أحمد بن يحـى بـن محمـد بـن عبدالواحد بـن علـى (ت٩١٤هـ)
المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (ستة أجزاء) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم٩٠ فقه مالك.

٥ - **يحى بن عمر القرطبي**: (ت أواخر القرن التاسع الهجرى)
كتاب الأحكام اختصرها من كتاب الأحكام للفقيـه المشـاور أبـى الأصبـغ عيسى بن سهل. مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٢٦٢.

(ب) مصادر مطبوعة :

٦ - **ابـن الأبَّــار** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضــاعي (ت ٦٥٨هـ)

(أ) التكملـة لكتـاب الصلـة (قسـمان) نشـر ألفريـد بـل وابـن أبـي شـنب، الجزائر، المطبعة الشرقية ١٩١٩م.

٧ - (ب) الحلـة السِّيَراء (جزءان) تحقيـق وتعليـق حسـين مؤنـس. القـاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

٨ - **ابن الأثيــر** : عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشـيباني الجزرى. (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل فى التاريخ (١٢ جزءاً) القاهرة، بولاق، ١٢٩٠هـ.

٩ - **الادريســى** : الشريف أبو عبـد اللـه محمد بن محمد بن عبد اللـه بن إدريس الحسنى (ت ٥٦٠هـ).

صفة المغـرب وأرض السودان ومصـر والأندلس. مـأخوذة من كتـاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، طـ٢ نشـر دوزى ودى خويـه. ليـدن، بريل، ١٩٦٨م.

١٠ - **الإصطخــرى** : أبو اسـحاق إبراهيم بن محمـد الفارسـى الكرخــى (ت ٣٤٦هـ).

مسالك الممالك، طـ٢، نشر دى خويه. ليدن، بريل ١٩٦٧م.

١١ - **ابن أبي أُصَيْبِعَة** : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى (ت ٦٦٨هـ).

عيون الأنبـاء فى طبقات الأطباء. شرح وتحقيق نزار رضـا. بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

١٢ - ابن بسام : أبو الحسن على بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات)
تحقيق إحسان عباس. بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩.
١٣ - ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ)
كتاب الصلة (قسمان). القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م (المكتبة الأندلسية - ٤).
١٤ - البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت ٤٨٧هـ).
جغرافية الأندلس وأوروبا، من كتاب المسالك والممالك.
تحقيق عبد الرحمن على الحجي. بيروت، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٨م.
١٥ - البلوي : أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله المالقي المعروف بابن الشيخ (ت ٦٠٤)
كتاب ألف باء . مصر، بولاق ، ١٢٨٧هـ.
١٦ - ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ).
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ جزءاً). القاهرة دار الكتب المصرية ١٩٢٩م.
١٧ - الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ).
يتيمة الدهر (أربعة أجزاء). تحقيق محمد اسماعيل الصاوي، القاهرة، المكتبة الحسينية المصرية، ١٩٣٤م.

١٨ – ابن جُلْجُل : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد ٣٨٤هـ)
طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية١٩٥٥م.

١٩ – الجهْشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ)
الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨م.

٢٠ – ابن حـزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ).
(أ) الإحكام فى أصول الأحكام (ثمانية أجزاء).تصحيح أحمد محمد شاكر. القاهرة ، الخانجي، ١٣٤٥هـ.

٢١ – ب – جمهرة أنساب العرب، ط٣. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م. (ذخائر العرب ـ ٢).

٢٢ – (جـ) طـوق الحمامة فى الألفة والألاف، ط٣. تحقيق الطاهر أحمد مكي. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

٢٣ – (د) الفصل فى الملل والأهـواء والنحل (خمسة أجزاء) القاهرة، الخانجي، ١٣٢٠هـ.

٢٤ – (هـ) المحلى (١١ جزءاً).تحقيق أحمد محمد شاكر.
القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ.

٢٥ – (و) نقط العروس فى تواريخ الخلفاء. تحقيق شوقي ضيف. فصلة فى مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، م ١٣ جـ٢ ديسمبر ١٩٥١م.

٢٦ – الحُمَيْدى : أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى (ت ٤٨٨ هـ).
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م. (المكتبة الأندلسية ـ ٣).

٢٧ - الحِمْيَرى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر القرن الثامن الهجرى).
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار. نشر لافى بروفنسال. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.

٢٨ - ابن حَوْقَل : أبو القاسم محمد بن على النصيبى (ت ٣٦٧هـ).
صورة الأرض (المسالك والممالك والمفاوز والمهالك) ط٢.
نشر كرامرز. ليدن، بريل، ١٩٦٧م.

٢٩ - ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت ٤٦٩هـ).
المقتبس من أنباء أهل الأندلس.
السفر الثانى. تحقيق محمود على مكى. بيروت، دار الكتاب العربى، ١٩٧٣م.
السفر الثالث. نشر ملتشور أنتونيا. باريس، بولس كتنر الكتبى، ١٩٣٧م.
السفر الخامس. تحقيق ب شالميتا، ف. كورينطى، م. صبح. مدريد، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، الرباط. كلية الآداب، ١٩٧٩م.
قطعة من عهد الحكم المستنصر. تحقيق عبد الرحمن على الحجى. بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م. (المكتبة الأندلسية - ٤).

٣٠ - ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسى (ت ٥٢٩ أو ٥٣٥هـ).
(أ) قلائد العقيان. تصحيح محمد الصباغ. بولاق، المطبعة الخديوية، ١٢٨٣هـ.

٣١ - (ب) مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس.قسطنطينية، مطبعة الجوائب ١٣٠٢هـ.

٣٢ - ابن خرداذبــة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالى ٣٠٠هـ).
المسالك والممالك، طـ٢، نشر دى خويه. ليدن، بريل ١٩٦٧م.

٣٣ - الخُشَنـــى : أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى (ت ٣٦١هـ).
قضاة قرطبة. القاهرة الدار المصريــة للتـأليف والترجمــة ١٩٦٦م. (المكتبة الأندلسية ١).

٣٤ - ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمانى (ت ٧٧٦ هـ).
(أ) الإحاطة فى أخبار غرناطة (أربعة أجزاء) طـ٢.
تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة، الخانجى، ١٩٧٣-١٩٧٧م.

٣٥ - (ب) تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام طـ٢. تحقيق أ. ليفى بروفنسـال. بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م.

٣٦ - ابن خلـدون : أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمـد بن خلدون الحضرمى (ت ٨٠٨هـ).
(أ) العبر وديوان المبتدأ والخبر فـى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (سبعة مجلدات) تصحيح أبو الوفا الهورينى. القاهرة، بولاق، المطبعة الكبرى، ١٢٨٤هـ.

٣٧ - (ب) مقدمة ابن خلدون (ثلاثة أجزاء) طـ١. تحقيق على عبد الواحد وافى. القاهرة، لجنة البيان العربى، ١٩٥٧م.

٣٨ - ابن خَلِّكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ستة أجزاء) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٤٨م.
٣٩ - الخـوارزمـي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ) .
مفاتيح العلوم، ط٢. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨١م.
٤٠ - ابـن دَرّاج : أحمد بن محمد بن دراج القَسْطَلّي (ت ٤٢١هـ).
ديوان ابن دراج القسطلي. تحقيق محمود علي مكي. دمشق المكتب الإسلامي، ١٩٦١م.
٤١ - الذهبـي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)
سير أعلام النبلاء (نشر منه ثمانية أجزاء) تحقيق شعيب الأرنؤوط، نذير حمدان. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.
٤٢ - ابن رشـد (الجد): أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٢٠هـ).
المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات (جزءان) نشر محمد أفندي ساسي المغربي التونسي. القاهرة مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ.
٤٣ - ابن رشد (الحفيد) : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ).
بداية المجتهد ونهاية المقتصد (جزءان) القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٣٩هـ.
٤٤ - الرقيق القيرواني : أبو اسحق إبراهيم بن القاسم (ت بعد ٤١٧هـ).
تاريخ افريقية والمغرب. تحقيق المنجي الكعبي. تونس. د.ت.

٤٥ - الزُّبَيْدي : أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج بن محمد بن عبيد الله (ت ٣٧٩هـ).

طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.القاهرة، الخانجي، ١٩٥٤م.

٤٦ - ابن زيدون : أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي (ت ٤٦٣هـ).

ديوان ابن زيدون. تحقيق كامل كيلاني، عبد الرحمن خليفة.القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٢م.

٤٧ - ابن زيري : الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن ابن زيري بن مناد الصنهاجي (ت ٤٨٣هـ).

مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان. تحقيق ليفي بروفنسال. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥م (ذخائر العرب - ١٨).

٤٨ - سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠هـ).

المدونة الكبرى لإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ستة عشر جزءا) نشر محمد ساسي المغربي التونسي.القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ.

٤٩ - ابن سعيد : علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (ت ٦٨٥هـ)

المغرب في حلى المغرب (جزءان) ط٣. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م. (ذخائر العرب - ١٠).

٥٠ - السَقَطي : أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي.

كتاب في آداب الحسبة. نشر ليفي بروفنسال وج. س. كولان.باريس، ارنى ليرو ١٩٣١م.

٥١ – **ابن سهل** : أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدى الجيانى (ت ٤٨٦هـ).

(أ) وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس. مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة محمود على مكي، مستشار مصطفى كامل اسماعيل. القاهرة، المركز العربى الدولى للإعلام، ١٩٨٠م.

٥٢ – (ب) وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى. تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة محمود على مكي، مستشار مصطفى كامل اسماعيل، القاهرة، المركز العربى الدولى للاعلام، ١٩٨٠م.

٥٣ – **السيوطى** : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (ت ٩١١هـ).

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة (جزءان).

تحقيق محمدأبو الفضل ابراهيم. القاهرة، عيسى البابى الحلبى، ١٩٦٤م.

٥٤ – **الشابشتى** : أبو الحسن على بن محمد (ت ٣٨٨ هـ).

الديارات. تحقيق كوركيس عواد. بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٥١م.

٥٥ – **الشاطبى** : أبو اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى (ت ٧٩٠هـ)

الموافقات (أربعة أجزاء).تحرير سيدى أحمد الورتتانى. تونس، مطبعة الدولة الدولة التونسية، ١٣٠٢هـ.

٥٦ – **ابن شُهَيْد** : أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت ٤٢٦).

ديوان ابن شهيد الأندلسي. تحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود علي مكي. القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت. (تراثنا).
٥٧ - صاعد الأندلسي : أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي (ت ٤٦٢هـ)
طبقات الأمم. نشر الأب لويس شيخو اليسوعي. بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢م.
٥٨ - الضبي : أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ).
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. القاهرة، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م. (المكتبة الأندلسية - ٦).
٥٩ - الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).
تاريخ الرسل والملوك (عشرة أجزاء). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م (ذخائر العرب - ٣٠).
٦٠ - الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد بن أبي رندقة (ت ٥٢٥هـ).
(أ) الحوادث والبدع. تحقيق محمد الطالبي. تونس، كتاب الدولة للتربية القومية ١٩٥٩م.
٦١ - (ب) سراج الملوك ط١. مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ
٦٢ - ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ).
فتوح مصر والمغرب. نشر توري. نيوهافن ١٩٢٢م.
٦٣ - ابن عبدون : محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي.
رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة. في ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب. نشر ليفي بروفنسال، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.

٦٤ - ابن عبد ربه : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٩هـ).
العقد الفريد (أربعة أجزاء) القاهرة، المطبعة الأزهرية ١٩٢٨م.
٦٥ - عبد الواحد المراكشي : محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت بعد ٦٢١هـ).
المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٩م.
٦٦ - أبو عبيد : القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
الأموال . تحقيق محمد خليل هراس.القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٨م.
٦٧ - ابن عذارى: أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ).
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (أربعة أجزاء).تحقيق ليفي بروفنسال، كولان، هويثي ميراندا. أعاد نشره إحسان عباس. بيروت. دار الثقافة ١٩٦٧م.
٦٨ - العذرى : أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ).
نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك.
تحقيق عبد العزيز الأهواني. مدريد ، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥م.
٦٩ - عريب بن سعد : أبو الحسن الكاتب (ت ٣٦٦هـ)
تقويم قرطبة لسنة ٩٦١م. تحقيق دوزى. ليدن، بريل ، ١٨٧٣م.
٧٠ - القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ).

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (أربعة أجزاء).تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٨م.

٧١ - **ابن فرحـون** : برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون المالكي اليعمري (ت ٧٩٤هـ).

(أ) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام. القاهرة، المطبعة البهية، ١٣٠٢هـ.

٧٢ - (ب) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (جزءان).تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة، دار التراث ١٩٧٢.

٧٣ - **ابـن الفرضـي** : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ).

تاريخ علماء الأندلس (جزءان) القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م (المكتبة الأندلسية - ٢).

٧٤ - **ابن فضل الله العمري** : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الكاتب (ت ٧٤٩هـ).

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ١.تحقيق أحمد زكي باشا. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.

٧٥ - **ابن قتيبـة** : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٠هـ).

كتاب الإمامة والسياسة (منسوب إليه) (جزءان). تصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي. القاهرة، المكتبة المصرية ، ١٣٢٥هـ.

٧٦ - **القرافـي** : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي (ت ٦٨٤هـ).

(أ) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك أفندى باجه جى زاده. القاهرة، مطبعة الموسوعات. د.ت.

٧٧ - (ب) الفروق (أربعة أجزاء) تونس، المطبعةالتونسية الرسمية، ١٣٠٢هـ.

٧٨ - **الامام القرطبي** : شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى (ت ٦٧١هـ).

(أ) الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الإسلام واثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام (أربعة أجزاء). تحقيق أحمد حجازى السقا. القاهرة دار التراث العربى، ١٩٨٠.

٧٩ - (ب) الجامع لأحكام القرآن (عشرون جزءاً) القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٣٦م.

٨٠ - **القزويني**:أبو يحى عماد الدين زكريا بن محمدبن محمود (ت٦٨٢هـ).

(أ) آثار البلاد وأخبار العباد. نشر فستنفلد. جتنجن ١٨٤٨م .

٨١ - (ب) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودت. نشر فستنفلد.جتنجن ١٨٤٩م.

٨٢ - **القفطـــى** : جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)

تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء. نشر يوليوس ليبرت. لايبتسج ١٩٠٣م.

٨٣ - **القلقشــندى** : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ).

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (١٢ جزءا).القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٩١٣م.

٨٤ – **ابن القوطيـة** : أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (٣٦٧هـ)
تـاريخ افتتـاح الأندلس. تحقيق ابراهيم الإبياري. القـاهرة، دار الكتـب الإسلامية، ١٩٨٢م. (المكتبة الأندلسية ـ ٢).

٨٥ – **ابـن الكـــردبوس** : أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (ت أواخر القرن السادس).
الاكتفاء في أخبار الخلفاء،في تـاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط. تحقيق أحمد مختار العبادي. مدريـد معهـد الدراسـات الاسلامية، ١٩٧١م.

٨٦ – **الكنـــدي** : أبو عمر محمد بن يوسـف بن يعقـوب الكندى المصرى (ت ٣٥٠هـ).
كتاب الولاة وكتاب القضاة. تصحيح رفن كست. بيروت، مطبعـة الآبـاء اليسوعيين، ١٩٠٨م.

٨٧ – **الإمام مالك بن أنس**: الموطأ بروايـة يحى بن يحى الليثى (جزءان) تصحيـح محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة، دارإحياء الكتـب العربيـة، ١٩٥١م.

٨٨ – **المـــاوردى** : على بن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠هـ).
الأحكام السلطانية والولايات الدينيـة. نشر محمـد فهمـى السرجاني. القاهرة، المكتبة التوفيقية ١٩٧٨م.

٨٩ – **المســعودى** : أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ)
مروج الذهب (جزءان). تصحيـح محمـد الصبـاغ. القـاهرة بـولاق ١٢٨٣هـ.

٩٠ - **المقري** : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ).
(أ) أزهار الرياض في أخبار عياض (ثلاثة أجزاء) تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م.

٩١ - (ب) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. (أربعة أجزاء). القاهرة، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٠٢هـ.

٩٢ - **المقريزي** : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. (جزءان) القاهرة، بولاق، ١٢٧٠هـ.

٩٣ - **مؤلف مجهول** :
أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم نشر لافوينتي ألكنترا مجريط، مطبع ريد نير، ١٨٦٧م.

٩٤ - **مؤلف مجهول** :
مدونة تاريخية مجهولة المؤلف من عصر عبد الرحمن الثالث الناصر.
تحقيق ليفي بروفنسال، اميليو غرسية غومس،
مدريد - غرناطة، ١٩٥٠م.

٩٥ - **مؤلف مجهول** :
ألف كتابه سنة ٧١٢هـ.
نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى. نشر ليفي بروفنسال، رباط الفتح، معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٣٤م.

٩٦ - **ابن منظـور** : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد المصرى (ت ٧١١هـ).

لسان العرب (ستة أجزاء). تحقيق عبد الله على الكبير محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى. القاهرة دار المعارف، ١٩٨١م.

٩٧ - **النبـاهى** : أبو الحسـن بن عبد الله بن الحسـن النباهى المالقى (ت أواخر القرن الثامن).

المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. نشر ليفى بروفنسال. القاهرة، دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨م.

٩٨ - **نوادر المخطوطات** : (سبع مجموعات)

المجموعة الثالثة. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٣م.

٩٩ - **النويـرى** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ).

نهاية الأرب فى فنون الأدب (صدر سبعة وعشرون جزءاً) جـ٢٣. تحقيق أحمد كمال زكى، مراجعة محمد مصطفى زيادة . القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

١٠٠ - **هروشيش** : Paulus Orosius.

تاريخ العالم . تحقيق عبد الرحمن بدوى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.

١٠١ - **ابن وضـاح** : محمد بن وضاح بن بزيع القرطبى (ت ٢٨٧هـ).

البدع والنهى عنها. تصحيح محمد أحمد دهمان. دمشق، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩هـ.

١٠٢ - **ياقوت الحموى** : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦هـ).

معجم البلدان (ثمانية أجزاء) تصحيح محمد أمين الخانجي، القاهرة ، الخانجي، ١٩٠٦م.

١٠٣ - **اليعقوبي** : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ).

كتاب البلدان . نشر دي خويه ، ليدن ، بريل ، ١٨٩١م.

١٠٤ - أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ).

الخراج. نشر قصي محب الدين الخطيب. القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٩٦هـ.

* * *

المراجــــع :

١ – **أرنولد** : سيرتوماس .

الدعوة إلى الإسلام ط٣. ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخريـن. القـاهرة، النهضة المصرية ، ١٩٧٠.

٢ – **أشباخ** : يوسف .

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين (جزءان). ترجمـة محمـد عبد الله عنان. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.

٣ – **أمير علي** : السيد .

مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي. ترجمة رياض رأفت القـاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨م.

٤ – **الأهوانـــى** : عبد العزيز .

الزجل فى الأندلس. القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٧م.

٥ – **بينز** : نورمان .

الإمبراطورية البيزنطية . ترجمة حسين مؤنس ، محمـود يوسـف زايد. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م.

٦ – **التطيلى** : ربى بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى.

رحلة بنيامين ترجمة عزرا حداد. بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥م.

٧ – **جوميث مورينو** : مانويل.

الفن الإسلامى فى إسبانيا. ترجمة لطفى عبد البديـع، السيد عبـد العزيـز سالم. القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٨ – **جونثالث بالنثيا: أنخـل .**
تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة حسين مؤنس. القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٥.

٩ – **جيـــوم : ألفريد (محرر).**
تراث الإسلام(جزءان) ترجمـة حسين مؤنـس وآخرين. القـاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥ .

١٠ – **حتـى : فيليب .**
تاريخ العـرب(مطول) (ثلاثة أجزاء) ط٢. بيروت، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٥٣ م .

١١ – **الحجّـي : عبد الرحمن علي .**
أندلسيات(جزءان) بيروت دار الإرشاد ١٩٦٩ .

١٢ – **حمـــدان : جمال.**
بين أوروبا وآسيا؛ دراسة في النظـائر الجغرافية . القـاهرة عالم الكتب١٩٧٣م .

١٣ – **خلف الله أحمد : محمد(محرر).**
أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية. القاهرة،، الهيئة العامة للتأليف والنشر، يونسكو، ١٩٧٠م .

١٤ – **الركابي : جـودت .**
فـي الأدب الأندلســي ط ٤ . القــاهرة، دار المعــارف بمصـــر، ١٩٧٥م. (مكتبة الدراسات الأدبية – ٢٢)

١٥ – **الريـــس : محمد ضياء الدين .**
الخـراج والنظـم الماليـة للدولـة الإسـلامية، ط ٤ .القـاهرة، دار الأنصار ١٩٧٧م .

١٦ - رينـــو: ج .

تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط.ترجمة الأمير شكيب أرسلان. القاهرة، عيسى البابي الحلبي ١٣٥٢هـ.

١٧ - زيــدان : عبد الكريم .

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. القاهرة، ١٩٦٣م .

١٨ - ســالم : السيد عبد العزيز .

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس. دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.

١٩ - شاخت وبوزورث : (محرران).

تراث الإسلام (ثلاثة أجزاء).مراجعة فؤاد زكريا. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٧٨م .

٢٠ - العبــادي : أحمد مختار .

الصقالبة في إسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقاتهم بحركة الشعوبية. مدريد، معهد الدراسات الإسلامية،١٩٥٣م.

٢١ - عبــاس : إحسان .

تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط ٤ . بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٥(المكتبة الأندلسية -٢) .

٢٢ - العرينــي : السيد الباز .

الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١.القاهرة، النهضة العربية١٩٦٥م.

٢٣ - عنــان : محمد عبد الله .

دولة الأسلام في الأندلس(أربعة أجزاء). القاهرة، الخانجي،١٩٦٩م.

٢٤ – **غرسية غومس** : إميليو.

الشعر الأندلسي؛ بحث في تطوره وخصائصه ط٢ ترجمة حسين مؤنس.القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٦ (الالف كتاب –٩٥).

٢٥ – **غيث** : محمد عاطف(محرر ومراجع) . قاموس علم الاجتماع، القاهرة،الهيئة العامة للكتاب،١٩٧٩م،

٢٦ – **فازيلييف**: أ.

العرب والروم ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة. القاهرة، دار الفكر العربي ، د . ت (الالف كتاب) .

٢٧ – **فلهوزن** : يوليوس .

تاريخ الدولة العربية ط٢ . ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨(الالف كتاب ١٣٦)

٢٨ – **فون شاك** : أدولف فريد ريتش .

الفن العربي في إسبانيا وصقلية. ترجمة الطاهر أحمد مكى القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م .

٢٩ – **كاشف** : سيدة إسماعيل . مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية. القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٤٧م.

٣٠ – **كحيلة** : عبادة عبد الرحمن رضا .

(أ) صقر قريش؛ عبد الرحمن الداخل. القاهرة، دار الكاتب العربي ١٩٦٨(أعلام العرب – ٧٦) .

٣١ – (ب) المولدون في التاريخ الأندلسي، أطروحة غير منشورة لدرجة الماجستير. جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٨م .

٣٢ – (جـ) أندلسيات . القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣٣ – كراتشكوفسكى : إغناطيوس .

الشعر العربى فى الأندلس . ترجمة محمد منير مرسى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١م .

٣٤ – كرم : يوسف .

تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط. القاهرة، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م (مكتبة الدراسات الفلسفية) .

٣٥ – ليفى بروفنسال :

(أ) الإسلام فى المغرب والأندلس. ترجمة السيد سالم ومحمد صلاح الدين حلمى.القاهرة، نهضة مصر،١٩٥٦م.(الألف كتاب – ٨٩).

٣٦ – (ب) الحضارة العربية فى إسبانيا ط ١. ترجمة الطاهر أحمد مكى. القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م .

(جـ) سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها.ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة.كلية الآداب جامعة فاروق الأول بالإسكندرية ١٩٥١ م .

٣٨ – متز : آدم .

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (جزءان). ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠م .

٣٨ – مذكور : ابراهيم بيومى (محرر ومراجع) .

معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، اليونسكو ١٩٧٥م .

٤٠ - مكـــي : الطاهر أحمد .

ملحمة السيد؛ دراسة مقارنة ط٢ .القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م.

٤١ - مكـي : محمود علي .

مدريد العربية. القاهرة، دار الكاتب العربي، د.ت

٤٢ - مؤنــــس : حسين .

(أ) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فـي الأندلـس. مدريـد، معهـد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٧.

٤٣ - (ب) فجر الأندلس؛ القاهرة،الشركة العربيـة للطباعـة والنشـر ١٩٥٩م .

٤٤ - هيكـل : أحمد .

الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ط٧.القـاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م .

References in foreign languages :

1 - ***Altamira : Rafael***
A history of Spain from its beginnigns to the present day. trans by Muna Lee.N.Y.D. Van Nostrand company, 1949.
2 - ***Aschbach : Joseph.***
Geschichte der Ommaijaden in Spanien. Wien, Wilhelm Braumüller, 1860.
3 - ***Ayalon : David.***
On eunuchs in Islam. In Jerusalem studies in Arabic and Islam. - I 1979. The Hebrew univ. Jerusalem.
4 - ***Barbour : Nevill.***
The significance of the word Maurus, with its derivatives Moro and Moor, and of other terms used by medieval writers in latin to describe the inhabitants of Muslim Spain. in Actas do IV congresso de estudios Árabes e Islâmicos, Coimbra- Lisboa. 1968. Leiden, Brill, 1971.
5 - ***Baron : Salo Wittmayer.***
A Social and religious history of the Jews (13 Nols) N.Y, Columbia univ press. 1957.
6 - ***Branigan : J.J.& Jarrett: H.R.***
The Mediterranean lands, 2 nd edition. London, Macdonald and Evans, 1975.
7 - ***The Cambridge*** economic history of Europe, (6 vols), Cambridge univ press, 1971.
8 - ***The Cambridge*** history of Islam (2 vols). Cambridge univ. press, 1970.
9 - ***The Cambridge*** medieval history. Cambridge univ press, 1913 reprinted 1936.
10 - ***Carreras y Candi: Francisco.***
Relaciones de los Vizcondes de Barcelona con los Árabes. en Homenaje a D. Francisco Codera. Zaragoza, Mariano Escar, Tipógrafo, 1904.
11 - ***Casiri: michaelis.***
Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis. (2 tomos) Matriti, Antonius perez de Soto imprimebat, 1750.

12 - ***Castro : Américo.***
The Structure of Spanish history. Trans by Edmund L.King. Princeton univ press. 1954 (Based on España en su historia, Cristianos, Moros y Judíos).

13 - ***Conde : J . A.***
History of the dominion of the Arabs in Spain (3 vols) Trans by mrs. Jonathan Foster. London, Henry G. Bohn. 1854.

14 - ***Diccionario*** de historia de España, Revista de occidente Madrid (2 Tomos) Madrid, 1952.

15 . ***Dozy : R.***
A. Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen age. (2 vols) troisiéme édition. Leyde, E.J. Brill, 1881.

16 - B. Spanish Islam; A history of the Moslems in Spain. Trans by Francis Griffin Stokes. London, Frank Cass, 1912, new impression 1972.

17 - C. Scriptorum Arabum loci de Abbadides (3 tomos) lugdunum, Batavorum, Apud E.J. Brill, 1852.

18 - D. Supplément aux dictionnaires Árabes. Deuxiéme Édition. (2 vols) Leide. E.J. Brill. 1927.

19 - ***Encyclopaedia*** Judaica (16 vols); 3 rd deition. jerusalem, Keter publishing house, 1974.

20 - Fernández y González: Don Francisco.
Estado social y politico de los Mudéjares de Castilla. Madrid Imprénta a cargo de Joaquin Muñoz formento, 1866.

21 - González Palencia: Angel.
Los Mozárabes de Toledo en los siglos XII y X111 (4. tomos) Madrid, 1926-1930.

22 - ***Grayzel: Solomon.***
A history of the Jews. The Jewish publication society of America 1948, revised edition 1968.

23 - ***Isidro de las Cagigas.***
Los Mozárabes, 2 tomos. Madrid, instituto de estudios Africanos. 1947. (minorias etnico - religiosas de la edad media Española - 1).

24 - ***King : P.D.***
Law and society in the Visigothic kindgom, Cambridge univ press, 1972.

25 - ***Lea : H.C.***
A history of the inquisition of Spain (4 vols) N.Y. The Macmillan Company, 1906.

26 - ***Lévi - Provençal : É.***
A. L'Espagne Musulmane au Xéme siécle; institutions et vie sociale. Paris, Larose, 1932.

27 - B. Histoire de l'Espagne Musulmane (3 vols); nouvelle édition Paris- Leiden, E.J. Brill, 1950.

28 - C. Inscriptions Árabes d'Espagne. Paris, Larose, 1931.

29 - ***Livermore : H. V.***
The origins of Spain and Portugal. London, George Allen & Unwin. 1971.

30 - ***Menéndez Pidal : Ramón***
The Spaniards in their history. Trans. by Walter Starkie. London, Hollis & Carter, 1950.

31 - ***Montgomery Watt: W.***
A history of Islamic Spain, reprinted. Edinburgh Univ. Press. 1967. (Islamic surveys - 4).

32 - ***O'Callaghan: J.F.***
A history of medieval Spain. Cornell univ press, 1975.

33 - ***Petrus Alfonsi.***
Disciplina Clericalis. Trans by P.R. Quarrie. London, Routl_ dege and Kegan Paul, 1977.

34 - ***Poliakov : León.***
The history of Anti - Semitism. (3 vols). Trans by Natalie Gerardi. London, Routledge & Kegan Paul, 1974.

35 - ***Pons Boigues : Francisco.***
Apuntes sobre las escrituras Mozárabes Toledanos. Madrid Est. Tip. De la Viuda é hijos de tello, 1897.

36 - ***Saavedra : D. Eduardo .***
Estudio sobre la invasión de los Árabes en España. Madrid El progreso editorial, 1892.

37 - ***Simonet : D. Franscisco Javier.***
A. Glosario de voces Ibéricas y Latinas usadas entre los Mozárabes. Madrid, Establecimiento tipográfico de fortanet, 1888.

38 - B. Historia de los Mozárabes de España. memorias de la Real Academia de la Historia Tomo X111. Madrid. Est. Tip de la Viuda é Hijos de m. Tello, 1897-1903.

39 - ***Steinsneider : Moritz.***
Die Arabische Literatur der Juden, ein Beitrag zur Literatur geschichte der Arabes, grossenteils aus Handschriften Quellen. Frankfurt, Verlag von J. Kaufmann, 1902.

40 - ***Van Koningsveld: P. S.J.***
The Latin Arabic glossary of the leiden universty library. A contribution to the study of Mozarabic manuscripts and literature. Leiden, New Rhine publishers, 1977.

41 - ***Waxman: Meyer.***
A history of Jewish literature from the close of the bible to our own days, 4 vols, 2nd edition. N.Y.Bloch Publishing company. The Jewish book concern, 1938.

دوريـــــــات :

مقالات باللغـــة العربيـة :

١ - الأهـــوانى : عبد العزيز .

ألفاظ مغربية فى كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة. مجلة معهد المخطوطات العربية م . ٣ . جـ١ شـوال ١٣٧٦هـ مايو ١٩٥٧م ص١٢٧-١٥٧، م ٣ جـ٢ ربيع الثانى، ١٣٧٧هـ، نوفمبر ١٩٥٧م. ص٢٥٨-٣٢١ .

٢ - العبـادى : أحمد مختـار.

(أ) الإسلام فى أرض الأندلس؛ أثر البيئة الأوروبية. عـالم الفكر، م١٠ ع٢، ١٩٧٩م. ص ٣٤٣-٣٩٤.

٣ - (ب) من التراث العربى الإسبانى؛ نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإسبانية التى تأثرت بها. عالم الفكر. م٨ ع١، ١٩٧٧م. ص٣٩-٨٨ .

٤ - مكـى : محمود على .

مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى مع نص الجزء الأندلسى من تاريخ عبد الملك بن حبيب. مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية م٥ ع١-٢. ١٩٥٧م.ص ١٥٧-٢٤٨ .

٥ - مؤنـس : حسين .

(أ) أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر للونشريشى ، وهو جزء من المعيار المغرب. مجلة المعهد المصـرى للدراسات الإسـلامية بمدريد، م٥ ع١-٢ ١٩٥٧م ص١٢٩-١٩١.

٦ - (ب) تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس، حوليات كلية الآداب جامعة إبراهيم باشا الكبير م١ ١٩٥١م.

Periodicals, Essays in Foreign Languages :

1 - ***Cutler : Allan***
The ninth century Spanish martyrs, movement and the origins of Western Christian missions to the Muslims. The Muslim world. Vol. LV.N.4 1965. pp. 321-339.

2 - ***Dunlop : D.M.***
Hafs b. Albar; the last of the Goths. Journal of the royal Asiatic society of Great Britain and Ireland. 1954. pp.137-151.

3 - **Fernando de la Granja**
Fiestas Cristianas en Al-Andalus; materiales para su estudio. al-Andalus vols XXXIV fasc 1. 1969 pp. 1-53 XXXV fasc 1. 1970 pp. 119-142.

4 - ***Murphy : Francis.X.***
Julian of Toledo and the fall of the Visigothic Kingdom in Spain. Speculum, vol. XXVII n.1. January 1952. pp. 1-27.

5 - ***Waltz : James:***
The significance of the voluntary martyrs of the ninth century Cordova. The Muslim World vol. LX. 1970. n.2. pp. 143-159, n.3. pp.226-236.

* * *

كتب أخرى للمؤلف

- صقر قريش؛ عبد الرحمن الداخل، القاهرة ١٩٦٨ (أعلام العرب ـ ٧٦) نفد.
- عن العرب والبحر . القاهرة . ١٩٨٩.
- أندلسيات . القاهرة . ١٩٨٩ .

رقـــم الإيداع ١٥٤١/١٩٩٣
I.S.B.N. 977-00-6394-0

المطبعـــة الإســـلامية الحديثـــة
٤٢ (أ) ش دار السعادة - حلمية الزيتون
القاهرة - ت ٢٤٠٨٥٥٨